اغتصاب ولكن تحت سقف واحد

دعاء عبد الرحمن

مشاعر عالية
(لا تندم على أحاسيس صادق قد بذلته فالطيار لا تأخذ مقابلًا على تغريدها)
الفصل الأول

أعتدل جاسر في جلسته في اهتمام وهو يتفحص ملامح ابنه الأصغر ثم يقول في هدوء:
- يقول أيه يا علي.. كرر كلامك تاني كده عاوز اتؤكد!

علي بتعثم:
- يقول يا بابا بعد أدى حضرتك يعني عاوز أتجوز أحلام بنت خالتي

ظهرت ملامح خيبة الأمل على وجه جاسر وهو يقول بدهشة:
- أحلام بنت سميحة؟!

جفف علي عرقاً وهمياً براحة اليمنى وهو يومىء مؤكداً:
- أيوه يا بابا.. بنت خالتي سميحة

وقف جاسر بغضب وانفعال هائفاً:
- وهي دى بقى الزوجة الصالحة اللي انت بتنمها؟

أجاب علي بارتباك:
- يا بابا والله أحلام بنت كويسة.. وخالتي سميحة اتغيرت خالص

هتف جاسر بعنف:
- بأمارة أيه بقى.. بأمارة أمك اللي قطعت اختها بسبب تصرفاتها وموصيانى قبل ما تموت

أن محدش منكم يفكر في بنتها مجرد تفكير

أبلغ علي غصته وقلبه يخفق بقوة وهو يرى انفعال والده ونظراته الغاضبة الموجهة نحوه

وقال مدافعاً:
يا بابا والله احلفك ده كان زمان.. خالتي بقت حاجة ثانية.. دى حتى عملت عمرة السنة
للما فاتت وأحلام بنت مؤدبة جدا
لم يستطع جاسر كتامن ثورة الغضب التي نشبت في صدره أكثر من هذا، أمسك الهاتف
وضغط على عدة أرقام ثم وضع سماعة الهاتف على أذنه وتكلم إلى ولده الأكبر وكأنه
يصرخ:

- ايها يا حسين .. تعالى عندي هنا حالاً وهات معاك أخوك ابراهيم ..مش عاوز أسئلة ..

تكونوا عندي هنا في لمح البصر

أغلق الهاتف في حدة وكأنه قض قلب ابنه علي في يديه عوضاً عن سماعة الهاتف ، فبدأ
جبيشه يتصب عرقا وأحمر وجهه وتمشى لو أنه لم يكن أعبار عن رغبته في الزواج، تركه
جاسر واقفاً متصباً مكانه وخرج في انفعال وسرعة إلى بهو المنزل الواسع ووقف ينتظر
ولديه الأكبر .. لم يمر وقت طويل حتى حضرا مسرعين وأقبل حسين الأبن الأكبر على والده
في سرعة وأخذ ابراهيم في أثره وهو يقول لاهتا:

- في أيه يا بابا .. أيه اللي حصل؟

أشار جاسر إليهما أن يلحقا به للداخل حيث ينتظرهم علي أخاهن الأصغر وهما ينظران إليه
بتساؤل وهو متوتراً في انتظار تحديد مصيره .. وقف جاسر بشموخ بين أبنائه الثلاثة وتوجه
بالحديث إلى ولده حسين قائلاً:

- شوفوا يا حسين أخوك الصغير عاوز يتجوز مين؟

نظر حسين نحو علي نظرة عتاب ثم أعاد النظر إلى والده مرة أخرى ولم يتكلم، أستطاع
جاسر قراءة نظرة ولده وما خلفها وفهم منها بأنه كان على علم بما يحدث من قبل فتكلم
غاضباً:

- عارف ومخبى علينا يا حسين .. ما تتكلم

قال حسين في ارتباك:

- يا بابا والله أنا حاولت معاك كثير .. لكن واضح إنه متمسك بيها ..همله أيه طيب
توجه جاسر بالحديث إلى ابراهيم ابنه الأوسط وهو يقول منفعلًا :

- وانت كمان كنت عارف!
أطرق إبراهيم برأسه قائلًا بخوف:
-
- أيوا يا بابا

صاح جاسر بغضب هادئ:
-
- و أنا آخر من يعلم يا ولاد جاسر؟

تدافع حسن وإبراهيم في الكلام وأخيرًا صمت إبراهيم وترك لأخيه المجال كما يفعل دائماً وسمعه يقول:

يا بابا أنت عارف علي لما بيحج حاجة في دماغه.. ويتعيننا أقلت نسيبته يمكن يطلعها من دماغه.. مكناش فاكرين أنه مصمم عليها أوى كده زفر علي متأفأً وهو يشعر بهم يضيقون الخناق حول رغبته وقال بعند وتصميم:

يا بابا بصراحة كده اللي بيحصل ده مالوش لازمة.. أنا بحب أحلام وهتجوزها ضرب جاسر كفا بكف وهو يقترب منه ويقول بسخرية مريرة:

والله ؟!! وحبتها أمتى بقى .. وهي بترقص في فرح اخوكم وعيون الرجالة بتاكل في جسمها أكل وهي ولا هامها؟

قاطعه علي بعضيبة:

لو سمحت يا بابا كفاية .. قولتلك أنهم اتفقوا .. وبصراحة كده أنا بحبها ومش هتجوز غيرها .. جيت أحد مواقفتك عشان مبقاش عملت حاجة من وراك أنهى عبارته الأخيرة واستدار مغادرا بنزق وغضب، هو جاسر فوق الأريكة ببأس وقال بحزن شديد:

هاتسيبيوه يعمل اللي في دماغه .. هاتسيبوا اخوكم يتجوزها جلس بجواره ولديه عن يمينه وعن شماله وحاول إبراهيم أن يهدئه الموقف وهو يقول:

ما يمكن يا بابا زي ما يبقول كده أنهم اتفقوا .. محدث عارف التفت إليه جاسر وهو يقول في وحن شديد:
أتمتي بابني، أمتي اتغيروا؟... هو أنت مش لسه فرحك مكملش السنتين... وكلنا شوفنا البت وامها شاكلهم كان عامل إزاي، حضروا من غير دعوة وعملوا فيها أصحاب الفرح... وشوفنا كلنا هدومهم وكانوا عاملين إيه في روحهم... والبت طلعت وقعدت ترقص ولا همها حد ولا همها كسفتنا قدام الناس ولا نظر الرجالية ليها وكأنها رقاصة جاهه تحيي الفرح
وضع حسين كفه برقة على كتف والده قائلًا:

يا بابا احنا خايفين عليك... أنت عارف علي هو الصغير وطول عمره مدع وراسه ناشفة...
وطالما قال عاززها يbecue هيجوزها حتى لو احنا رفضنا... خلاص نخليها بجميلة بقى ونوفاق... واهو يبقى تحت عنينا بدل ما يخرج عن طوعك ويبقى خسر الدنيا والآخرة

حسين.. حسين
أنتبه حسين من ذكرياته على صوت زوجته عفاف قائلًا بشرود:

هه... بتقولي حاجة يا عفاف؟
ابتسمت عفاف بدهشة وقالت:

بقول حاجة ؟!! ده انا بقالي ساعة بنده عليك وانت ولا انت هنا.. أيه كل ده سرحان؟
أرسل حسين تنهيدة طويلة حارة وهو يعتدل في مجلسه ويقول محدثاً أباه:

أتذكرت ابوي يا الله يرحمه.. لما اتصل بينا وجابنا على ملا وشنا لما علي قالي أنه هيجوز أحلام.

أرفع حاجبيها بتعجب وقالت بشجن:

يااه.. ده انت روحت لبعيد أوى.. فوق العشرين سنة
ثم شردت وهي تتتابع بحنان:

كان ساعتها معانا عبد الرحمن ويوسف.. ومكش ساعتها لسه ربنا رزقنا البت فرحة
تنهد حسين بقوة للذكرى ثم قال:

فاكره يا عفاف.. كان نفسى أوى يبقى عندي بنت واسميها فرحة
ابتسمت عفاف بسعادة وهي تقول:
- و ربنا كرمنا بيها بعد يوسف بكمان سنة.. اللهم لع الحمد والشكر يارب

ظل حسين يستعيد ذكرياته وهو يتابع قائلاً:
- كان ساعتها إبراهيم لسه متجوز بقاله سنتين .. وكان وليد ابنه يدوب عنده سنة .. وكانت لسه وفاء اخته في علم الغيب

استدنت عفاف إلى راحة يدها وهي تتنهد وتقول:
- سبحان الله.. كأن الكلام ده كان لسه من كام يوم مش من سنين طويلة

عندما أنهت كلمتها الأخيرة لمحت دمعة في عينيه تقاوم لتخرج ولكنه كبح جماحها في صبر

فقالت:
- ادعيله بالرحمة يا حسين

قال في حزن:
- الله يرحمه.. مش لو كان سمع كلامنا من الأول كان زمانه...

قالت عفاف مقاطعة:
- استغفر ربك يا حسين ده قدر ونصيب .. ربنا كتبه يتجاوزها ويخلف منها ثلاث عيال

لمعت عينينه في عزيمة وأصرار وهو يقول:
- هلاقين ياء عفاف لازم الأقويهم .. علي الله يرحمه وصانى ادور عليه واجبهم هنا وسطنا

في بيت العيلة .. ومن ساعتها وانا بدور عليهم وان شاء الله هلاقين قريب ..انا خلاص قربت اوصلهم.

الفصل الثاني
وقف عبد الرحمن أمام مكتب والده وطرق الباب بخفة ثم دخل وأغلق الباب خلفه، نظر إليه والده قائلًا:

- تعالى يا عبد الرحمن
دخل وجلس في مواجهته وقال:
- خير يا حاج حسين بعتلى ليه؟
تسلل حسين ببساطة وهو يقلب الأوراق بين يديه:
- مروحش المطار النهاردة ليه؟
أجاب عبد الرحمن ففي ضجر:
- يا بابا .. يا بابا حرام كده يقالى سنيين بروح المطار وأطلع على كشوفات القدموم والمغادرة من مصر لما صاحبي زهق مني وقالى أنت بتجبي مع القبض كل شهر ولا أيه.
قال حسين بعصبية:
- يعني أيه زهق .. هو يعني بيوريهالك ببراش .. وبعدين مالك مضايق كده .. مبقتش عاوز تدور على ولاد عمو ولا أيه .. أروح انا بنفسى؟
أطرق عبد الرحمن متملماً في مقعده وهو يقول:
- العفو يا بابا .. يس كفاح كده .. لو كانوا هينزلوا مصر كانوا نزلوا من زمان لكن طالما بقالهم سنين يبقوا استقروا خلاص
ضرب حسين المكتب أمامه بقبضة يده وهو يهتف في ولده بضيق:
- انت ملكش دعوة .. أعمل اللي بقولك عليه .. تروح تطلع على الكشوفات بنفسك أنا مبفص
في صاحبه ده
حاول عبد الرحمن تهدئة الموقف قليلاً وهو يقول:
- حاضر يا بابا حاضر .. هروح بكره الصحيح على طول ..
ثم نهض واقفا في سرعة وهو يقول:

- بعد أن حضرت كازيم اروح مكتبى علشان عندى شغل ضروري.

خرج عبد الرحمن ف định مكتب والده وهو يزفر بشدة، ألقى نظرة على هند التي تختل ف النظر إليه من خلف شاشة الحاسوب ثم تعود وتكمل عملها مرة أخرى، وقف في مواجهتها واتكا على مكتبها وهو يقول:

- مش نخالينا في شغلنا ولا أيه؟

نظرت إليه قائلة بتفكّه:

- خاليك في حالك.

ابتسم وقال:

- طب هنتغدى معايا النهاردة؟

ضاقت بين حاجيبها قائلة:

- لاه...

ثم تابعت هامسة:

- ماما عامله محسى النهارده يجتن جبتلك معايا.

نظر عبد الرحمن حوله وقال:

- محسى!! ينهار أبيض ده احنا ممكن نتفقش بيه ونروح في داهية .. بصى لما ابوي ينزل رنى عليا اجيلك صاروخ استفزى بالمحشي ده لوحدى

قالت بدلل :

- يعني هتناك لوحدك

قال بخشوت :

- لا طبعا ..

ثم غمز لها وتابع:
- هبقى أديكي واحدة

- أحمرت وجيئتها وقالت:

- عيب كده يا عبدالرحمن أحنا لسة مخطوبين

قال بخبث:

- أنت فهمتى أيه .. أنا قصدى أديكي واحدة محشى يعني .. نةتك وحشة على فكرة

نظرت له بغيظ فضحك وانصرف إلى مكتبه على الفور، عندما دلف للداخل وجد يوسف

جالس ينتظره وبمجرد أن رآه قال سريعاً:

- أيه يا عم كنت فين بقالى ساعة مستنريك

قال عبد الرحمن ساخراً وهو يجلس خلف مكتبه:

- ساعة أيه أنت هتفشير ده أنا مكملتش ربع ساعة .. لخص عاوز أيه سايب مكتب وجاي

ترجم بلاك عليه

تصنع يوسف الحزن وهو يقول:

- كده يا عبده .. ده انا أخوك برضة

زفر عبد الرحمن وهو يهتف به:

- اهه شكلنا مش هنخلص النهاردة .. عاوز أيه يابني خلح بدل فيلم الحرمان ده

سأله يوسف بفضول:

- أبوك كان عاوزك ليه؟

نظر إليه في دهشة قائلاً:

- هو مفيش حاجة بستخبي في الشركة دى أبدا .. يا سيدى بيسألني مروحتش المطار ليه

الشهر ده

هتف يوسف بحنق:

- يوووه هو لسه حاطح أوال في الحكاية دى
حَرَك عبد الرحمن رأسه مؤكدًا بسخط:
- مش أمل وبس.. دى أمل وعمر كمان

أبتسم يوسف وهو يغمز قيالًا:
- وطبعاً انت مصدقت تروحله لما طلبك علشان تشوف هند

هتف عبد الرحمن على الفور:
- بطلوا قر بقى.. مش احسن ماقعد فرداني زيك كده

قال يوسف بتهكم:

فرداني.. سنجل.. اهو احسن من الحريم وخلاص
- أخرج عبد الرحمن بعض الملفات من درج مكتبه وفتحها واحدًا منها وهو يقول :

- هتفضل طول عملك معقد.. اللئيشوفك كده يقول انك كنت بتحب وخدت بومبة

يوسف:

- حب آية أنا ماليش في الكلام ده.. أنا ماليش خلق على السات أساسًا

أومأ عبد الرحمن برأسه وهو يرفع عينيه عن الأوراق متابعاً:
- انت ملكش خلق على أي حاجة مؤنثة أصلاً... المهم انت كنت جاي ليه؟

يوسف:

- ولا حاجة ولد ابن عمك كلمنى وعاوزنا نخرج شوية

عاد عبد الرحمن يقلب أوراقه مجددًا وهو يقول:
- أخرج أنت يا عم.. انت فاضي انا عندي شغل كثير النهاردة

ثم أردف وهو يحرك رأسه متعجبًا وهو يقول :

- والله أنا مش عارف انت مصاحب ولد ازاي.. ده أنت من سكه وهو من سكه..هو بيموت

في السات وانت بتكرههم عمي
قال يوسف مداعباً:
- أيه هو من سكه وأنا من سكه دى هو طالب أيدي ولا أيه
قال كلمته وهوينهض ويهيم بالأنصراف قانلا:
- يالا سلام .. أشوفك بالليل في البيت
تنهد عبد الرحمن وهو يتناول قلمه قانلا:
- سلام يا رايق

***

جاءت ساعة الراحة وانصرف العمال والموظفين للغذاء، خرج الحاج حسين من مكتبه وهو يقول لـ هند:
- ساعة وراجع يا هند
هند وهي تقف باحترام:
- مع السلماء يا حاج
كاد يهم بالأنصراف ولكنه استدار فجأة وهو يقول:
- وانت يا بنتى مش هتروحى تتغدى ولا أيه .. لو وراكي شغل سببيه لحد ما تتغدى وابقى
كمليك ببعدين
قالت هند بحرج:
- لا أنا تتغدي بس .. بس خمس دقائق كده
أبتسم الحاج حسين وقد شعر بحرجها وقال:
- طيب يا بنتى .. السلام عليكم
- وعليكم السلام
أخبرت هاتفها و هاتفت عبد الرحمن وأخبرته أن يأتي للغذاء معها في الحال، حضر عبد الرحمنIFIER في سرعة فوجدها جائزة أمام الطاولة الموضوعة أمام مكتبها و عليها علبة متوسطة الحجم وتنظره، نظر عبد الرحمن إليها بشيبة قابللًا:

- الله الله من قبل ما أكل تسلم أيدك يا قمر

- أشارت له بأن يجلس وهي تقول:  

- يالا بسرعة زمانها برد

جلس أمامها مباشرة وأخذ ياكل في نهم شديد وهي تنظر إليه، أنتبه عبد الرحمن إليها وأبتسم قالت:

- وأنا أقول ليه كل مرة تعزميني على الأكل بطني توزعني أتاريكي عينك فيه

قالت هند بتبرم:

- يعنى ولا قلتلي كلى يا حبيبتي ولا حاجة خالص شفت المحشى نسيت الدنيا

قال عبد الرحمن وهو ياكل بشهية:

- هنعزمفيع في بيتك يا شابة.. كلى كلى

نظرت إليه للحظات ثم قالت بدلال:

- طب مش هتاكلنى بأيدك

أطلق عبد الرحمن ضحكة عالية وهو يقول داعباً:

- طب وانا أكل بأيهم

نظرت له في حق وهى تقول:

- أنت مش رومانسي على فكرة

توقف عن الضحك ونظر إليها باهتمام قابللًا:

- ليه بس يا حبيبتي

تابعت هند حدثتها وهي حائرة:
مش عارفة يا عبد الرحمن.. أنا بحس أنك مش مهتم بيا خالص .. يعني مثلا أحبنا لوحدنا
دلوقتى المفروض تستغل الفرصة وتقول كلام حلو... لكن أنت نازل أول كأني مش موجودة
ربت عبد الرحمن على معدته وكأنه لم يسمعها وهو يقول:
- الحمد لله ..والله الواحد كان جمان أوى
قالت هند في عصيبية قائلة:
- وكمان مش معبرنى
تنهد عبد الرحمن وتوجه إليها وقال هامسا:
- متزعlish يا حبيبتي والله ما قصدى حاجة.. كل الحكاية بس أني بحترم أني موجود في
مكتب أبويأ مش أكثر من كده
أستدربت هند وهي تقول متبرمة:
- يا سلام هو أنا طلبت منك حاجة وحشة
مط شفتيه بعدم رضا وهو يقول شارحا:
- لاء.. بس أنا لو قلتلك الكلام اللي أنت عايزة وأحنا لوحدنا كده.. الموضوع ممكن يتطور
نظرت له بطرف عينيها وقالت بدلال:
- وأنت بقى خايف على نفسك ولا ايه
تعجب عبد الرحمن بشدة من عبارتها الأخيرة ولم تكن تغنى بالمناسبة له إلا معاً واحدا .. أنها
لا تمانع!!

****

- فرحـة .. يا فرحـة...

انتبهت فرحة لنداء والدتها فأغلقت الحاسوب وذهبت إليها مسرعة وهي تهتف بطفلولية:
- نعم يا مامتى.. بتنادي؟

عفاف:

- بتعمل أيه لوحدك كل ده

فرحه:

- أبدا يا حبيبي كنت بتشغل على الكمبيوتر شوية

زفّرت عفاف بقوة ثم قالت:

- ياى الكمبيوتر .. هو أنت يا بنتى مفيش في حياتك غير الرسم .. يأما على الورق يا أما على الكمبيوتر

أطلقت فرحة تنهيدة ناعمة وهي تقول:

طب أعمل ايه بس يا ماما .. هنا ماليش أصحاب كثير ومش بحب أخرج عمال على بطل

وبعدين زهقت من الجينينة لسه كنت تحت الصبح وكمان أنا بلاقى نفسى في الرسم أوي

تابعت عفاف طهيها وهي تقلب الصحن المعدنى بعزمي و تقول:

طب مينفعش تلاقى نفسك في المطبخ شوية بدل ما انت سابينى محتاسة كده

أقبلت فرحة وهي تقبل والدتها على خديها وقالت:

- يا حبيبي انت تؤمني عاوزانى اعمل ايه .. تحبي اسخن السلطة؟

نظرت لها أمها بتعجب وقالت:

- نعم .. تسخنى السلطة ..! ..الله يكون في عونه

قالت فرحة متسائلة:

- هو مين يا مامتى؟

ضحكت عفاف مجزية:

- اللهى امه داعيه عليه ..

أشاحت فرحة بوجهها بضيق فأردفت عفاف قائلة:
طلب ملويش بوزك كده.. تعالى ساعديني أبوكي وأخواتك زمانهم جايين من الشركة

لوحبت فرحة بيديها في ضجر وهي تقول:

ماهي لو جات على بابا حبيبي وأخواتي كنا قلنا ماشي لكن انت يا ماما عزيمة معاهم عمى
ابراهيم ومراته وولاده

قالت عفاف بنذاصر:

- أشتغلت وأنت ساکتة

ثم أستطردت قائلة:

- وبعدين فيها أيه لما اعزمهم .. أبوكي بيبقى مبسوط والعيلة كلها حواليه
قالت فرحة وهي تقطع الخضر:

- ایوا يا ماما بس طنط فاطمة دى كل ما تشوفتى تقعد تدخل فى خصوصياتى بطريقة غريبة

عفاف:

- معلش يا فرحة دى مرات عـمك برضة استحملاتها وبعدين ده طبع يا بنتى هنعمل ايه

تابعت فرحة حديثها بحـنق وهي تقول:

- أنا عارفة ليه كننا ساکنين فى بيت واحد كده .. أحنا فى دور وعمنا فى دور لا وكمان
سابيين الدور اللي فوقينا فاضي عشان ولاد عمى علی اللى لسه منعرفهمش طريق أصلا

وبختها عفاف لنتوقف عن تزمرها قائلة بتهديد:

- كملى كملى ..لو أبوكي سمعك هيزعل منك أوى ..انت عارفة ابوكي وعارفة ازى يحب العيلة كلها تبقى تحت عنبه .. وبعدين دى وصية جدك الله يرحمه أومال هو بيى العمارة دى
كلها لیه مش عشان نتنلم فيها كلنا ونتجوزوا فيها كمان
قالت فرحة بنراق وهي تستكمل عملها:

- عارفة والله .. أنا سمعت الكلام ده كثير
قالت عفاف بنذاصر:
التف جميع حول الطاولة بعد أن انتهت عفاف وفاطمة وفرحة ووفاء من وضع الطعام عليها، عندما قال الحاج حسين وهو ينظر إلى الجميع في بهجة:

- ربنا يجمنا دائما يارب كده ونفضل طول عمرنا مع بعض

نظر إليه إبراهيم أخيه في حنان وهو يقول:

- طول عمرك بتحب اللملمة يا حسين. والد وجد تجيب ابونا الله يرحمه تقعده معنا على السفرة

ابتسمت فاطمة زوجة إبراهيم وهي تقول:

- ۹ ود اللملمة دى مش ناقصها غير الحاج جاسر الله يرحمه

نظر لها الحاج حسين معانبا وقال:

- ونسيتى أخويا علي الله يرحمه يا أم وليد

تحنحت بحرج وقالت:

- الله يرحم الجميع

تابع حسين حديثه وهو يتنقل بنظراته بين الجميع وهو يقول:

- ولادة

رتب إبراهيم على كتفه بحنان وقال:

- بكره نلاقيمه يا حسين الصبر طيب

أحنى وليد قليلا إلى أمه فاطمة وعلى وجهه علامات السخرية وقال هامسًا:

- قال ولاد عمى قال وأحنا نضمن منين انهم ولاده أصلا
لكزه يوسف الذي كن يجلس عن يساره في جنبي حتى لا يسمعه أبيه وشرع الجميع في الأكل بصمت، قطعه حسين بعد أن انتهى من طعامه وقال وهو ينهض من مكانه:

- متناسباً بكره الصبح يا عبد الرحمن تروح المطار

نهض عبد الرحمن هو الآخر وهو يقول بأدب:

- حاضر يا بابا اللي تؤمر بيه

تكلمت وفاء لأول مرة متساءلة:

- انتوا نسه بتدروا في كشوف المسافرين والعائدين برضة

ردت عليها فرحة قائلة:

- أيا وفاء رابنا يعترنا فيهم يارب

كان الحاج حسين في طريقه إلى غرفة الصالون هو وإبراهيم وعبد الرحمن عندما سمع

تعليق وفاء وله تقول:

- طب أنتوا ليه مفكرتوش أنهم يكونوا في مصر أصلا

توقف حسين واستدار إليها وهو يقول ببطء:

- قصدك أيه يا وفاء؟

تابعت وفاء بحماس:

- يعني ممكن يكونوا مسافروش أصلا

ظل واقفاً في مكانه وهو يقول بتفكير:

- يعني أيه الكلام ده؟ أحنا متأكدين انهم سافروا ..

ثم تابع في شرود:

- الباب سابعها قالنا أنه سمع أحلام بتقول للتناكسي اطلع على المطار

قالت وفاء بشغف بعد أن نظر الجميع إليها:

- يمكن تكون حركة تمويه زي ما يشوف في الأفلام
ضربها أختها وليد على رأسها بخفة وهو يقول:
- بطلّى هبل يا بنت وخاليك في الأفلام بتاعتك
نظر حسين إلى أخته إبراهيم وقال بانتباه:
- أحننا أزاي مفكرناش في الاحتمال ده
قال إبراهيم موضحاً:
- أيوه يا حسين يا خويا بس احنا لما ساننا وقتها عرفنا انها فعلا حزت تذكر على الكويت
تابع حسين وهو يرى الماضى يمر اما ناظره وكانه شريط سينمائي:
- ولما روحنا السفارة ومحدش أدانا عقد نافع ..سرفنا هناك ومعرفناش نلاقينهم يعني ممكن وفاء يكون عنده حق
قال إبراهيم بتركيز:
- لو كانوا في مصر كانوا اكيد لما يكبروا هيدروا علينا وأحنا أسمنا مش شوية .. يعني بسهولة هيوصلوا
نظر حسين إلى أولاده وكأنه يتخز قراراً مصيرياً ثم قال ببطء وقد لمعت عينيه بالأمل:
- من هنا ورايح مش هيدور في الكشوفات بس ..احنا هيدور عليهم في مصر كلها تبادل عبد الرحمن ويوسف النظارات الساخطة المخفية وأوما كل منهما بالإيجاب لأبيهما بينما قال إبراهيم موجهها حديثة لابنه وليد:
- وانت كمان يا وليد هيدور معاهم .. نظر له وليد متفاجأ ثم قال:
- ها..... اه .. طبعا يا بابا...
دخل عبد الرحمن غرفته، بدل ملابسه وتدثر في فراشه وشرع في النوم وهو يبدو عليه علامات الإرهاق الشديد، كاد أن يستغرق في النوم ولكنه فتح عينيه على صوت هاتفه، نظر إليه فوجد اسم هند تضيء به شاشته فأجابها سريعاً بقلقه:

- اللو.. أيوه يا هند في حاجة ولا إيه

اجابة هامسة بنعومة:

- وحشتنتي.. معرفتش انام غير لما اكلمك واسمك صوتك

تناعب عبد الرحمن ثم قال:

- ما احنا لسه كنا مع بعض في الشركة وبعدن انا يدوب كنت هروح في النوم

- يعني مفيش حتى وحشتنتي يا حبيبتى

تناعب مجدداً وهو يقول:

- طبعا وحشتنتي مفيش الكلام..بس مش ملاحظة ان الوقت متأخر على الكلام ده

هند وهي تنتظر لاختها علا التي أشارت لها أن تستمر:

- هو الحب ليه وقت يا عبده..

لم تسمع اجابة منه فنادته قائلة:

- عبد الرحمن؟

عبد الرحمن:

- خخخخخخخخخخخخخخ

اتسعت عينيها بعد أن تأكدت أنه ذهب في نوم عميق وهي تحدثه ونادته هاتفة:

- عبد الرحمن

فزع عبد الرحمن وفتح عينيه بصعوبة وهو يصيح:

- ها.. مين.. فيين .. ازاي

صاحبت هند بغضب:
- انت نمت وانا بكلمك؟

عبد الرحمن وهو يفرك عينيه:

- لا ابدا يا حبيبتي معاكى ها وبعدين

- معايا ! انت نمت وانا بكلمك .. هو انا هفضل اشحت منك الكلام الحلو في المكتب وفي التليفون كمان.

قال عبد الرحمن محاولًا أنهاء المكالمة :

- بصي يا هند يا حبيبتي أوعدك بكره الصبح هقولك كل اللي انت عايزاه .. دلوقتي مش قادر

افتتح عيني يا جبارة ..أمشى يا بت عايز انام

واللقاء الهاتف على الفراش وغطي وجهه مغميًا قبل أن يذهب في نوم عميق :

- البت انحرفت وعاوزه تاخدنى معاها للرذيلة !

***

الفصل الثالث

ألقت هند الهاتف وهي تزفر بشدة قائلة:

- قفل السكة فى وشي

ثم نظرت لأختها علا بعثاب وتابعت:

- عجبك كده منظرى دلوقتي بقى ايه قدامه؟ يايريتني ما سمعت كلامك .. أنا كان مخى فين

بس
نظرت لها علاء متسائلة وهي تقول:
- ليه بس؟

ضمت هند ركبتها إلى صدرها وهي على فراشها و تقول حانقة:
- شكلٓي بقِي وحش أوى بعد الحركة دى ..

ابتستعل علاء بتمب ثم قالت:
- ولا وحش ولا حاجة.. بكره يتعود

حدقت هند بها وقالت بانفعال:
- يتعود على أيه أنت فازكاني أيه.. أنا مقدرش أعمل اللئى أنت عايزاه ده.. أنا كبيرى أوى

أد ع ع عليه

نظرت لها علاء بطرف عينيها باستخفاف قائلة:
- يا ودبب سباق هيلة لو معملتيش كده الخطوبة هتطول .. وده واحد ابن ناس وألف واحدة

حاطة عينها عليه ونفسها يتصلها .. ويمكن يلاقى واحدة أحلى منك ويشبك معها ويرميى

. لازم تغلقى بيكي على قد ما تقدرى علشان يعجل بالجواز ويفقولك يالا نتجوز بكره ..الوقت

مش في صالحك يا هند

أشاحت هند بوجهها وهي تهتف باستنكار:
- لم بص أنا اعرف عبد الرحمن كوي .. مالوش في البنات أوى يعني وبعدين معنودش

وقت ليهم كمان وانا متأكد أنه يبحشنى ومش هيسيبي و خايفة أسمع كلمك يفكر أنى

واحدة مش كويسه ويفسخ الخطوبة

علا:

- هو أنا قلتلك اعمل حاچه وحشه لا سمح الله .. أنا يقولك علقيه بيكي بس .. ده شكله بارد

ونفسه طويل وبعدين تقدرى تقوليلى اللي زي ده والفلوس على قلبه هو و عيلته كلها وجاي

يمل خطوبة ليه؟ .. أيه عاوز وقت يجب الشقة ولا يعمل جمعية علشان العفش

- لا علشان نقرب من بعض ونعرف بعض كويس
أجابت علا بثقة:

- يا سلام ما أنت معاهم بقالك سنة دلوقرت .. كل ده لسه ميعرفكش .. اسمعى كلمى هو مين اللي خالاه يحبك ويخطبك .. مش هى نصايحي دى اللي مش عاجباكى دلوقرت ؟!!!

***

عادت وفاء من الجامعة وكانت في طريقها الى بوابة المنزل الداخلية ولكنها لمحت فرحة تجلس في الحديقة وترسم منهماكة في لوحاتها، غيرت أتجاهها وذهبت إليها بابتسامة

مرحة قائلة:

- السلام عليكم .. بتعملى أيه بترسمى برضة

أجابتها فرحة بمشاكسة:

- أومال شايفاتى بطبع عنى .. أيه اللي جابك بدرى خلصتى محاضرات؟

جلست وفاء على أحد المقاعد الصغيرة بجوارها وهي تقول:

- لا يا ستى كان عدنى محاضرة جنانى وتلقت

زفرت فرحة ثم قالت متعجبة:

- والله أنا مش عارفة أيه حبك في دراستك دى هتطلعى أيه يعنى وكيل نيابة ولا قضى

وفاء:

- ولا ده ولا ده أنا نفىى أبقى محامية وياسلام بعنى لو أختصص في قضايا القتل يا بنت عمى

ألفنتت إليها فرحة في دهسه هاتفة:

- يخربيت الأفلام الأكشن اللي بتنفرجي عليها دى .. أيه هتعملى فيها شارلوك هولمز ولا يه

نظرت لها وفاء وقالت باستنكار:

- محدش بيقدر الجميل ابدا .. ماهو يا ست علبة ألوان أنت لى مكنش شارلوك هولمز ده

مكتش أبوكى وأبوايا اكتشفوا أنهم بيدروا على سراب من سنين ولا ناسية أي أنا اللي

نبهتهم أن ولاد عمى ممكن يكونوا في مصر أساسًا ومسافروش
نظرت إليها فرحة في تفكير وقالت بشرود:
- تفكري يا وفاء لو هم في مصر ليو مدوزش علينا
وفاء:
- الله أعلم .. أحننا لحد دلوقتى متعفرش أصلا هي مرات عمى علي خدتهم ومشيت ليه..طيب
لو قلتنا علشان أطلقوا ..طيب وأيه يعني هي كل واحدة تطلق عيالها وتهرب ..لالالا
الموضوع فيه سر!!
***
نظر عبد الرحمن في الكشوفات للمرة الثانية وهو غير مصدق متممّا "معقول " !
قال صديقه متسائلاً:
- أيه الأسم فيه حاجة غلط؟
قال عبد الرحمن وهو مازال مملاً في الكشوفات:
- لده صح جدا .. جدا...
ثم نظر إلى صديقه بنظارات لامعة وكأنه عثر على كنز لتوزو وقال:
- هات ورقة وقم بسرعة
نقل عبد الرحمن بعض البيانات في ورقة خاصة وترك صديقه وأنطلق إلى سيارته في
سرعة عاندًا إلى الشركة بللهفة وهو يتخيل سعادة والده بالخبر الذي يحمله إليه، وصل إلى
مقر الشركة وصعد إلى أبيه في سرعة ودلف إلى مكتب هند وهو يقول في عجلة من أمره
- هند بابا جوه مش كده
وقفت وعلى وجهها علامات الاستنكار من أسلوبه فهو لم يلقى حتى عليها السلام وقبل أن
تنفوه بكلمة تركها وتوجه للمكتب وطرق ودخل
كان يتوقع أن يجد أبيه بمفردته ولكنه وجد عمه إبراهيم وولده وليد وشاهد أخيه يوسف يقف
بجوار أبيه الذي نظر إليه وقال:
- كويس أنك جيت يا عبد الرحمن تعالى
قال عبد الرحمن بشفغ:
- أنا لسه واصل من المطار حالا يا بابا ومش هتصدق عندي ليك مفاجأة بمليون جنيه

عقب يوسف ساخراً:
- أهنا اللئ عندنا مفاجأة بعشرة مليون مش مليون واحدة
نظر له عبد الرحمن بتساؤل فشاهد والده يتناول خطاب مفتوح أمامه ومد يده به وهو يقول:
- مرات علك علي بعئتني جواب
أخذ عبد الرحمن الظرف ونظر إليه بتمعن وقال:
- ده مفيش عنوان ولا ختم ولا حاجة ..الجواب ده وصل هنا ازاي

قال حسين شارحاً:
- هند جبتةولى مع البوضطة وقالتلي أنها لقتيه في صندوق البريد اللي في مدخل الشركة
ولعبا بما أنه مكتوب عليه خاص وأسمى فمحدش فتحه غيرى
صمت عبد الرحمن وقال بتفكير:
- يبقى أكيد هى اللي حطت الجواب في الصندوق
قال إبراهيم متسائلاً:
- يعني أيه يابني الكلام ده
قال عبد الرحمن على الفور:
- ماالي دى المفاجأة بتاعته .. أنا لقيت اسمها في الكشف .. جات أول امبارمح ومشيت
امبارمح بالليل .. يعني باتت ليلة واحدة .. وأكيد هي أو حد تبعها اللي حط الجواب ده في
الصندوق
ألتفت الحاج حسين إليه قالا بنفاذ صبر:
- يعني مقرش الجواب يا عبد الرحمن؟
أنتبه عبد الرحمن وفتح الخطاب وقرأ ما فيه بصوت مسموع قليلاً:
"أزيك يا حسين .. أنا أحلام مرات أخوك علي الله يرحمه .. قصدي طليقته .. أنا عارفة أنك قتلت بعد السنين .. ومعرفش إذا كنت تحرر بالجواب ده ولا تقطعه وت琉به في الزبالة .. أنا مش هفتح في القديم يا أبو عبد الرحمن اننا بعتلك الجواب ده مخصص عشان ولاد أخوك .. إيمان وإيهاب ومرهم .. يا ترى فاكرهم ولا لاء .. بلاش تخلى القديم بقف بينك وبين ولاد اخوك اللي من لحمك ودمكم

ماهو مش معقول تيقوا انطوا عايشين في العز وولد أخوك بيشتغلوا عشان يعرفوا بأكلوا نفسهم عشان مش عايزين جوز امهم يصرف عليهم .. الولد في مصر ومباقش في داعي انى اخبيهم تاني هما خلاص كبروا .. وياكنا نشوف ايه .. انا هديك عنوانهم وانا متاكدة انك لما تروح وتشوفهم عايشين ازاى ضميرك مش هيسملك تتخلى عنهم"

...............

رفع عبد الرحمن نظره من الخطاب متعباً وهو يقول:

- في السيدة زينب !! .. ولاد عمى في السيدة زينب السنين دي كلها واحنا منعفش

قال وليد بسرعة:

- يا جماعه مش عاوزين تنتصرع لازم نتأكد الأول ان اللجاب ده مش لعبة من حد .. ولازم نتأكد هما فعلا هما دول ولاد عمنا ولا نصبه ما يمكن حد بشتغلنا ..

نظر إليه والده معاطبة:

- تفتكرا يابني به الكلام اللي مكتوب ده هنقدر نصبر

وليد:

- يا بابا ماهو ايه حد يقدر يكتب ايه كلام عشان يصعب علينا .. مش ايه حد كده نصدقه

عبد الرحمن وكأنه لم يسمع شيئا توجه بالحديث إلى أبيه قانلاً:

- ها يا بابا تحب تعمل ايه

كان الحاج حسين واضعاً رأسه بين كفيه غارقاً في ذكرياته عانيدا بها للخلف سنوات و سنوات

"ياريتني سمعت كلام أبويا الله يرحمه .. الشك مالي قلبي يا حسين مش عارف اعمل ايه
حسين:
- أهدى يا علي بس وصل على النبي كده
 علي بصوت أقرب للبكاء:

- عليه الصلاة والسلام .. أنا عارف انى استاهل أكثر من كده كمان لانى عصيت ابوي ومات
 وهو غضبان عليا

حسين :

متبولش كده يا علي يا اخويا ابوك عمره ما غضب عليك بالعكس ده كان بيد عليك ليل نهار
 ووصاني عليك قبل ما يموت وقالى أفضل جنبيك ومسيبكش لحظة
 قال علي في لوعة

الله يرحمك يا يابويا كنت حاسس باللى هيحصلي ونبهنتى وانا كنت اعمي القلب

رتب حسين على كتفه في حنان وقال:

- على فكره بقي الوساوس دى وساوس شيطان مراتك ست كويستة وتحبك
 على فى حسرة

- شوف انت بتنقول عليها ايه وهى بتنقول عليك ايه .. وانا من غباني سممت كلمها وخدت
 منك ورثى من ابويا كله وعملت المشاريع الفاشلة اللي كانت عايزاها وخسرت كل حاجة
 .. خلاص خلاص بقيت عاله عليكوا يا حسين انت وأبراهيم

حسين :

متبولش كده يا علي فلسوسنا هي فلوسك اهدى بس متعاملش فى نفسك كده ده انت صاحب
 مرض وعيالك محتجينك يا اخويا

""""""""""""""

افظ حسين من شروده وعاد من ذكرياته على صوت ولده يوسف وهو يهتف به ويهجه
 برفق:

- بابا .. بابا أنت كويست
رفع حسين رأسه إليهم مرة أخرى وقال بشرود:
- ايا يا يوسف يا باني أنا كويس متقلش
يوسف في قلق:
- اصلك مرتكش على عبد الرحمن يعني .. بيقول هتعمل ايه .. هنروح؟

****

الله الله .. بتلبسي كده ورايحة على فين .. مش قلتى عندك أجازة النهاردة
كانت مريم تلف حجابها أمام المرآه وهي تجيب أختها إيمان:
- خلصتى صلاة ؟ حراما ..

ثم تابعت مردفة:

- أنا خارجه مع سلمى صاحبتى هنتمشي شوية يا إيمان مخفوقة أوى من قاعدة البيت
قالت إيمان وهي تبتسم:
- اه خلصت صلاة .. وقلتلك مية مرة قبل كده اسمها تقبل الله .. حراما دى ملهاش اصل فى
السنة ..
وتابعت حديثها قائلة :
- أخوكي جاي بدرى النهاردة .. أستنى تتغدى مع بعض

ضحكت مريم وقالت بمرح:
- أنغدوا انتهوا بقى انتوا مشايخ زي بعض .. انا هتغدى مع سلمى بره
زهرت إيمان بضيق ثم قالت متسائلة :

راكرين فين ؟ .. أنا مبحش صاحبتكن دى ابدا مش بصرحلها خالص
قالت مريم وهي تثبت حجابها:
- وايه الجديد ... على طول بتقولى كده
قالت إيمان بقلق:
- من ساعة ما عرفتى البنت دى وانتى طريقة لبسك اتغيرت حتى طريقة كلامك مبتش زي زمان
قالت مريم بغرور مصطنع:
- غلطانة يا إيمان .. مش سلمى هي السبب انت ناسيه انا في كلية سياحة وفنانق يعني لازم
لبسي يبقى شيك زي صحباتى هناك وإلا هيفقولوا علیا معقده.. وبعد ان مش أي حد ان
مريم على جاسر عارفة عيلة جاسر ولا مبنتميش عنهم
رفعت إيمان حاجبيها متعجبة وهي تقول:
- من أمتي النغمة دى.. واحدا من أمتي بنقول احنا من عيلة جاسر؟ .. خدنا منها ايه يعني
غير الغربة في بلدنا
أخذت مريم حقيبتها واتجهت لباب الشقة وهي تقول:
- بكره هناخد وهنأخذ كثير وهمتقولى مريم قالت
- توقفت إيمان بإشارة من يدها قائلة:
- تقصدي ايه يا مريم؟
تحركت مريم تجاه الباب وهي تقول:
- ولا حاجة بالسالم
وأرسلت لها قبلة في الهواء وقالت:
- بوسيلى إيهاب متسهش
خرجت مريم وتركت إيمان منهذة من طريقة حديثها عن عائلة أبيها .. بعد دقائق طرق
الباب ظنت إيمان أن مريم قد عادت مرة أخرى .. فتحت الباب وهي تقول:
- نسيتى أي-
وتوقفت فجأة عن الكلام وبتتر عبارتها متسائلة بتوجه:
الفصل الرابع

توقفت إيمان عن الكلام وبتربت عبارتها وهي تنظر إلى ذلك الرجل الذي يبدو عليه علامات الوقار وتعلو وجهه ابتسامة حانية وأخيرًا خرجت من صمتها وقالت متسائلة:

- مين حضرتك؟

كان يتفرس في ملامحها بحنان ثم قال بهدوء:

- أنت إيمان مش كده؟

أومأت براسها وهي تقول:

- ايوا .. مين حضرتك؟

أرستمت على وجهه ابتسامة كبيرة ولمعت عيناه وقال:

- أنا عموك يا بنتي

نظرت له بذهول ودهشة وقالت:

- عم مين؟

قال في حنان:

- عموك حسين يا بنتي .. حسين جاسر

وجدها تنظر إليه صامتة تسهوها علامات الدهشة والوجه فقال:

- إيه مش هتقولي افضل يا عمى

أشارت إليه بسمته وأفسحت له الطريق وهي مازالت واجمة ، دخل وأغلق الباب خلفه وجال بنظره في أنحاء الشقة ، كانت شقة بسيطة ومتواضعة جدا حتى عاد بنظره إليها عندما قالت بعبارت:
.imagetext
تنورنا يا عمى ده يشرفنا

سمعته إيمان صوت مفتاح المنزل يدور في الباب، ففتح الباب ودخل شاب في منتصف العقد الثاني من عمره يحمل نفس ملامح أباه ووسامته مع فارق العمر، وقف إيهاب ينظر إلى الرجل الغريب الذي وجدته في منزله في دهشة وقبول ان يتكلم وقف الحاج حسين ولمعت عيناه بالدموع وهو يتقدم نحو إيهاب فاتح له ذراعيه ويقول:

- إيهاب

أحضنه في حنان وهو يقول:

- مسأله الله. كبرت يابني وبقيت نسخة من أبوك الله يرحمه نظر إيهاب لأخته التي ما لبثت ان قالت:

- عمى حسين يا إيهاب

زادت دهشته وهو يمعن النظر في حسين وقال مردا:

- عمى حسين!!

حسين:

- اياها يابني أنا عمكم حسين

ثم تابع:

- بقالي سنين بدور عليكم واديئي لقيتكم الحمد لله أغلق إيهاب الباب وقال باستنكار:

- ليه حضرتك كنت بتدور علينا في بلد تانية ولا يه؟

أشارته له أخته أن يبدأ وقبل أن يشرع في الكلام بانفعال مرة أخرى قاطعه حسين قائلا:

- اياها يابني كنت بدور عليكم في بلد تانية انت مغلطش قال إيهاب بضيق وهو يشيح بوجهه بعيدا:

- مش فاهم حضرتك
ربت حسين على كتف إيهاب وأشار إلى إيمان وقال:
- تعالوا اقعدوا وانا هحكمك كل حاجة

****

- شايف عمال عمى يا بابا. أول ما عرف مكانهم جرى عليهم من غير حتى ما يتاءد
- ومرضهم ياخذ حد من ولاده معاه

- عيب كده يا وليد لما تتكلم عن عمه اتكلم بأدب

صال وليد بانفعال:
- أدب ايه بقى يا بابا ..

وضرب جبينه براحة يده وهو يقول بعصبية:
- أنا عارف عمى كويس .. حنين زيادة عن النزوم وطبعا هيجبهم معاه ويعدهم وسطينا
- ومش بعيد يجيبهم الشركة هنا وتبقي هيصة بقى

قطب إبراهيم حاجبيه بضيق قانونا:
- اه يعني انت بقى كل اللي هامك الشركة .. قولتلي
- يا بابا مش مسألة الشركة وبس .. عمى هدخلهم في عينا .. والله أعلم هما ناويين على
- أيه .. ماهي حاجة بالعقل كده .. أيه اللي يخلة اهمهم تقول على مكانهم فجأه كده أكيد
- بيخططا لحاجة

هتيف إبراهيم بعصبية:
- أسمع يا وليد انا عارفك كويس وعارف انت عاوز ايه وعارف أمك بتحط في دماغك ايه
- لكن لازم تعرف ان دول ولاد اخويا على اللي اتحرمنا منه وهو لسه في عز شبابه ومش
- هنفرط في ولاده أنت فاهمني ولا لاء
قال وليد بسخرية:

- مش لما تتأكدوا أنهم وادوا فعلا مش واد راجل تانيين قام والده في انفعال وقد احمر وجهه غاضبا وصاح في وجهه:

- والله لو كررتها تاني لطقلك لسانك ..أنت فاهم ولا لاء ..أنت مين يابنى اللي دخل في مخك الكلام الفارغ ده أطرق وليد برأسه بينما اتجه إبراهيم إلى الإريكة ليجلس عليها محاولا تهدئة الموقف ثم قال بثقة:

- قالتلك ان وس ولا قالت لاختك كمان الكلام الفارغ ده؟

وقف وليد مدافعا وقال في سرعة:

- لا يا بابا ماما مالهاش دعوة بالموضوع ابتسام إبراهيم وهو يقول بهدوء:

- هو أنا جبت سيرة أمك دلوقتي ..

جلس وليد بعصبية فلقد استطاع والده أن يعرف منه كل شيء بدون مجهود وشعر بيد والده توضع على كتفه قايله له بتفهم:

- أسمع يا وليد يابنى مالوش داعه كل اللي بتعمله ده .. اللي انت خايف منه مالوش اساس من الصحة .. وجلس خلف مكتبته وهو يتابع حديثه قايم:

- عفك علي الله يرحمه أخذ ورثه من جدك كل وخرج من الشركة ومضية ورق على كده يغنى الشركة والمشاريع بتاعتنا دى بيني وبين عفك حسين بس .. ريح نفسك وطمن أمك .. ده اللي ليك تعرفه لكن تجيب سيرة عفك علي وولاده بالشكل ده تاني مش هسكتلك .. فاهم

***

خرج وليد حانقا من مكتب والده وخرج من الشركة متوجها إلى سيارته ولكنه تصادم مع يوسف ابن عمه الذي قال:

- أيه يابنى وأخذ في وشك كده ليه .. راح في دلوقتي
هتف وليد بصعوبة:
- بسني في حاليا يا يوسف انا مش طاقي نفسى
ضحى يوسف وقال:
- شكلك واح دش بارد
أشاح وليد بوجه وهو يفتح باب سيارته:
- أيوا أتسلى عليا بقى لا يا حبيبي مش هديلك الفرصة دى عن آذنك ..
ركب سيارته ولكن يوسف فتح الباب الآخر وركب بجواره وأغلق الباب وقال:
- ايه ياينى بر روك كده وقولى المالك
- ولا حاجة مخونق شوية ورايح اتمشى بالعربية
يوسف:
- طب انا جاي معاك
أطلق وليد بالسيارة حتى وصل إلى طريق كورنيش النيل ومنه دخلنا إلى أحدى السفن
العائمة الكبيرة .. سارع يوسف إلى أحدى الطاولات وهو يقول بفكاهة:
- انا حجزت ده الأول .. بحب اقعد جنب الشباك
لم يستطع وليد أن يتحمل نفسه من طريقه ابن عمه الطفولية وضحى بصوت مرتفع وهو
يقول :
- هتفضل طول عمرك عيل ياينى كلها على بعضها شباك منك لربنا على طول
ضحكا سويا بشكل طفولي .. ألمفتت لهما فتاة فو أواء العشرينات وتفحصتهما قليلا ثم
الفتت إلى صديقتها التي تجلس معها على نفس الطاولة وقالت :
- شايفة ولاد العز شكلهم ايه يا مريم
قالت مريم بصوت هامس:
- بصي قدامك يا سلمى كده هياخدوا بهالهم انت باصة عليهم ميصحتش كده
همست سلمى بميوعة:

- طب ماهو ده اللي أنا عايزة ..حد لاقى بابنتي

قالت مريم بتوتر:

- أنا مبحش أخرج معاكى علشان كده .. علشان طريقتك دى
- ولما انت ياختى مبتحبيش طريقتي بتخرجى معايا ليه .. أقولك انا ليه .. علشان انا اللي

بظطبك وبوديكى الأماكن النضيفة دى

هفتت مريم معترضة:

- يسلام هو انا يعني معرفش آجى هنا من غيرك

قالت سلمى بثقة:

- لا تعرفى بس معندكش الجز أة ..انت كده على طول عين في الشرق وعين في الغرب تبقى
عينك هتطلع على الحاجة وعاوزه اللي يجمهالك لحد عندك لكن انت متمحركيش ناحيتها أبدا

همست مريم بحنق:

- مانشأ الله وحللتينى نفسي كمان

هزت سلمى رأسها موافقة وقالت:

- اه حللتوك وعارفاكى .. حتى الحجاب اللي انت لايسا ده مصره تلبسيه علشان اخواتك بس
ميز علوش منك لكن انت نفسك في اللي يقلعهلك

وقفت مريم بصبره وقالت بحنق:

- كده يا سلمى طب انا غلطانة انى خرجت معاكى أصلا .. انا ماهية

وأخذ حقيبتها وانصرفت ، كانت سلمى ستتركها ولكنها في لحظة لمعت فكرة في عقلها
ووجدتها فرصة لا تفوض حتى تلفت نظر الشابين إليها، نهضت على الفور ولحقت بمريم
وتكلمت بصوت مرتفع قليلاً:

- تعالى بس يا مريم متبقيش عيله بقي عيب كده هنخر بعض علشان ايه يعني

ألتفتت إليها مريم بدهشة وقالت:
وطئ صوتك يا سلمي الناس بتensch علينا

نجحت سلمي في لفت انتباه وليد يوسف لهما ولمحت وليد ينظر إليها ويتفحصها بنظرة تعرفها جيداً ولكنها تجاهلت ذلك وقالت لمريم:

- تعالى بس يا مريم استهدى بالله تعالى يا ستى أنا أسف

جذبتها وعادت بها إلى الطاولة مرة أخرى، جلست سلمي وهي مازالت ممسكة بيد مريم

قالت:

- خلاص بقى متبقيش حماقيا.. ها تشربي إيه أنا عازماكي

أجابتها مريم بضيق:

- مش عاوزة حاجة

- لا والله لازم تشبي هجبلك ليمون يروق دمك

مازال وليد ينظر إلى سلمي ويتتابع حركتها المنظره للأنظار وهو يوجه حديثه ليوسف قائلًا:

- شايها يا يوسف يابن عمى الطلقتين دول

ثم تتابع بنظارات شيطانية:

- بس فيهم بصراحة طلقة أرض جو

ألقى يوسف إيهما نظرة عابرة والتفت في الاتجاه الآخر ناظرا لمياه النيل وهو يبتسم بسخرية ويقول:

- مفيش فايدة فيك .. متعصب ومضايق وفي لحظة قلبت وبص الطلقتين دول .. قولى صحيح

يا وليد هو انت ابن عمى بجد ولا ابن عمى لحد ما تفرج بس

أطلق وليد ضحكة عابرة التفتت لها سلمي ونظرت له بدلًا ثم عادت ونظرت إلى مريم مرة أخرى وأكملت حديثها معها، ولكن مريم لاحظت ما تقوم به سلمي من نظارات متواجدة فقالت:

- سلمي لو ملمتش نفسك همشى وأسباك

زفرت سلمي في ضيق:

- خلاص يا ست خضرة الشريفة خلاص .. أشربي وانت ساكتة
تناول وليد قهوته ومازال يمرق سلمى بنظرات جريئة وهي تختل النظر إليه من وقت لآخر وكانها تراسله فقال يوسف:

- شكلي دخلت دماغها يا يوسف
مط يوسف شفته بازدراء قائلاً:

- يابني انضف بقى.. انت عمريك ما تبص لواحدة نضيفة أبداً
ضحك وليد وقال:

- ماهى لو نضيفة مش هبصلها يا عم يوسف ولا إيه؟
أومأ يوسف برأسه موافقا وقال:

- البنى زمان كان لما واحد يوصلها تتكشف وتدور وشوا دلوتى بقى البنى هى الللى بتعمل
فيلم زى الللى اعمل من شوية ده عشاش نوصلها
قال وليد بخبث:

- ما انت واعى اهو وعرفت انه فيلم أومال عامل قطة مغمضة ليه
تنهد يوسف بقوة وهو يقول:

- البنى المحترمة بقت تتعبد على الصوابع
داعبه وليد بمرح:

- حتى الصوابع دى هقليها فى الزيت واعملها صوابع زينب واكلها
وضع يوسف حساب مشروباتهم على الطاولة وهو يقول :

- والله أنت مسخرة .. يالا بينا نشوف ورانا إيه يا دنجوان عصرك
قال وليد بتصميم وهو ينظر لسلمى:

- لا مش همشى إلا لما آخذ نمرتها .. حرام عليك عنها هتطلع عليها شكلها حبتنى زى اخوها
أوعى تفهمها صح يا يوسف
نهض يوسف وهو يدفعه من كتفه قائلاً:
قوم ياّني انت حرم بك عشتك قوم .. والله عال مش ناقص غير الأشكال دي كمان
قال وليد بأسف وهو يأخذ مفاتيح سيارته:
لا لا بس البيت اللي معاها حته حجاب على شعرها وشكلها كده يدي على واحده كان نفسها
تبقى محترمة بس قفِّلوا عليها الفرن بدرى شوية
ألقى عليها يوسف نظرة سريعة قبل أن يغادر وقد احتلت وجهه علامات الازدراء والتقلز.

***

في أيه يا جماعة مالكوا قاعدين مبلمين كده ليه؟
نظر لها إيهاب بعصبية وقال:
أتلَّرتيا ليه يا مريم .. أعمَّى حسابك مفيش خروج ثاني انتِ فاهمه ولا لا؟
هتفت بحنق:
- إيه يا إيهاب بتزعقلي ليه .. ده هما ساعتين
تدخلت إيمان محاولة تهدئة قائلة:
- لوسِحت أهدي يا إيهاب مش كده .. هي مالهاش ذنب
صاح بانفعال:
- سبوني لوحدى دلوقتي
لمعت عيني مريم بالدموع وأسرعت إلى غرفتها ، لحقت بها إيمان وقالت مهددة إياها:
- معشيا يا مريم أخوكى متعصّب شوية وفاجاً فيه
قالت مريم وهي تبكي بشدة:
- أول مره يزعقلي كده .. وكمان معملتش حاجة
ربعت إيمان على ذراعها وهي تقول:
- معلش يا حبيبتي أنت عارفة إيهاب بيهبك قد أيه يس أذريه عصب عنه

جففت مريم دموعها وهي تنسائل:

- يعني أيه عصب عنه.. في حاجة حصلت؟
قالت إيمان بارتباك:

- عمك حسين جالنا النهاردة

تسرعت مريم قائلة:

- طب وفيها أيه؟

نظرت إليها إيمان بشك متسائلة:

- ومالك كده كأنك كنتى متوقعة الخبر؟

نظرت لها مريم بتماسك وهي تقول بتعلثم:

- عادى يعني مش ده عمنا برضة

أمستها إيمان من ذراعيها وقالت بغضب مكتوم:

- تعرفى أيه يا مريم ومخيباه عنى .. أنت كنتى عارفة أنه جاء مش كده؟

همست مريم برجاء:

- هقولك بس متقوليش لإيهاب

رمقتها إيمان بنظارات ثاقبة وقالت:

- قولى

أبتلعت مريم ريقها وقالت:

- ماما لما جاء من السفر وبانت معنا هنا قالتلي أنها هتبيت لعمى حسين جواب وتعرفه
مكانا وقالتلي أنه احتمال كبير يجيلنا هنا

ضيقت إيمان حدقتها بما تفكير ثم قالت:
- والجواب ده بعثته قبل ما تنزل مصر؟

هزمت مريم رأسها نفياً وهي تقول:

- لا من مصر

قالت إيمان بدهة:

- أمتي؟! دى جات بابت معانا ومشييت الصبح وإيهاب وصلها المطار

نظرت إليها مريم وقالت بتردد:

- لا أعصها مش زي ما فهمتوكا كده انها لسه وصله المغرب لا.. دى كانت وصلت من بعد الظهر وبعنت الجواب ده لعمى قبل ما تجيلنا هنا البيت وتبات معانا

نظرت لها إيمان بعدم تصديق وقالت:

- ازاي الكلام ده.. عمى قال في كلماته ان الصندوق كان فاضى امبارح وهما نازلين من الشركة بالليل وان لهج لقي الجواب في صندوق البريد بتاع الشركة النهاردة الصبح ..

قالت مريم بضجر:

- معرفش بقى هي قالتلها انها اتصرفت وشافت حد تثق فيه

نظرت لها إيمان محذرة وقالت:

- مريييم

هتفت مريم مدافعة عن نفسها:

- والله ما اعرف اكتر من اللي قلته.. وممش انا اللي بعث الجواب والدليل على كده انا كنت معاكى في البيت الصبح ومخرجتى غير بعد الظهر

تنهدت إيمان بقوة أخرجت فيها ما يعلق في صدرها من قلق وتوتر ثم قالت:

- خلاص مش مهتم مين اللي بعث الجواب مش دى القضية دلوقتي.. المهم دلوقتى لازم نقعد نفكر في الكلام اللي عمى قاله وفي العرض اللي عرضه علينا.
الفصل الخامس

جمع حسين عائلته وعائلة أخيه إبراهيم وقص عليهم ما حدث في مقابلته مع أولاد أخيه علي، إيهاب وإيمان، ورد فعلهما تجاه عرضه الذي عرضهم عليهما وبمجرد أن انتهى من حديثة قال عبد الرحمن:

- ورفضوا ليه يا بابا؟

- والله يابنى ده شيء طبيعي بعد الفكرة الغلط اللي كانوا واخدينها عننا

قال عبد الرحمن باهتمام:

- أيوه بس المفروض أنك حكتله الحقيقة

أجابته والدته عفاف قائلة:

- الحقيقة دى من وجهة نظرنا احنا.. لكن أكيد هما مش هيكديوا أمهم ويصدقونا .. خصوصا أنهم متربوش وسطتنا ومعرفوناش أصلا

تنهد الحاج إبراهيم قائلا:

- طب ووصلتوا لأيه في الآخر

قال حسين وهو يحرك برأسه بوقار:

- بعد محاولات كتيرة أوى قالوا عاوزين فرصة نفكر ونستخبر رينا
نظر وليد إلى أمه فاطمة التي بادلته النظارات الساخرة وهي تمتص شفتها بببر مما يحدث، بينما تكملت وفاء قائلة:

- طب أيه رأيك يا عمى نروحلهم أنا وفرح ونتعرف عليهم ونتقرب منهم قاطعها وليد بسخط:

- تروحى فيه وقح راح معاهم في البيت.

قال الحاج حسين وقد استحسن الفكرة:

- بسيطة ياخذوا معاهم يوسف أو عبد الرحمن أو انت تروح معاهم.

قال وليد باستنكار:

- أنا..للا أنا مش فاضي يا عمى معلش نظير حسين لي ولديه قائلة:

- خلاص حد فيكم يروح معاهم.

نهض إبراهيم قائلًا بهدوء:

- أنا هروح معاهم يا حسين.. نفسي أشوف ولاد أخوية.

***

وفي اليوم التالي مساءً، كانت أحلام تتلائم مع أولادها في الهاتف بانفعال شديد:

- يعني أيه مش عاوزين تروحوا تشعلوا هناك.. أيه لعب العيال ده.. شوية عيال زيكوا هميشوا كلامهم عليا ولا أيه زيفر إيهاب بنفاذ صبر وقال:

- يا ماما أهدي شوية مش كده.. أنت حتى مش عاوزة تسمعينا

صاحت بغضب:
- أنا سمعت كثير وياريتني ما سمعت. أسمع يا واد منك ليها.. هتروحوا يعني هتروحوا
ومش عاوزة كلمة تانية
رد إيهاب بانفعال أكبر:
- ولو قلتنا لا؟

شعرت أحلام أنها لو انفعلت مرة أخرى ستفقد تأييد أولادها لها فقرر تغير طريقة معاملتها معهم. بلدت نبرة صوتها ونسجتها بالشجن والحزن وقالت:

- وأنا اللي قلت أنك بتحبوني وتبسموا كلامي وأكيد مش هترفضولي طلب يا إيهاب ..
وبعدين يابني دول عمامكم برضة. يعني مش هتقعدوا عند حد غريب.. يابني اننا لكوا حق عندمبعش يعني مش هتقعدوا عاله عليهم.. ده كله من خير أبوك.. يعني هتعيشوا في ملككم زيهم بالطبط

هذا إيهاب قليلا ثم قال:

- آيوا يا ماما يس حقنا ده محدث هيعترف بيه أبدا.. يعني هنفضل في نظرهم عاله
قالت بهدوء شديد:

- لا يا حبيبي أنا متأكدة ان عنك انتغير.. ولو مكنش انتغير مكنش جالكم بعد ما قرا الجواب وطلب تعيشوا معاه .. وطلما انتغير يبقى لما تعيشوا معاه ويعرفكم كويسب ويحبكم ضميره
هيصحى وهيرجعلكم فلوس أبوكم الله يرحمه ..

قالت كلمتها الأخيرة وهي تغلفها بكاء مصطنعب مما جعل حقنها يترفع وهو يسألها:

- أنا نفسي أعرف يا ماما.. أيه اللي خلاكم تبعتي الجواب ده بعد السنين دي كلاها.. ليه فجأة كده غاوزانا نرجعهم.. مش انت اللي كنتي بتنبهي علينا أن محدث منهم يعرف طريقنا وانا
نبعد عن أي حاجة اسمهم عليها حتى
قالت ببعض الحماس:

- ده كان زمان يابني .. اه كنت خايفة عليهم من أذاهم احسن يطلقوا زي ما طالن لما كنت عايشه وسطهم.. لكن من فترة كده سمعت أنهم رجعوا لربينا وبقوا يعملوا خير كبير وبقيت اسمع عن أعمالهم الخيرية .. قلت يبقى خيرأعرفهم طريق ولاد اخوهم يمكن ضميرهم
يصحى ويرجعوا مال اليتمه اللي نهيوه زمان .. وأهو برضة نبقي خدن ثواب صلة الرحم
لم يشعر إيهاب بالصدق في حديث والدته ولكننا لم نتجأ على القول بهذا، نظر إلى أختيه

إيمان ومرير التي كانت تتبع الحديث بشغف ثم ألقي سماعة الهاتف إلى إيمان قالت:

- خدي كلميها

أعادت أحلام عليها نفس الكلام بشجن أكبر حتى قالت إيمان:

- خلاص يا ماما نستخير ربنا ونرد عليك

أشاحت أحلام بوجهها بعيدا عن سماعة الهاتف حتى لا تسمع إيمان صوت زفرتها التي

زفرتها في ضيق ثم رسمت ابتسامة على شفتيها لتخرج كلمات مناسبة من بينهما وقالت:

- طبئا يا حبيبتي لازم نستخير ربنا قبل أ حاجة وإن شاء الله ربنا هيدلوكا على الخير

أعطت السماعة لمريم التي اكتشفت بالسلام والتحية فقط، وقبل أن تغلق الخط قالت لها أمها:

- مش هوفيشي بقى يا مريم .ماشي

قالت مريم بتوتر:

- ربنا يسهل يا ماما

جلس الثلاثة في حلقة نقاش وتشاور حول الأمر حتى سمعوا طرق على باب الشقة، أردت

إيمان أسال الصلاة وتوجه إيهاب ليرى من الطارق، كانت مفاجأة أخرى له ولأخته عندما

علموا أن الزائر هو عمهم إبراهيم وفي صحته عبد الرحمن وفرحه ووفاء. أخذ الحاج

إبراهيم إيهاب بين ذراعيه وربت على كتفه وهو يقول:

- مشاء الله اللذي يشوفك يقول عليك أبوك وهو صغير الله يرحمه

تراجع إيهاب ليفسح المجال لـ إيمان ومرير ثم أبتسم لـ عبد الرحمن وصاحبته، استبترت

إيمان بعد مصافحة عمها والسلام على فرحة ووفاء وفوجدت بعبد الرحمن يمد يده إليها

بالسلام وهو يقول مبتسما:

- أنت إيمان توالم إيهاب مش كده

أبتسمت ابتسامة خفيفة وقالت:

- أياها انا
ثم نظرت إلى يده الممدودة وقالت بنفس الأبتسامة الخفيفة:

- آسفه مبлемش

كانت تتوقع منه رد فعل متوتر أو غاضب ولكنها وجدته يبتسم ويهز رأسه متفهما وقال:

- ولا يهمك

ثم ألقى التحية إلى مريم ولم يمد يده بالسلام فلقد توقع نفس الرد، أدخلهم إيهاب للصالون المتواضع القاع في أحد الغرف الصغيرة وقدمت لهم إيمان الشاي وحاولت وفاء بشخصيتها الاجتماعية كسر الحواجز المرتفعة بينهم فقالت:

- وانت بقي يا إيمان خريجة ايه

أجابتها إيمان بصوت منخفض:

- كلية شريعة

نظر إليها عمها أبراهيم مبتسما وقال بفخر:

- ماهى الله يابنتى ربنا يزيدك

قال إيهاب مؤكداً:

- إيمان أصلها من صغرها وهي مدارس أزهرى .. طول عمرها حابة الطريق ده

أبتسهم الحاج إبراهيم مجددا لنثناء إيهاب على أختة وشعر بمدى الترابط بينهما وقال:

- وأكيد بقي إيهاب كان معاكى ما أنتوا توأم تكلم إيهاب قائلاً:

- لا يا عمي أنا مهندس ديكور

اتسعت ابتسامة إبراهيم وهو ينير له بإعجاب وهو يشير إلى مريم قائلاً بحماس:

- ومريم كلية سياحة وفنادق

قالت وفاء برحب:

- أنا بقى حقوق
وأشتمل على مسيرة وقائع:
- وفرحة فونون جميلة
- أبتسمت فرحة بخجل فطر وقامت لمريم:
  - أجنحة اثنين بعض تقريبا يا مريض نبقي أصحاب
- ردت مريم بنفس الأبيسامة:
  - بما يقا فرحة

بعد ساعة تقريبا أنتهى الجلسة العائلية الدافئة وانصرف الجميع على وعده باللقاء مرة أخرى، جلست مريم وقالت بتسائل:
  - ها قومتم على أيه

نظرت أمان إلى إيهاب وقالت:
  - رأيك إيه يا إيهاب

تدخلت مريم بالكلام:
  - هي دى محتاجة رأي. الناس بانه عليهم محترمين ومستوى. لو رحنا نعيش معاهم
  - هنتنقل لمستوى تاني خاص قاطعها إيهاب:
  - هي كل حاجة مظاهر عندك يا مريم. مستوى إيه بس

ثم نظر إلى أمان وقال:
  - انتِ ارتحلتهم يا ايمان؟

ايمان:
- بصراحه معاملتهم معانا محيران جدا. شكلهم ناس كويست وطريقتهم محترم مش زي الفكره اللي كنا واخدنا عنهم خالص. بس الموضوع محتاج تاني مش لازم نحكم بسرعه كده
ايهاب موافق:

- صح.. خلاص يومين كده نكون استخرنا رينا

****

جلست فرحة بجوار أمها وقالت بشغف وهي تنظر إلى والدها:

- أنا حبيتهم أوى يا بابا.. شكلهم محترمين ودمهم خفيف كمان

ثم ضحكت بمشاكسة وهي تنظر إلى عبد الرحمن وقالت:

- أسكت يا بابا أما عبد الرحمن أتحرج بشكل مش معقول

قال والدها باكتمال متسائلة:

- ازاي؟

- عبد الرحمن مد أيديه وسلم على إيمان .. قالتله مبسلمش بالأيد

مدع عبد الرحمن يده وتعتفل بشعرها وهو يقول:

- هاهاا محدش قالك ان دمك خفيف قبل كده

قال بزهو مصطنع:

- كتير قالولي كده

- ضحكوا عليك صدقينى

***

مر ثلاثة أيام لم تنقطع فيهم اتصالات الحاج حسين بأبناء أخيه واستمرت أيضا اتصالات من فرح ووفاء لـ مريم وإيمان لوصل حلقات الود بينهم، وزاد إعجاب عبد الرحمن بإيهاب

وهو يتعرف عليه أكثر وأكثر ويراه رجل يعتمد عليه، ولم لا وهو يراعى أختيه ويحرص

عليهما قدر المستطاع، كانت مشاعر إيهاب وإيمان متوترة بعض الشيء فهما مقدمان على
في اليوم التالي مباشرة أتصل إيهاب على عمه حسين وأخبره أنهم موافقون على عرضة بالانتقال للعيش معهم لبدء حياة جديدة وعلاقات جديدة ومعاملات لم تكن في الحساب.

****
الفصل السادس

أصرت عفاف على استقبالهم بأنفسهم عند بوابة المنزل الداخلية ورأى أنهم يخطون أول خطواتهم في حديقة المنزل الكبير، رحبت عفاف بهم أشد ترحيب واحتفضت مريم وإيمان في حنان بالغ بينما اكتفت فأطمة ببلقاء بارد وتحية مصطنعة.

كانت دهشة الأخوة الثلاثة بالغة حينما شاهدوا الطابق الخاص بهم وتعد أعمامهم فيه، لا ينقصه شيء على الأطلال، الشقق بها جميع الكماليات والأثاث الفاخر مما زاد انبهار مريم بصفة خاصة، كانت الفتريات تتعامل ببهجة وهم يضعون الملابس في خزاناتهم الخاصة ويجهرون كل شيء، وكانت أم عبد الرحمن تعد الطعام في شقتها وعلى وجهها علامات السرور فقد أحبتهم كثيرا وشعرت أنهم أبنائها التي لم تنجبهم وكانت تساعدها أم ولد التي ما لبث أن قالت في ضيق:

- البيت الصغيرة دى شكلها مش مريحى أبدا.. شبه أنها كده
قالت عفاف وهي تعد الطعام بنشاط:

- يقولك أنه يا أم وليد دول مش جايين يومين وماشين.. لا دول جايين يعيشوا هنا يعني أنسي بقى أنك بتكرى有助于 أمهم الله يسامحها افتكرى يبقي ولا يزال على الله يرحمه
ابتسمت فاطمة بتسخية وقالت:

- أنا عارفة أنك علاياتك يا عفاف.. حتى لو أحنا نسينا أمهم .. هما مش هينسوا والله اعلم ناى أن على أنه ويقي أفتكرى كلامي ده كويس
دخلت فرحة مقاطعة حديثهما:

- ماما خلصنا خلاص كله تمام
قالت فاطمة بحنق:

- واحنا كمان خلصنا روحي نادي وفاء علشان نجهز السفرة
وفي غرفة المكتب كان يوسف يدعى إيهاب قام:

- بما أنك بقى مهندس ديكور عاوز اعرف ينفع اعمل شقتي كلها مرايات؟
ضحك الجميع وقال إيهاب:
- ٤٠٣ طبعاً ينفع أهٍ بالنهار تبقى شقة وبالليل ممكن نقلبها ملاهي

ضحك عبد الرحمن وقال:

- أصل يوسف تقريباً كان ناوى يحظر كاميرات مراقبة لمراتبه لما يتجوز .. شكله كده غير

رأيه وقال المراهبات أرخص

كان وليد متجهماً بعض الشيء قلم يشاركهم داعباتهم بينما نظر الحاج إبراهيم لأخيه وقال:

- شكنا كده مش هنخص منهم يا حسين أنا جعت أيه مفيش أكل النهاردة ولا أيه؟

قال حسين موجهاً حديثه لـ يوسف :

- لو سمحت يا يوسف روح شوف جهزوا السفرة ولا لسه

خرج يوسف متوجهًا إلى المطبخ وكانت فرحة آتية بصحبة إيمان ومريم

نادت فرحه على يوسف قائلة:

- يوسف .. تعالي انت لسه مشوفتش إيمان ومريم ولاد عمى

وأتت إيمان وقالت :

- دى إيمان الكبيرة أما دى بقى مريم

تلاقت نظرة يوسف بمريم ، عرفها وعرفته فقال باقتضاب :

- أهلا وسهلا وحمد الله على السلامة

ثم التفت إلى أخته وقال بجسود:

- لو سمحت يا فرحة جهزوا الأكل بسرعة

اجابته فرحة ببهجة:

- خلاص الأكل جاهز .. خمس دقائق وتلاقوا السفرة بقت تمام

عاد يوسف أدراجه إلى المكتب مصدوماً ومتشنجاً، كيف تكون هذه أخت إيهاب الذي أعجب
برجولته الواضحة في أقواله وتصريحاته منذ لحظات، بعد عشرة دقائق خرج الرجال إلى
حجرة الطعام، لم تقل صدمة وليد عن صدمة يوسف حينما رأى مريم وتعرف إليها وتعرفت
إليه هي الأخرى، وجلس الجميع حول المائدة، حيث نظر الحاج حسين إلى الجميع في سعادة وقال:

- أنا كده بقى مش محتاج حاجة خالص من الدنيا

رد إبراهيم مؤكدًا:

- أى والله يا حسين صدقت

أبتسَم الجميع برغم مما يعانه كل منهم مشاعر مختلطة متضاربة بداخلهم، مختلفة ما بين سعادة ونشوة وحذر وخجل... وبغض!

لم تحتمل أم وليد أن تكمل هذه الجلسة بخير فقالت موجهة كلامها نحو إيمان:

- بس أنا مستغربة يا إيمان.. أزاي أمك دخلتكم مدارس أزهرى مع أن أحلام مالهاش في الحاجات دي خالص

نظر لها إبراهيم بصرامة محدراً فقالت بتوتر:

- أنا مقصذش حاجة.. أنا قصدى يعني ان اخوتها كلهم تعليم عادى يعني

وهنا تدخل إيهاب قائلًا:

- وأحنًا في الروضة كانت دايمًا مدرسة القرآن تقول إيمان ليها مستقبل في العلم الشرعي لأنها كانت متوفقة في الحفظ جداً.. وكانت دايمًا تقولها أنت لازم تدخل أزهرى.. لدرجة أن إيمان كانت بتحلم بالمدرسة من قبل ما تبدأ

نظرت لها إيمان وقد فهمت ما تقصده من كلام عن والدتها فقالت:

- ومامًا مكشش عندها مانع أبداً يا طنط بالعكس

في نهاية اليوم توجهوا إلى طابق الخاص حيث شققتهم الجديدة، ذهب إيهاب للنوم ليستسقظ لعمله صبحًا وجلس إيمان ومريم في الشرفة يحتضنان الشاي ويحدثان، كان عبد الرحمن في شرفة غرفته يتحدث في الهاتف بانفعال شديد مع هند هاتفًا:

- يقولك مكشش ينفع أجي النهاردة.. هفضل أكررها كتير يا هند

خلاص مبقش فاضيلي يا عبد الرحمن شفت بنات عمك نسيتى
زفر عبد الرحمن بضيق ثم قال:
- أستغفر الله العظيم هنبدأ بقى الكلام الفارغ ..

تنفس قليلا ليهدا ثم قال:
- يا حبيبي أنا عارف أنى مقصر معاكى بس عازوك تعذرني أنا الكبير ولازم أبقى جنب

أبوي سأ أدرك أنى مقصر معاكى عشان تعرف بس أنى مستحمله

حاول أن يسترضيها قانلا بمزاج:
- هو حد قال حاجة تانية يا قمر .. بصى ليكي عندي حتها تعويض بكرة هيعجبك أوى ..

هنتغدى مع بعض في المكان اللي تختاريه

أبتسمت وقالت:
- موافقة

قال بخفوت:
- بحبك

كانت مريم تتبع بشغف و تسامع لبعض الكلمات الأولى في الحديث ثم النفتت نحو إيمان

قالت:

لى تعرفي أنه خاطب السكرتيرة بتاعتهم

قالت إيمان بلا مبالاة وهي تحتسي الشاى:

- وفيها ايه

قالت مريم بغرور:

- أزاي واحد زى دى يتجوز السكرتيرة بتاعته .. وأزاي عمى يوافق على كده أصلا

قالت إيمان بابتسامة:

- اهلا يا مريم .. أنت لسه ما كملت تش يوم وليلة هنا .. هتبدأي تتكبري على الناس من أولها
وبعدين الإنسان مش يفلوشه الإنسان بدينه وأخلاقه

تابعت مريم وكأنها لم تسمع:

- تعرف أنكم لا ضنين على بعض أوّى يا إيمان

نظرت لها إيمان بدهشة وقالت متسائلة:

- مين؟

قالت مريم ببساطة:

- أنت وعبد الرحمن

ضحكت إيمان قائلة:

- أنت بتزهرى ولا أيه؟ يا مريم أنا مش هتجوز إلا راجل ملتزم ولا يمكن أرضي بديلا يا أمورة

أبتسمت لها مريم مداعة:

- طول عمرك فقرية يا إيمان ربنا يكملك بعقلك بامجونونة!

***

في الصباح كانت مريم تقف أمام البوابة الخارجية بجوار سيارة يوسف وتحت مدخلا الهاتف، خرج يوسف ليركب سيارته فوجدته تتحدث بصوت ناعمة:

- يعني أيه مش هتبيجي تأخينى. أروح أنا الكلية أزاي دلوقتي. المكان هنا غريب عليا ولسه مش عارفه المواصلات. خلاص خلاص أنا هتصرف أستدشت وهي تضع الهاتف بحقيبةها فوجدته يقف خلفها فقالت بحرج:

- أنا آسفه عطتلك ولا حاجة

قال بتجهم:

- لا ابدا..

ثم تنحنج ببحرج وقال باقتصاب:
- أنا أسف ممكن أقصد أسمعك وأنت بتكلمي بس صوتك كان عالى شوية.. على فكرة أنا
ممكن أوصلك

صنعت مريم الحرج وقالت بخوف:

- لا مفيش داعي أنا هتصرف .. هشف없이 مواصلات هنا
قال بعمي وهو يخرج هاتفه:

- لا طبعا ميصش بس ثوانى..
ثم وضع الهاتف على أذنها قالا:

- أنت مش راهدة الكلية يا فرحة؟ .. طيب أنا مستندى تحت علشان اتصلك انت ومرم

استقلت مريم السيارة بجوار فرحة وهي تشعر بالهفزة من أول جولة، توقف يوسف
بالسيارة أمام كلية مريم ، عندما شاهدتهم سلمى صدمت وهي ترى مريم تهبط من سيارة
يوفس فهي لم تنسي ملامحه الجذابة منذ يوم السفينة العائمة ، أفلت سلمى عليها قائلة:

- يابنت اللذين .. ألمتى على الواد ده ازاي
قالت مريم بزهو:

- هو اللئ عرض عليا يوصلني .. وبعدين ده شيء طبيعي مش ابن عمى
وضعت سلمى يدها في خصرها وقالت باستنكار:

- نعم ياختى .. بقى ده ابن عمك انت؟
قالت مريم بغرور وهي تخطو وتتراك سلمى خلفها:

- أنت ناسيه انا من عيلة مين ولا أية؟ .. وعلى فكرة مش هو لوحده.. اللي كان قاعد معاها
كمان ابن عمى إبراهيم

جلست مريم في الكافتريا مع سلمى وقصت عليها ما حدث وأنهم قد انتقلوا للعيش مع
أعمامهم، كانت سلمى تستمع لها باهتمام ثم قالت بذكر:

- أنا شكلك كده هبقى ازورك كثير يا مريم

****
دخل يوسف مكتب والده الذي نظر له متسائلاً:

- أتأخرت لى؟
- كنت بوصول فرحة ومريم لكليتهم
قال حسين بنتلقانية:

طب خدت رقم مريم علشن تبقى تعرف هتخلص أمتي وتروح تجيبها؟

نظر له يوسف بدهشة واستنكار قالوا:

- أيه يا بابا هو أنا مشتغل موصلاتي على آخر الزمن .. مراجع البيت بتاكسى ايه المشكلة
أبسم حسين وهو يقول بابسامة مفيظة:

طب ومتصعب لى كده؟

زفروس يوسف وهو يجلس قالوا:

- بعد أذنك يا بابا حضرتك أنا اتبرعت بس النهاردة كده جدعنة .. لكن بعد كده حضرتك
ممكن تبعت معاه السواح للمكان اللي عاوزينه
قال حسين بابسامة أخرى:

- معشش يا يوسف علشن خاطرى .. هاتهم النهاردة ومن بكرة السواح يوصلهم .. كلم فرحة
أكيد خدت رقم بنت عمها خاليها تكلمها وتشوفها هتروح أمتي

***

خرجت مريم بصحبة سلمى من الكلية فوجدت يوسف ينتظرها مع فرحة داخل السيارة على
حسب أتفاقها مع فرحة سابقا ، أتجهت إليهما بينما الفت سلمى التحية على يوسف وفرحة
التي قالت بشغف:

- أنت صاحبة مريم الأنتيم مش كده؟
قالت سلمى وهي مصوبة نظرها إلى يوسف :
- جدا يا فرحة .. أنا ومرام أخوات من زمان
أشاه يوسف بوجهه بعيدا عنها يتقزز وهو يقفز بقوة، وفي الطريق كانت مريم تجلس في الخلف وتنظر من الخلف لأخر نظره خاطبه لـ يوسف الذي تكلم بدون سابق أنذار قائلًا:

- هي صاحبتك من زمان؟

قالت مريم بانتباه:

- لا مش من زمان أوى .. من ساعة ما دخلت الكلية يس

هز يوسف رأسه في صمت فقالت مريم:

- ليه في حاجة

قال ولا مبالاة:

- لا أبدا .. مجرد سؤال

****

- ها يا ستى خلاص صافي يا لين؟

نظرت له هند بحب وقالت:

- خلاص سماح المرة دى

رفع يديه للسماء هاتفا بمزاج:

- اللهم لك الحمد

نظرت له وكأنها تدرس وقالت ببطء:

- أنت بتحبى بجديد يا عبد الرحمن؟

- تاني يا هند .. أرحمينى بقى .. قلتلك بحبك والله بحبك ولو مش بحبك خطبتك ليه يعني ..

كنت فاضى ومش لاقى حاجة اعملها قلت أخطب شوية ولا أيه؟

ممت شفتيها بعضوية متسائلة:

- طب ليه مش عاوز تحدد معاذ كتب الكتاب؟

قال بنفاد صبر:
قلتلك أصبرى شوية لما موضوع ولاد عمٍٍ ده يستقر كده.. وبعدين هفاج بابا في الموضوع

نظرت إليه نظرة جريئة كما تعلمتها من أختها علا وقالت:

- لا يبقى أنا بقى موحشتك

صرف نظره عنها وأكمل طعامه في صمت وكأنه لم يسمعها مما استفزها فقالت:

- يبقى أنا فعلا موحشتك ولا هوشتك

ألقى عبد الرحمن الملعقة على المائدة بعصبية وقال:

- هند.. أنت كده هتخليني أغير رأي فيك.. أنت أيه اللي حصلك ؟! .. بقيتى تعملى حركات غريبة كده .. أنت مكتنئش كده يا هند!

قالت مدافعة بحراج:

- أنا كان قصدى يعني أنك تهتم بيا شوية مش أكثر

قال عبد الرحمن دون أن ينظر إليها:

- كلى يا هند خالينا نرجع الشركة

*****

في المساء التف الجميع للعشاء حول المائدة الكبيرة ونظرت عفاف إلى زوجها قائلة:

- عارف يا حاج حسين.. إيمان صمتت تنزل شغلها النهاردة نظر حسين إلى إيمان قائلا بتساؤل:

- أنت بتشتغل يا إيمان؟

أومات إيمان برسها وقالت:

- أيوا يا عمي بتشتغل في مدرسة قريبة من شقتنا القديمة

رفع حاجبيه بتعجب قائلًا:

- روحتي المشوار ده كله ورجعتي لوحدك
قالت إيمان بابتسامة:

- وفيها أيها يا عمى أنا بركب مواصلات عامة متفقش عليا
- أظن يابنتي خلاص مفيش داعي للشغيل بعد كده

ابتسمت مجدداً وهي تقول بثقة وهدوء:

- يا عمى أنا مش بشتغل علشان الفلوس مع أن ده سبب من أسباب الشغيل لكن الأساس أنى بحب مهنة التدريس للبنات أوى وبحسب أنى بعمل حاجة مفيدة .. محبش ابقى قاعدة كده

تابع حسين تناول طعامه بعد أن قال:

- عاوز أتكلم معاك شوية يا إيمان ابقى تعاليلى أوضة المكتب بعد العشا

وبعد العشاء دخلت إيمان خلف عمها وأغلقت الباب، أشار لها أن تجلس بالمقعد المقابل لمكتبته فقالت:

- خير يا عمى

أستند إلى سطح مكتبته وقال بهدوء:

- إيمان.. أنت دلوقتي بفيتي زي فرحة بالظبط عندي.. أنا عاوزك تكلمك لى بأبكي

متكسفيش من حاجة

أومأت إيمان برأسها وانتظرته يتحدث فقال:

- أنت ليه مصممة على الشغل يابنتى

رفعت كفتهاها واخفضتها وما تقول ببساطة:

- زي ما قلتلك يا عمى أنا بحب شغلي

بس أنا متأكد أن ده مش السبب الرئيسي

صممت إيمان فاستكمل حديثه قالاً:

- أم عبد الرحمن قالتي انك صممتى تنتمى في شقتك فوق ليه كده يابنتى

أجابته بخجل قائلة:
رضاعة ياعمي، أنا مبقي أتقل على حد.. ده طبعي وبعدين يا عمى بعد أنك أختنا وايقنا
نعيش هنا لكن هنفسل نشتغل وتبقى لينا مصاريفنا الخاصة زي ما كنا
نظر لها بتركيز وقال:
- للدرجة دى شيافئاً غريب عنكوا يابنتي
- مش قصدى والله يا عمى لكن معلش سينا على راحتنا
هذ رأسه متفهماً وقال:
- وطبعاً ده رأى إيهاب كمان.. علشان كده رفض يجي يشتغل معاينا في الشركة
صمتت إيمان فقال متابعًا:
- عموماً يابنتي أنا مش عاوز أضغط عليكم في حاجة.. بس أنا مش مستريح كده ولو على
الشغول وأنك عاوزة تحسني أنك بتعملي حاجة تعالى اشتغلنا معانا
استشعرت حنانه ودفء حديثه فقالت بتفهم:
- ياعمي اشتغل معاكوا أيه بس.. أنا مليش في شغلكو خالص وبعدين أنا حب شغللي ومش
ناوية اسبه
أنهت كلمتها ونهضت واقفة تستأذنة في الإنصاف، سمح لها بالمغادرة وجلس شاردا في
غرفة مكتبها يبحث عن مخرج مناسب.

****
في صباح اليوم التالي دخلت هند مكتب الحاج حسين وعرضت عليه ملف أحد الموظفات
في الشركة وهي مديرة مكتب يوسف، نظر الحاج حسين إلى الملف وقال لهند:
- عملت أيه الموظفة دى؟
قالت هند بحنق:
- ضيعت ملف مهم جدا يا فندم.. والأستاذ يوسف اضافي أوى وبينسنة حضرتك في نقلها
مكان تاني
أمسك قلمه الخاص وذيل الملف بتوقتعه ليتم نقلها مكان آخر ثم وضع القلم قائلا:
- في حد هيمسك مكانها

- أنا تقوم بشكلها لحد ما نعمل أعلان

- تقومي بشغلكا ازاي ده هييquoi. كده مش هتبقي مركزا كفاية في شغلك هنا

قالت هند باستسلام:

- مفيش حل تاني يا فندم ..

ثم استدركت ببطء قائلة:

- ياريتني كنت اعرف حد ثقة كانت هتوفر علينا الأعلان والوقت الطويل اللي هيضيع ده كله

نظر إليها حسين في تفكير فلقد وجدنا الفرصة المناسبة التي كان يبحث عنها ثم قال:

- طيب سيبي الأعلان ده لحد بكرة

وفي المساء جلس إلى إيمان ومريم في شرفة شقتهما وعرض الأمر على إيمان فرفضت قائلة:

- ما أنا قلتك لحضرتك قبل كده يا عمى أنا ماليش في شغلكم

ردت مريم بسرعة قائلة:

- ينفع أنا ياعمي؟

نظر لها بدهشة وقال:

- بس انت لسه بتردني يا مريم هتوقفي ازاي ببين الشغل والدراسة

قالت مريم بشغف:

- أنا هعرف اوقف يا عمى سبني اجري عيشان خاطرى

هز كتفها قائلة باستسلام:

- خلاص زي ما تحبى .. تحبى تبدأي من بكره؟

هتفت بسعادة:

- أتفقنا
الفصل السابع

دلل إيهاب من بوابة الحديقة عائداً إلى المنزل بعد صلاة الفجر وأثناء سيره شاهد فرحة
أعتد أدوات الرسم الخاصة بها وبدأت في رسم منظر شروق الشمس
أطخذت فرحة موقعاً مميزاً وهي تضع لماستها الفنية لأشعة الشمس وهي تنتشر وتتخلل بين
أغصان الشجر وبين أحواض الزهور وتبناوغم بين الألوان وباستخدام دقيق لدرجاتها جسدت
خيوط الضوء وهي تتسلل غير مبالية من خلف خيوط الظلام لتكون لوحة فنية رائعة تشعر
معها بالدفء
لم يشعر إيهاب بنفسه إلا وهو واقف يتأمل هذه اللوحة المعبرة قليلاً;
- الله

تفادجات فرحة بوجوده في هذا الوقت واستنادت في سرعة كادت أن توقعها هي وأدواتها
تراجع هو خطوة إلى الوراء وهو يشير لها أن تهداً قليلاً وهو يقول:
- أنا آسف والله مقصدي أخطاك كده

وضعت فرحة يدها على قلبيها من أثر انتفاشتها وقالت:
- أنا اللي آسف معلش أصلنا كنت مركزة أوى

تمعن إيهاب في اللوحة مرة أخرى عن قرب قليلاً:
- حقيقي أنت موهوبة يا آنسه فرحة

أبتسمات فرحة بسعادة وقالت:
- بجد .. حقيقي والله
أوّما إيهاب يتأسّس مؤكداً حديثه وهو يقول:
- إلا حقيقى ده أنا حسيت بالدفىء وأنا بص على اللوحة كأن أشعة الشمس وصلاي منها
راقب خجلها وهي تقول:
- متشكّره أوى.. الحقيقة دى شهادة أعتز بيها جدا
ثم رفعت رأسها متسائلة:
- هو انت كنت فيه دلوقتي؟
- كنت بصلى الفجر وقعدت شوية في المسجد أقرأ الورد بتاعى بعد الصلاة
أبسمت وقالت:
- تعرف أنك شبه إيمان أوى .. انتوا حقيقى توأم؟
أبسم وهو يقول بمزاج:
- أياجما توأم بس مش شبه بعض .. وعلى فكرة انا نزلت قبلها بخمس دقائق
كانت مرّم تقف في الشرفة تراقب هذا الحديث بابتسامة مرسومة على شفتيها حين دخلت
إيمان الشرفة وهي تقول:
- أيه ده أيه اللي مصحيكي بدرى كده أيه النشاط ده كله؟!
- أشارة مرّم بعينيها إلى إيهاب وفرحة قائلة:
- شابفة منسجمين أزاي
ضحكت إيمان ضحكة رقيقة ثم قالت:
- والله أنت دماغك مريحاى .. مرة تقوليلي أنت وعبد الرحمن لايتن على بعض .. ومرة
تقوليلي إيهاب وفرحة منسجمين .. أيه ناوية تسبي السياحة وتشتغل خاطبة!
التفتت مرّم إليها وأمسكتها من ذقنتها بخفة وقالت:
- لا يا أموره .. ناوية أشتكى في شركة عمى .. انت ناسية ولا أيه

***
خطت مريم أول خطواتها داخل مكتب الحاج حسين وهي منبهرة بما ترى من أمكانيات، فلم تكن تتوقع أن تكون الشركة بكل هذه الضخامة وخصوصا أنها علمت أنها تعمل في أكثر من اتجاه وليس في أتّجاه المقاولات فقط.

رحبت بها هند بشدة وأدخلتها داخل مكتب الحاج حسين الذي ارستمت علامات السرور على وجهه وأشار لها بالجلوس قائلًا بترحاب:

- تعالى يا مريم نورتي شركتك يا بنتي هنا تشربي أيه

قالت بخجل:

- شكرًا يا عمي أفضل نبدأ في الشغل على طول رفع حاجيبه متعجبا وقال:

- لا لا ده أنا كنت فاكرك دلوحة تتعلق بتاعة شغل أهو

قالت بمرح:

- طباعة يا عمي ده أنا أعجبك برضة ضحك لداعباتها واتصل على يوسف وطلب منه أن يأتي إليه في الحال بعد لحظات طرق يوسف الباب ودخل وأغلق الباب خلفه وهو ينظر إلى مريم متعجبا من وجوهها في هذا التوقيت المبكر، أشار له والده ليجلس ثم قال له وهو يشير إلى مريم :

- أحب أقدملك مدريدة مكتبك الجديدة نظر إليها يوسف غير مصدق ثم نظر إلى أبيه وأخيرا تكلم قائلًا:

- أزاي يعني يا بابا مش فاهم حسين:

- مش أنت مدريدة مكتبك أنتقلت مكان تأتي؟ أنا بقي قلت بدل ما نضيع وقت في الأعلانات ونطلب مدريدة مكتب جديدة أهو عندنا مدريدة مكتب نشيطية وزى القمر نهض يوسف معترضا وقال:
أياً يا يا بابا بس أنا ميحبش أشتغل مع حريم، أنا مصدقت البنت اللي كانت شغالة مشيت، أنا بصراحة عازر راجل يمسك السكرتارية

قام حسين من مكانه واتكا على مكتبته ونظر إلى يوسف نظرة جعلته يشعر أنه يخترق تلافيف عقله ليحذره من الرفض مجدداً وقال:

- بس مريم هتفهم الشغل بسرعة ومش هتضايقك، أنا متأكد كان يوسف يشعر بالحنق والغضب ولكنه لم يستطع الرفض بعد تلك النظرة من أبيه فقال:

- زى ما تحب يا بابا
ثم نظر لها وقال:

- تحبى تبدأى شغلك أمتى
نهضت مريم فننشاط وانتصار وقالت:

- دلوقتي لو حضرتك معنديش مانع

أومأ برأسه وأشار إليها أن تسبقته وذهب خلفها وهو يشير لـ هند أن تتبعهما

قضت معها هند بعض الوقت تشرح لها طبيعة العمل التي فهمته مريم في سرعة، ثم تركتها

هند وانصرفت إلى مكتبها وبدأت مريم تضع أول لمساتها في مكتبها الخاص

بذلت مريم مجهوداً شاقاً من أول يوم عمل لها حتى تكون دقيقة وسريعة وحتى تستوعب كل
شيء في أقل وقت ممكن، جاء وقت الراحة في منتصف اليوم وخرج يوسف من مكتبه
ولكنه فتح الباب بقوة فأصدر صوتها عالياً مما جعل مريم تنتفاض وتصرخ صرخة خفيفة

لم يكن الوقوف يحتل أي مداعبات ولنكن وجد نفسه بيسم رغما عنه، فلقد صرخت صرخة
طفولية جداً وهي تغطي فمها بيدها، وضعت يدها على رأسها وقد شعرت بالدوار نتيجة ما
حدث وجلس على مقعدها بوجه شاحب، أقترب منها بضع خطوات وقال:

- أنت كويسة؟.. أجيحك مية؟
قالت مريم بعياء:

- لا لا شكرنا أنا دلوقتي هبقى كويسة
طيب الحمد لله .. أنا هروح أتغدى مش عاوزة حاجة
وقفت وهي تبحث عن حقيبتها قائلة:
- لا شكرا أنا هروح أشوف أى مطعم أتغدى فيه
دخل وليد مقاطعا وكائه كان يستمع لهذا الحوار من بدايته:
- وأحننا روحنا فين تعالى أتغدى معانا
قالت مریم بخجل:
- لا شكرا أتفضلوا أنتوا وليد بتصميم:
- لا والله ما ينفع .. تبقى بنت عmana وتروحى تدورى على مطعم
تدخل يوسف موجها حديثه نحو وليد:
- سببها على راحتها يا وليد يمكن هتروح تتغدى مع هند وليد:
- يا عم هند قالتلي أنها بتنغدى مع خطيبها..
ثم تابع قالتا:
- وعمى بيروح البيت يتغدى هناك
نظرت مريم إلى يوسف وكائه تنتظر قراره فقال بضجر:
طيب أتفضل معانا
قالت مریم بصوت خفیض:
طيب ثواني أتصل بعمى أسائه
وأخرجت هاتفها وتحدثت إلى الحاج حسين تشتاذته بينما اقترب وليد من يوسف وغمز له هامسا:
- هتصل بعمى أستاذته .. يا سلام على الأفلام

جلست مريم معهما على أحدى الطالبات في المطعم وهي تشعر بالحرج الشديد ولكنها لا تعلم سبب هذا الحرج فقدت خطوطين نحو هدفها في يوم واحد ومن المفروض أن تشعر بالانتصار ولكنها بدلا من ذلك تشعر بالحرج والخجل، انتهت مريم من تناول طعامها فقال لها ولد على الفور:

- أيه مكتبيش ليه

- لا كلت والله الحمد لله

- أنت مكسومة مننا ولا أيه .. للا بكرة هناخد على بعض .. ده أهنا ولاد عم يا مريم قاطع يوسف حديث ولد قاينلا:

- تشريبى أيه يا مريم شاى ولا عصير

قالت بخفوت:

- لو ممكن يعنى قهوة مظبوط

قال ولد باندهاش وهو ينظر إلى يوسف نظرة خاصة:

- أيه ده .. بتشريبى قهوة مظبوط بعد الأكل زي يوسف .. يا محسس الصفد رفع الناشر الطعام وآتي بالمشروبات ، بينما نظر ولد إلى مريم قائلاً مباشرة:

- هي صاحبتلك اللئ كانت معاكى في المركب اسمها أيه ؟

شعرت مريم بالأرتبك من ذكر هذا الموقف في حين قال يوسف:

- مالناش دعوة يا ولد متدخلش في خصوصياتها

ولد:

- وفيها أيه يا يوسف متحبكهاش كده .. دى بنت عمنا عادى يعنى

قالت مريم بارتباك:

- هي مش صاحبتى أيه يعنى دى زميلتي فى الكلية
قال وليد وهو يتصنع الدهشة:
- لا.. بجد .. أنا قلت كده برضة
نهض يوسف حانقاً وهو ينهي هذا الحوار العقيم قائلاً :
- أظن بالاً بقى ساعة الراحة خلصت
انتهى اليوم وعادت مریم بصحبة عمها في سيارته ولم تستطع أن تتناول العشاء من شدة الأرهاق ودخلت لتنام على الفور.

****
في صباح اليوم التالي أستيقظ يوسف مبكراً وخرج بدون تناول طعام فطوره ، كان يخشى أن يطلب منه والده أن يأخذ مریم معه إلى العمل، و ذهبت مریم في ميعاد عملها تماماً وطرقت الباب ودخلت وهي مبتسمة قائلة:
- صباح الخير يا يوسف
 يوسف باقتضاب ودون أن ينظر إليها:
- صباح النور
كانت تحمل في يديها صينية عليها فنجان شاي وبعض قطع الكيك
وضعتهم على المكتب وهي تقول:
- أنت نزلت من غير ما تفتر
نظر إلى الكيك وأبتسم قائلة:
- متشكر أوى يا مریم
ابتسمت وهي تغادر الحجرة ولكنها أصطدمت ب- وليد الذي قال مبتسماً :
- وأنا ماليش قطر أنا كمان ولا أيه
ابتسمت أبتسمة خفيفة وخرجت دون أن تجبه، جلس وليد أمام مكتب يوسف وقال وهو يمسك بأحد قطع الكيك:
ناس ليها كيك وناس ليها وش خشب

 يوسف:

 عاوız أيه يابني على الصبح كده سايب شغلك ليه

 وليد:

 ٍٓٔٔٔٔٔه طبعا بقيت تضايق من وجودي منا اللي بحجب عنك الرؤية

 ثم غمز ليوسف وقال:

 ٍٓٔٔٔٔٔه بس حلو الجو ده قهوة مظلوب وفطار وحركات

 زفر يوسف وقال بضيق:

 ٍٓٔٔٔٔٔه أنا مش فاضي للكلام ده يا وليد دى وانت عارف أنى مش بتاع الحاجات دى

 قال وليد بمكر:

 ٍٓٔٔٔٔٔه أنت مش بتاع الحاجات دى دى لكن هي بتاعتها دى وحطاك في دماغها ولا أنت دخلت عليك

 الافلام دى

 وضع يوسف الأوراق التي كانت بيده على المكتب بانفعال وقال:

 ٍٓٔٔٔٔٔه عيب كده يا وليد دى برضة بنت عمنا

 قال وليد ساخراً:

 ٍٓٔٔٔٔٔه ونسيت صاحبتها دى ونسيت الفيلم اللي اتعمال فيها المركب دى ونسيت رأيك فيهم

 هتف يوسف بعصبية:

 ٍٓٔٔٔٔٔه لا منستش مش هنسي دى بس أنت كمان متنساش أنى بنت عمنا يعني سمعتها من سمعتنا

 وقفل بقى على السيرة دى فورت دمى يا أخرى

****

فوجيء حسين باتصال إيمان به وصوتها كأنها تبكي وهي تقول:
- معلش يا عمى لو ممكن تبعتلى حد ياخدني أصل .. أصل شنطتي أتسرقت مني في
الواصلات

أعتدل حسين في جلسته بانفعال قائلاً:

- أوصفيلى أنت فين بالظلم وخاليك عندك

انتظرت إيمان ما يقرب عن النصف ساعة حتى وجدت سيارة تقف أمامها ويخرج منها عبد
الرحمن ويدور حولها بسرعة ليقف أمامها متسائلاً بقلق:

- إيمان أنت بخير؟

أومات برأسها بحرج شديد وهي تقول:

- الحمد لله

أشار لها أن تركب السيارة ولكنها تسمرت مكانها فأعاد كلماته مرة أخرى:

- أركبى يالا

صمتت مرة أخرى وبعد لحظات قالت:

- مش هينفع أركب معاك لوحدى
- مينفعش أركب معاك لوحدى

أبسم وقال بتفحص:

- هو أنت لى بتكربى تاكسى مش بتبقى أنت والسواق لوحدكم خلاص يا ستى أعتبرينى

السواق

هزمت رأسها نفياً وهي تقول:

- أنا مش بركب تاكسى علشان كده .. أنا بركبواصلات عادية
وضع عبد الرحمن يده في خصره وأستند بالآخرى على باب السيارة المفتوح وقال:
- امم طب والعمل أيه دلوقتى .. تحبي تركب العربية ونسبب الأبواب مفتوحة
ورغم صعوبة الموقف ولكنها أبتسمت ثم أختفتها سريعاً وقالت:
طب ممكن التلفون أكلم إيهاب تاني .. أصلى كلمته قبل ما اكلم عمي وتليفونه كان مقبولا
ثम تابعت بأحرج:
- لو سمحت ممكن تدفع لصاحب الكشك ده تمن المكالمة
أعطاه عبد الرحمن هاتفه لتتصل بأخيها وذهب ليدفع تمن المكالمة وعاد سريعا فوجد
واضحة الهاتف على أذنها وتنقر على السيارة بتوتر بالغ وبعد لحظات قالت:
- شوية يدى مشغول وشوية يقول خارج الخدمة
قال وه مازال محتفظا بابتسامته المتعجبة:
- والعمل ..؟
أشارت إلى المقعد الخلفي قائلا بخجل من موقفها:
- طب ممكن أركب هنا؟
ابتسم وفتح لها الباب الخلفي ، وفي الطريق نظر لها في المرآة قائلًا:
- أنا مكتش أعرف أنك بتتكسفي أوى كده .. لو كنت أعرف كنت جبت هند معاي
قالت إيمان بصوت يشبه الهمس من شدة خجلها:
- مش موضوع بتكسف .. بس مينفعش أركب عربية مع راجل مش محرم ليا
ثم أكملت:
- حتى خطيتتك مينفعش تركب معاك لوحدها
أومأ برأسه وهو يقول في نفسه:
- مينفعش تركب معانا لوحدها !! .. دى بتقولى كلام بيخلى وشي يحم

***
وفي المساء جلس عبد الرحمن يقص على الجميع ما حدث وهم يضحكون ماعدا إيهاب الذي
كان ينظر إلى أخته بأعجاب لأنها أحسنت التصرف، نظرت عفاف إلى إيمان بحب وقالت:
- والله يا إيمان لو البنات كلها زيك كان الشباب حالهم أتصلح
ألقت الحاج حسين طرف الخيط من كلام زوجته ونظر إلى عبد الرحمن وقال:
- صحيح يا عبده أخبار هند معاك ايه
- أنتبه عبد الرحمن على سوال والده وقال:
- هند .. اه الحمد الله كويسين

كان عبد الرحمن في داخله يتنمى أن تتصرف هند مثل إيمان وتتعامل بنفس طريقتها ولكن عزازه أنه يعلم أنها لا تفعل ذلك إلا معه لأنها تحبه وهو أيضا يحبها ولكنه بداخله صراع .. وضع رأسه على الوضادة وقد اشتعل الصراع داخله ، طبيعته الشرقية وطبيعة تربيته تجعله يريد أن تكون خطيبته متحفزة معه أكثر من هذا، فهذه ستكون أم أولاده ومن تحمل أسمه في المستقبل، لقد لاقت إيمان انتباهه دون قصد منها أنه توجد حدود بين الخاطب والمخطوبة حتى أنها لا تحل له أن تركه معه سياسته وحدها، لم يكن أمام عبد الرحمن بعد هذا الصراع إلا شيء واحد .. هو أن يتكلم مع هند ويشرح لها طبيعة مشاعره ووضع بينهما الحدود المفروضة بينهما حتى يتم تحديد ميعاد كتب الكتاب ، وكان يتوقع أن ترحبه هند بهذه الفكرة بل وكان يتنمى أن تساعده عليها فهو يحبها بصدق.

وأصلت سلمى لزيارة مريم يوم الجمعة بحجة أن تعطيها تفريغ المحاضرات التي غابت عنها، رحبت بها مريم وأجلسستها في الحديقة تحت المظلة، ظلت سلمى تجول بنظرها في أركان الحديقة وهي تقول لمريم:
- أيه ده كله.. أومال البيت من جوه شكله ايه .. يا بختك يا مريم

مريم :

- آنت جداية تزوريني ولا جدية تقرى عليا أشربي العصير بتاعك

أخذت سلمى كأس العصير ورشفت منه وهي تقول :
- قوليلى أخبار ولاد عمك ايه

نظرت لها مريم باستفهام :
- تقصدى مين فيهم

رفعت سلمى حاجبها وهي تقول بمركر:

- يعني مش عارفة أقصد مين؟

رفعت مريم رأسها من أوراق المحاضرات تنظر إليها قائلة:

- سلمى أبعدى عن وليد.. ده مش سهل أبدا .. مش بتاع خروجة وفسحة زى ما أنت فاكرة
dه أنا بنت عمه ويخاف منه ومن نظراته

ضحكت سلمى وقالت:

- أنت تخافي علشان أنت قطة يا ماما.. لكن أنا لا .. أنا أعرف أخليه يدوخ حوالين نفسه وفي

الآخر يرجع أيده فاضيه

ثم وضعت كأس العصير من يدها وأكملت حديثها قائلة:

- يقولك أيه مش هتجربينى على بيتكوا من جوا ولا أيه

أخذتها مريم للداخل ولكن وهما في طريقهما استوقفتها سلمى وهي تشير إلى ركن ما في

الحديقة وتسائلت قائلة:

- أيه ده يا مريم؟

نظرت مريم إلى حيث أشارته سلمى ووجدت ما يشبه حلبة الملاكمة وقالت:

- مش عارفة أول مرة آشوفها

***

الفصل الثامن

- مش عارفة .. أول مره أشوفها
استتكلا طريقهما إلى البوافة الداخلية لل منزل ووقفت مريم تطلب المصعد، ففتح الباب وخرج منه وليد ويوسف وهما يرتدان حلة رياضية في طريقهما للخارج، وقف وليد بابتسامة كبيرة أمام باب المصعد وهو يرحب بسلمى، صافحها وضغط على كفها وهو يقول:

- أنا أعرف ان القمر بيطلع في السما مش في الأساتسير

ضحكت سلمى بمميزة وقالت:

- ميرسي أوى لذوتك

تحرك يوسف وهو يجذب وليد من يده قائلا بضيق:

- يالا يا وليد

استوقفته سلمى قائلة :

- أزيك يا أستاذ يوسف

أشاح بوجهه بعيدا وهو يجيبها قائلًا:

- كويس ..

ثم خطى بعيدا عنهم وهو يقول لوليد :

- أنا هسبقك يا وليد

تبعته مريم بعينيها بينما قالت سلمى لوليد:

- أنتوا رايحين فين كده ؟

نظر لها وليد بجريمة مكشوفة وهو يقول :

- عندنا ماتش ملاكمة تيجى تتفرجى

قالت مريم بتعجب :

- ملاكمة أنتوا بتفتتكملا ملاكمة مع بعض

ضحك وقال:

- يعني حاجة كده خفيفة كل شهر مرة علشان متناساش
ثم أقترب من سلمى وقال بنظرات تفهمها جيدا:
- لازم الواحد يحتفظ بلياقته دايم.

أبتسمت سلمى وقد فهمت تلميحاته بينما قالت مريم:
- طب يالا نطلع احنا يا سلمى.

اقتربت سلمى خطوة أخرى من وليد وقالت:
- لا أنا عايدة أتفجر.

وهنا عاد يوسف مرة أخرى وصاح في تأثف موجهها حديثة لوليد:
- هتجي ولا أيه يا وليد؟

ذهبت إليه مريم وقالت برجاء:
- ممكن نتفجر يا يوسف؟

قال منزق وهو يذهب ودون أن ينظر إليها:
- تتفجروا على أيه.. هي سبما..

شعرت مريم بأحراج شديد أحمر له وجهها وعادت للداخل ولم تنتظر المصعد بل توجهت للدرج مسرعة وهي تقول بصبية:
- حصصينى يا سلمى.

وقفت أمام باب شقتهما وهي تكاد تبكي مما فعل بها في الأسفل، كانت تشعر بالحنق الشديد حتى أنها لم تسمع فرحة وهي تلقى عليها السلام أثناء صعودها، صعدت خلفها فرحة ووجدتها على حالتها تلك فقالت وهي ترتبت على كتفها:
- مالك يا مريم عنكى مالها.. كنت بتعطي ولا أيه.

أجابتها مريم حائقة:
- مفيش حاجة يا فرحة.
- أزاي أنا شفتك وأنت طالعة واقده في وشك.. سلمت عليكي مردتيش عليا.. قوليلي مين
- زعلك وانا أخلص بابا يأخذلك حقك منه
أبسمت مريم لطريقتها الطفولية واختصنتها وقالت:
- تسلمل لي يا حبيبي أنا كويست
- ثم قالت بتردد:
- أخوكي بس أحرجني شوية
- ارتفع حاجبي فرحة وتسائفة:
- مين فيهم؟
مريم:
- يوسف .. قلتله ممكن آجري أتفرج على الماتش بتاعهم كلمات بطريقة وحشة أوى
هتفت فرحة بسعادة:
- أيه ده .. هما هيدأوا دلوقتى مشوفتوش وهو نازل يعني
خرجت سلمى من المصعد وأتجهت إلى مريم وقالت:
- كده برسه تسيبيئين وتمشي .. مالك في أيه
- نظرت لها مريم بضيق:
- لسه فكرة تيجي تشوفيني مالي
- أقبلت فرحة على سلمى وصافحتها ورحبت بها ثم أستدانت إلى مريم وقالت:
- ولا يهمك تعالوا نتفرج ..
بترت عبارتها لأصطدامها بإيهاب على باب الشقة .. شعرت بالخجل الشديد واحمرت وجنتها
- بينما قال بابتسامة خفيفة :
- أنا آسف يا فرحة مكنش عارف أنك داخله
- قاطعتهما سلمى مرحجة به فقال إيهاب باقتضاب:
- كؤس الحمد الله.. عن آذنكم
تركهم ونزل إلى الأسفل بينما تابعت فرحة عبارتها التي كانت قد بترتها وقالت:
- تعالوا نتفرق من البلكونة

استقبلتهم إيمان بالداخل وصافحت سلمى التي انبهرت بالشقة الكبيرة وأثاثها الفخم ودخل الأربعة إلى الشرفة ليشاهدها هذه المباراة الصاخبة بين وليد ويوسف وتشجع إيهاب وعبد الرحمن المستمر مما زاد جو الألفة بين إيهاب وأولاد أعمامه.

استذأرت إيمان وتوجهت إلى عفاف زوجة عمها لتساعدها في تحضير طعام الغداء، فاليوم هو الجمعة والحاج حسين لا يرضى بديلا إلا أن تجتمع الأسرة كلها على مائدة واحدة,
طرقت إيمان باب شقة عمها ففتحت لها فاطمة زوجة عمها أبراهيم وعندما رأتها قالت ببرود:

- اهلا يا إيمان في حاجة؟
قالت إيمان ببشاشة:

- أزيك يا طنط أخبارك إيه .. ممكن لو سمحتي أدخل لطغط عفاف

أشترت لها فاطمة بالدخول، دخلت إيمان ولكنها تفاجأت بوجود هند التي تعرفت عليها ببساطة و سود جو من البهجة في المطبخ وخصوصا بعد تواجد وفاء وأصبحت تتجنب المداحيات مع إيمان التي تتمتع بشخصية مرحة عكس ماكان يوقع الجميع، بعد ساعة أنصرفت سلمى وكانت معها مريم التي أوصلتها إلى باب الحديقة الخارجي وودعتها وهي تستقل سيارتها الصغيرة وتنطلق بها ثم عادت مرير وقطعت الحديقة وهي تشاهدهم وهم يجمعون أحبس حلبة الملاكمة، نظرت إلى يوسف وهو يجمع الأحباس بصحة إيهاب ويتبزا حان وكأنهم أصدقاء منذ زمن، ظلت واقفة لبرهة تنظر إليهم في حيرة وضيق، لا تعلم لماذا يتعامل معها هكذا، إذا كان غير مرحب بوجودهم فلماذا إذن يجب إيهاب ويصدده ويعمل مع إيمان باحترام، أما هي فقداها يتعاملها باقتضاب ونادرا ما ينظر إليها وهي تحدثه نضفت أفكارها جانبا وأكملت طريقها للداخل.

وأخيرا التف الجميع حول المائدة الكبيرة وجلست هند بجوار خطيبها عبد الرحمن حيث قال الحاج حسين بترحاب:
منوره يا هند بقالك كتير مجتيب عندي
قالت هند بابتسامة كبيرة :
- ربنأ يخليش لينا يا حاج ..
ثم التقت إلى عبد الرحمن وقالت :
- أصل عبد الرحمن بقاله فترة مشغول عنى
أكمل حسين طعمه وهو يقول :
- معلش أنت عارفة بقى مشغولياته هو أنا اللي هقولك
والتفت إلى يوسف قائلا:
- صحيح يا يوسف أخبار العمارة الجديدة أيه.. والمقاول ده مريحك ولا متعاملش معاه تاني
قال يوسف بنزق :
- بصراحة يا بابا هو متعب وعاوز حد يبقى على دماغه دايم .. مبيجيش غير بالدق على
دماغه
نظرت له مريم وفي نفسها مندهشة من تصرفاته، فهو أحيانا رقيق ومذهب وأحيانا أخرى لا
يُحتمل ، بل لا يُطلق !
تابع حسين وهو ينظر إلى إيهاب قائلا:
- بقولك أيه يا إيهاب يابني .. ايه رأيك تاخد الشغلانة دى
أبتسم إيهاب وقال معتذرآ:
- يا حاج ده شغل مهندس مدنى .. أنا مهندس ديكور
قال حسين بعمليه :
- طبعا في مهندس مدنى مسؤول بس طبعا قلب مش هييقى على الشغل .. ده مجرد موظف
عامل الوقت ميرقش معاه .. بالعكس الوقت لصالحه .. وزى ما أنت شايف عبد الرحمن
وويلد يوسف مش فاضين .. ايه رأيك انا محتاجلك بجد وبعد العمارة ما تخلص تمسك انت
تشطيبها ما قولت أيه ؟
نظر له إيهاب وقد شعر بالصدق في كلماته وأنه بالفعل يحتاج مساعدته ولكنه ملتزم بالعمل في مكان آخر فقال:

- طيب وشغلى يا عمي

أبتهج الحاج حسين وقال:

- يا سيدي خد أجازة.. ولو الشغل معنا تعبك أرجعله تاني صمت إيهاب لبرهة ثم أبتسم وقال لمعمه:

- خلاص يا عمي هرد عليك بكرة بأذن الله

وهنا نظر الحاج إبراهيم إلى يوسف وقال:

- يا يا يوسف مريم عامله معاك إيه في الشغل

قال يوسف وهو يتناول طعامه:

- الحمد لله

تابع إبراهيم وهو يوجه حديثه إلى مريم:

- وانت يا مريم مستريحة في شغلك ولا معطلك .. أنا أصلى عارف يوسف طلبته كتيرة

ومتعب في شغله

ألقت مريم نظرة سريعة إلى يوسف وهي تقول:

- هو أصلا مبكيامنيش كثير علشان تبقى طلبته كتير

أرتفع حاجبي إبراهيم وهو يتابع قانونا:

- آزاي الكلام ده .. ده انتوا ولاد عم

نظر لها يوسف بحدة وقال:

- أيه المطلوب يعنى نصيب الشغل ونقعد نتساير ..

لمعت عيناها وكاتد أن تبكي من حدته

فقال إيهاب بعصبية:
- أيهم يا يوسف بتكلمها كده ليه

تدخل حسين على الفور قالت بغضب يحسبه:

- بتكلموا بعض كده وانا قاعد .. والله عال

ثم نظر إلى يوسف بحدة وقال:

- بعد الأكل نقص في المكتب نشوف ايه الحكاية

حاولت وفاء كعادتها تغير مسار الحديث المحتقق فقالت بشغف:

- تعرف يا بابا أمبارح كان عندنا محاضرة والدكتور كان بيشرحلنا في قانون العقوبات وجابننا قضية حقيقية من قضايا الزنا.. بس القضية كانت صعبة أوى تقريبا محدش فينا

عرف يكتب فيها مرافعة تمام زي ما الدكتور عاوز.. تخيل الراجل لبس مراته قضية زنا

وكمان ساومها يا أما تتنازل عن كل حاجة يا أما يحرك دعوى الزنا ضدها وتتحبس ويتعمها

ملف كمان

قطب إبراهيم حاجي به قال:

- أعوذ بالله .. معلوم في راجل يعمل كده .. وازارى اصلا يبقى حاجة زي كده في القانون

كانت إيمان هي الأخرى ترغب في تغير مجري الحديث فقالت:

- طبعا يا عمي هو ده القانون الوضعي .. جريمة الزنا الزوج هو بس اللى يقدر في أي وقت يوقف الحكم عليها ويتنازل وساعتها يتطلع براءة

قالت عفاف متسائلة:

- وده خلال بقى ولا أيهم

قالت إيمان بأرغحية:

- لا يأط طن الأحكام الشرعية في الموضوع ده لو في أربع شهداء كلهم أُقووا بالجريمة دى

وكلهم عدول ومؤتمق فيهم يبتنيذ فيها الحكم حتى لو الزوج اتنازل .. أما لو كان الزوج هو اللي أدعى على مراته الزنا ومعندوش شهود يبقى ساعتها القاضى يبطل عليهم آية اللعان
قالت عفاف متعجية:

- ياه أربعة.. بس دى لو أربعة بحالهم شهدوا عليها وهي كده تبقى لمؤاخذة بقى

أُمَّات إيمان برأسها مؤكدٌة وهي تقول:

- ماهو ده علّاش أحكام الدين في الأصل بتدعو للستر .. اللي غلط ورغباً ستره من غير ما حد يشوفه يتوب ويستر عليه نفسه. لكن لو وصلت لدرجة أن أربعة يشوفوها تبقى تستحق الرجم.. يعني مش زى ما الناس فاكرة أن تطبيق الحدود يعني قتل وموت وتقطيع ورجم عمال على بطال

قالت وفاء بتركيز:

تعرَّفْي يا إيمان أنت خلثنيى أخذ بالى من حاجات كتير وأنا بقى كده نويت أعمال دراسة بالمقارنة بين القوانين الوريضية وأحكام الشرعية

أبتسمت إيمان وقالت ببحور:

- يالا توكلي على الله.. وأنا مستعدة استعنينك بكل جهدين والكتب اللي عندي

نظرت هند إلى عبد الرحمن فوجدته يتابع الحديث باهتمام فقالت :

- أيه يا عبد الرحمن مش بتعاكل ليه مركز أوى يعني

قال بنظارات مبهورة:

- بصراحه أنا أول مرة أسمع الكلام ده .. أيه الجهل اللي الواحد فيه ده

قال حسين موجهًا جده لـ إيمان:

- تعرَّفْي يا إيمان أنا كل يوم يزيد أعبابي بيكي أكثر من اليوم اللي قبله

قالت له مدعية:

- لا ملش يا عمي أنا أصلى مش ناوية أرتبط دلوتقى .. يعني هيبقى حب من طرف واحد

ضحك الجميع وشرعوا في أتمام طعامهم حتى نهض حسين من مكانه وآشر إلى يوسف ومريم قائلاً:
- يوسف ومريم، تعالوا ورايا على المكتب حالاً.

نهض ولد من مكانه فاستدار إليه حسين وقال:

- يقول يوسف ومريم بس .. أظن الكلام واضح للكل

نهضت مريم بعد يوسف بلحظات ورغم مشاعر الحنق التي توجد بداخل كل منهم لا تجاه الآخر إلا أنهما عندما وصلا لباب المكتب تبادلا النظرات وكأنهما طفلين تم أستدعانهما لمكتب الناظر لينالا عقابهما الرادع!

***

الفصل التاسع

نهضت مريم بعد يوسف بلحظات ورغم مشاعر الحنق التي توجد بداخل كل منهم إلا أنهما عندما وصلا لباب المكتب تبادلا النظرات وكأنهما طفلين تم أستدعانهما إلى مكتب الناظر لينالا عقابهما.

تنهد يوسف بعمق وطرق الباب فتقدمت مريم خطوة ونظرت له بتحدى وكأنها تقول:

- النساء أولى

زفر بقوة وتراجع خطوة ليسمح لها بالدخول قبلاً

دخلت مريم ودلف بعدها وها وجلان للغاية، أشار لهما حسين بالجلس أمام المكتب وهو ينظر لهما نظارات صامته صارمة ثم قال:

- في أيه بقى عاوز أفهم

وفجأة انقلب الصمت إلى معركة ، تدافع الثناء في الحديث وكأنهما يتسابقان من يتكلم أكثر من الآخر

- من ساعة ما شافني وهو مش طايقتي
مش طايفك أزاي يعني مش فاهم

بتكرش في وشي وبتعاملكن وحش

المفروض أعمل أبي يعني أفرشلك الأرض رمله لما أشوفك

لا بس تعاملك معاملة كويصة

والله ده شيء زاد عن حده .. هتعلمينات交流合作 آزاي

هتف الحاج حسين ليوقف هذه المعركة الدائرة قالنا بصرامة :

- بسس .. والله عال أومال لو كنت مش موجود معاكنا كنتوا هتعملوا أية

أطرقت مريم برسها خجاجاً وهي تقول :

- أنا آسفه يا عمي

قال يوسف معتدراً:

- آسف يا بابا بين هي الذي يرفزتي

نظرت له بحده هاتفة :

- أنا اللي يرفزتك ...

ثم التفتت إلى عمها وقالت باندفاع :

- بص بقى يا عمي علشان تعرف بيعاملك أزاي .. النهاردة كسفنى قدام صاحبيتى لما طلبت

منه اتفرج عليه هو ووليد .. واتريق عليا وقالى هي سيما ؟ .. ده غير طباعة طريقه معاملته

ليا دايمما سواء هنا ولا في الشركة

هتف يوسف صاحباً :

- صاحبتى !! يا بابا صاحبتها دى والله لو شفتها لتحكم عليها متكلمهاش تانى .. أنا مش

عازف مصاحباها ازاي دى

هتفت مريم معتترضاً :

- هو أنت كمان هتتحكم في أصحابي
ضرب الحجاج حسين المكتب بقبضة يده ونهض بحجة موجهاً حديثه لكلاهما:

لتانتى مرة صوتتوا على قادمى
وقف يوسف وقال بضجر:

- بابا. أنا قتلت من زمن أنا ماليش في معاملة الحريم أنا آسف يعني

هدأت العاصفة قليلاً بينما قال حسين بهدوء:

- براحة كده ومحدش يقاطع التانتى علشان أفهم.

ثم نظر إلى يوسف وقال متفهماً:

- أيه اللي مضاييك يا يوسف بالظلم.

يوسف:

- أنا عاوز راجل يمسك مكتبى بعد أذنك
وقفت هى الأخرى وقالت متفقة:

- وأنا مش عاوزة اشتكى معك
نظر لها عمها وقال بحدة:

- هو أنا مش قلت محدش يقاطع التانتى
أنكشت وجلست مكانها في صمت ، ألتفت إليه مرة أخرى قالتا:

- أيه اللي مش عاجبك في شغلها
نظر لها يوسف قالتا:

- شوف حضرتك طريقة لبسها.. أنا محبش العملاء اللي داخل واللي خارج يقعد يتفرج على
بنت عمى وهي لايسة كده
أبسم حسين وهو يومي بنشره وقد لمعت عينيه قائلة:

- ده بس اللي مضاييك؟
- إيوا

ربت على كتفه وقال آمراً:

- طيب أبعد

ثم التفت إلى مريم قائلًا بهدوء:

- بصراحة يا بنتي أنا كمان مش عاجبني اللبس ده .. وكانت هكلك عليه من بدرى بس محبتش تضايقى مني وتفكرى أنى عاوز أتحكم فيكى

قالت بتماسك:

- ياهمى أنا بلبس كده من زمان .. ومحدش بيبصلى .. عادى يعنى لبسي مش أوفر

تدخل يوسف مقاطعاً:

- وعرفنتي منين أن محدش بيبصلك

نظرت له بغضب وقالت:

- يعنى أيه عرفت منين .. كل البنات اللي حواليا يلبسوا كده وزمايلى في الكلية كلهم لبسوه كده

لوح يوسف ببيده وهو يقول:

- لا يا بابا مش حقيقى .. أنا لما وصلتها الكلية شفت البنات داخله وخارجه من كليتها .. فيهم بنت بأ لبسين زيها وأكتر لكن برضة شفت بنت كتيرة لأبسين لبس محترم زى أى كلية فى الدنيا فيها كده وفيها كده

قالت مريم بانفعال:

- يعنى أنا مش محترمة ؟ .. وبعدين هما حرين كل واحد حر

نظر إلى والده قانوناً:

- شايف الرد يا بابا

أرسل حسين تنهاية طويلة ثم قال:
- بصراحة أنتوا الاثنين غلطائين .. أنت يا مريم لازم تأخذي بالك من طريقة لبسك ومفيهاش حاجه لو ليستي حاجة شكلها حلو برضا بس مش مجسمكى أوي كده .. ده أنت حتى يا بنتي محبوبة ..

قالت بعند:

- زى ما حضرتك قلت ياعمي .. أنا محبوبة أعمل يه تاني

قال حسين متعجبًا:

- تعملي أيه .. الحجاب يابنتى يعني زى ما غطيتي شعرك تغطي جسمك .. شروط الحجاب
  أنه ميجسمش الجسم ولا يبقى شفاف .. هنعمل أية بطرحة على الشعر والجسم ملامحه
  واضحة .. ده مبيقش حجاب يابنتى ده يبقى موضة

أطرقت برأسها وقالت بخوف:

- حاضر يا عمي هحاول أهير لبسي شوية

هتف يوسف معتبراً:

- شوية ؟!!

هتفت مريم مؤكدة:

- أيه شوية .. وده علشان خاطر عمي بس

أبتسام الحاج حسين قائلًا:

- ربيا يكرم يا بنتي .. منتصوريش فرحتين أرئى علشان عملتيلى خاطر ..

واكمل هو ينظر إلي يوسف:

- وانت يا يوسف طريقة النصح مشر كده .. أهدى .. بطل تتحمك كده علشان الناس تفهمك

وتتابع بابتسامة وهو ينظر لمرم:

- لو مكتش بيخاف عليكي مكتش زعل منك .. ها خلاص صافي يا لبن ..

قال يوسف بتبرم :
الى تؤمر بيه يا بابا
قال آمراً:
طب يالا اعتذر لبنت عمك عفشان أهرجتها قدم صاحبتها
رمقها يوسف بنظرة نارية والتقت إلى أبيه بدهشة وهو يقول:
- أنا اللى اعتذر يا حاج؟
أوماا له والده برأسه وقال مؤكداً:
- ولو معتذر تشخلك تبوس رأسها
أحمر وجهه وهو ينظر لها بضيق ثم قال بسرعة:
- آسف
رمقته بنظرة مستفزّة، فانفعل مرة أخرى هاتفاً:
- شايف يا بابا بتبصلى ازاي
وقف حسين بجانبها وضع يده على كتفها وقال بهدوء:
- وانت اعتذر لابن عمك عفشان رفعتى صوتك عليه
قالت بنزق:
- ياعمى هو الللى بده
نظر لها الحاج حسين وقال آمراً:
- مريم.. اعتذر
نظرت له فرمقها بنفس النظرة المستفزّة التي نظرت لها من قبل ورد عليه ابتسامة ساخرة
، ألفته نظره إلى عمها الذي كان مصواباً نظراً إليها ينتظر اعتذارها ثم عادت بعينها إلى
يوفس وقالت بشموخ:
- سوري
قال يوسف وهو يعقد ذراعيه أمام صدره ببرود ساخر:
لا سوري أيه.. أنا مبعرفش لغات
ألقت عليه نظاراتها الحارقة وقالت بسرعة:
- آسفه .. عن أذنك يا عمى
وخرجت مسرعة وهي تستشيط غضبا منه وحده!
***
خرجت مندفعة إلى باب الشقة ومنه إلى الدرج لتصعد شقتهما فاصطدمت بوليد الذي قال
بدهشة:
- أيه.. واخذها في وشك كده ورايحة فين
قالت بعصبيه:
- أبعد عن دلوتى لو سمحت أنا مش طايقة روحي
وليد:
- مالك بس مين اللي زعلك ياقمر
نظرت له وكأنها لا تراه وقالت باندفاع:
- أنا لبسي وحش؟
تصنع وليد نظارات الدهشة وقال:
- مين اللي قال كده ده.. أنت آخر شياكة وحلاوة
قالت بمرارة:
- يوسف
قال وليد بغضب زائف:
- ولا ابن عمى ولا اعرفي.. يا شيخه ده راجل معقد سبيك منه
تركته وأكملت طريقها، حاول أن يوقفها مرة أخرى، ولكنها لم تعرف اهتماماً، دخلت غرفتها
و ارتقت على فراشها وأخذت تبكي، بعد لحظات وجدت إيهاب وإيمان واقفان أمامها في
وجههما نظارات تساوون ثم قال إيهاب:

- أيه اللي حصل مع عمك.. قالك حاجة زعلتك؟

حركت رأسها نفياً وهي تجفف دموعها، جلست إيمان بقربها وقالت:

- طيب بتعطى ليه يا حبيتي

قال إيهاب بانفعال:

- لو حد زعلك قولليه.. أحسنا مش بنشتغل عند حد.. نمشى فورآ

قالت إيمان بفروظ:

- أهدي يا إيهاب لما نعرف في أيه

أعتدلت مرية في جلستها وقصت عليهم ما دار في حجرة المكتب

أنفع إيهاب أكثر وصاح بصبيبة:

- شافه يا هانم.. ياما قلتلك.. ياما اتخانقت معاك على لبسك شوية وعلى البت اللي ماشية
معاها شوية.. وانت ولا انت هنا.. وادي النتيجة.. الناس بقت توصلك زيها .. وأكيد طبعاً
بيقولوا عليا مش راجل.. ما انا سايبك بقى تلبسي اللي تلبسية

بكت مرية بشدة وقالت:

- خلاص بقيتوا كلكوا عليا دلوقتي

حاولت إيمان تلطيف الجو بينهما ولكنها فشلت، خرج إيهاب مندعاً في غضب، قطع الحديقة
بخطوات واسعة وسريعه، رأته فرحة فحاولت أن توقفه لكنه لم يسمعها، وقفت حائرة لا
تعلم ما ألم به فصعت تبحث عن إيمان، وجدتها تهبط الدرج إلى الحديقة فاستوقفتها
والفقير بادى على وجهها وقالت متسائلة:

- هو إيهاب ماله.. كان ماشي وشکله زعلان أوى حاولت أندأ عليه مرش بشمي بسرعة

هو حصل حاجة يا إيمان
نظرت لها إيمان بتمعن ثم وضعت يدها خلف ظهرها وصممت، زاد قلق فرحة وقالت:

- أيه يا إيمان بتصيلى كده ليه؟

مطت إيمان شفقتها بمر وقالت ببطء:

- وأنت مالك قلقانة كده ليه

أرتمت فرحة وقالت:

- أبدا عادي يعني بس

وجهت إيمان سبابتها إلى وجه فرحة وقالت تداعبها:

- أعترف يا فرحة الأكوار مش هيفيدك

أحمرت وجنثاها وقالت بخجل:

- أعترف بأيه مالك كده عاملة زي المحققين اللئ ببطلوا في الأفلام

أبستمت إيمان لها وقالت بحنان بالغ:

- هو كمان مهتم بيكي على فكرة .. ده أخويا وأنا عارفاه

أبستمت في خجل وقالت:

- هو اللي قالك أنه مهتم بيا

ضحكت إيمان في سعادة واحتضنت فرحة، كان عبد الرحمن يهبط الدرب فوجودهما هكذا

فوقع ووضع يديه على وجهه وقال بطريقة مسرحية:

- لا مش ممكن .. مش مصدق عنك .. أختى وبنت عمى .. وفين .. على السلم .. رحمتك يارب

ضحكت فرحة ضحكة عالية بينما استدارت إيمان لتخفي ضحكتها الخجولة بيدها

****

اليوم التالي كان يوم الصدام الحقيقي في الشركة بين يوسف ومريم وهند وعبد الرحمن,
كان عبد الرحمن قد قرر أن يتكلم مع هند في طبيعة علاقتهما وأن يضع لها حدود حتى يتم
عقد القران، وكانت مريم تنمو أن تنتقم من يوسف شر انتقام.
دخلت عليه مكتبه وهي معها بعض الملفات، وجدته واضعاً سماعات الهاتف في أذنيه
ومعنى العينين في استرخاء شديد، خطت نحوه ببطء وتناولت مج النسكافية الفارغ من
 أمامه ثم قذفته على الأرض بقوة، فزع يوسف ونزع السماعات من أذنيه وصرخ فيها:
- في إيه!!
قالت ببرود:
- ولا حاجة.. الملف خبط في المج وقعه على الأرض
وابتهست باستفزاز وأكملت:
- طب أجيلك بعدن بقى تكون الخضة راحت
خرجت وأغلقت الباب خلفها بينما جلس يوسف ومازال وجهه عليه أثر المفاجأة ثم ابتسمر
وهر ضرب كفاً بآخر ويقول:
- البيت دى مش هتجمعها لير معايا.. بس اظهار أنها متوفرن ش كويس .. مشي يا مريم
واحدة بواحة والبادى أظلم
****
انتظر عبد الرحمن وقت الراحة وذهب إلى هند ليتحدث معها، عندما رآته تهله وجهها
وقالت:
- كنت متاكدة أنك جاى .. وحشنتى
ابتسم بارتباك وقال:
- هند عاوز اتكلم معاكى في موضوع مهم
لاحظت الأرتباك على وجهه فقالت بقلقه:
- خير يا عبده مالك
عبد الرحمن:
هندي. عاوزك تفهميني كويس أوى .. أنا والله بحبك وهفضل احبك ونفسى تبقى مراتى
النهاردة قبل بكرة .. لكن لحد ما نكتب الكتاب لازم علاقتنا تبقى بحدود

أفقر وجهها وقالت:

- يعني أيه بحدود؟

عبد الرحمن:

- يعني مش هينفع نخرج مع بعض لوخدنا وبرضة يعني الكلام بينا هيبقى بحدود...

نظر لها ليракب تأثير كلماته عليها فوجدنا تنظر إليه بدهشة وتعجب وترقب فأكمل:

- اللئي بقلهولك ده لمصلحتك أنت قب مصلحتي .. علشان عاوز أشوفك في أحسن صورة

ضيقت عينيها وقالت بشك:

- من أمتي الكلام ده يا عبد الرحمن

قال بتصميم:

- من زمان يا هند وانا بضايق من بعض تصرفاتك معايا .. لكن كنت بتفضي عنها لكن أخيراً

عرفت أن في حاجات حرام في علاقتنا لازم نتجنبها والحرام مش هينفع نغالط فيه

قالت بصبرية:

- وأنت من أمتي بتقول حرام وحلال

نظر لها بانزعاج وقال:

- يعني أيه ..

أومأت برأسا وقالت بانفعال:

- بس بس أنا دلوقتى فهمت

نظر لها بتمعن قائلا:

- فهمتى ايه

هندي.
فهمت أنك بنتهرب من الجواز .. عاوز تتطفنشى يعني
زهر عبد الرحمن بقوة ثم قال:

لا يا هند منقوليش كده أنا ناوي أكتب الكتاب قريب لكن لحد ما نكتب الكتاب لازم نراعي النقطة دى

هند:

وأيه اللي مانعك ما نكتب الكتاب

عبد الرحمن:

مستنى بابا يحدد معاد .. كل ما أفاته في الموضوع يقولى أسنتى شوية

قالت بانفعال:

وأنا بقى هستنى لما أبوك يحن عليا

هتف بغضب:

أتكلمى عن أبويا كويس يا هند أحسنلك

هوت إلى مقعدها وظلت تبكي في صمت ، وقف بجوارها وأستند إلى مكتبها وقال بحنان :

أنا مش عارف آنت قلقانة من أبى .. هنجز والله بس اصبري علينا شوية .. أبويا مبيجيش بالضغط .. بالعكس

قالت وهي تبكي:

مش ملاحظ أن الحاج حسين أبتدى يأخير معاد الجواز من ساعة ما ولاد عمو رجعوا

قال عبد الرحمن بعدم فهم:

طب وولاد عمى مالههم بالموضوع ده

قالت وكنها لم تسمعه:

وأنت كمان أهو أبنتي تقولى حرام وحلال

نظر لها متعجباً وهو يقول:
- طب وفيها أيه

هزت رأسها بحنق وهي تخفف دمعها قائلة:

- لا فيها كثير وآنا اللة غلتانة

قطب حاجيه وهو يقول:

مش فاهم

نظرت بعيداً في شرود وهي تقول:

- مش لازم تفهم دلوقتي .. لو سمحت سبى لوحى معاوزة أقعد مع نفسى شوية قبل ما والدك يرجع المكتب تانى

نظر لها بأسى فهي لم تفهمه كما كان يتوقع وتركها وغادر إلى مكتبه ، وقف أمام المصعد

لبرهة ثم شعر أنه أخطأ بحقها وقليبه أمره بأن يعود إليها ويسترضيها ، فلم يكن يجب أن

يتركها في هذه الحالة ، لابد أن يثبت لها أنه يحبها وشغوف بها ولن يتزوج غيرها أبداً.

عاد إليها ولكنه وجد باب مكتبها مغلق فظن أنها أغفلته لتبيكى وحدها دون أن يسمعها أحد.

وحتى لا يفاجأها والده بدخوله عليها وهي تبكي ، ففتح الباب ببطء ليطمئن عليها ولكنه

سمعها تتحدث في الهاتف ، والتنقشت أذنها حديثها الذي جعل عينه تكاد أن تخرج من مكانهما

وكاد وجهه أن ينفجر غضباً وبعضاً من هول ما يسمع.

***

الفصل العاشر

وقف دقائق يستمع ويستمع وعندما انتهت مكالمتها عاد ببطء وجمد إلى المصعد مرة أخرى

وهدب إلى الأسفل واستقبل سيارته دون أن يتحرك بها ، استند برأسه إلى ظهر المقعد وأغلق

عينيه وهو لا يكاد يصدق ما سمع ، كلمات زلزلت كيانه وفطرت قلبه ، لا يعلم كم مر عليه
من الوقت وهو في هذا الوضع خلف المقود فلم يعد يشعر بشيء غير الجمود، وفي النهاية
سمع طرقات على زجاج سيارته، فتح عينيه وانتفت فوجد والده قد عاد ووقف منحنياً ينظر
إليه بدهشة، فلق الحاج حسين بشدة وهو يرى ابنه في هذا الوضع فهو يعلم أنه لا يجلس
هكذا إلا إذا كان يشعر بالألم حقيقى، فتح الباب وجلس بجواره قائلًا بلهفة:

- مالك يا عبد الرحمن قاعد كده ليه يابني؟

أرسل تنديدة قوية وهو يقول:

- تعبان يا بابا

ظهر التوتر أكثر على ملامح حسين وهو يقول متسائلًا:

- تعبان أزى يعني.. فهمني

أغمض عبد الرحمن عينيه بالألم وهو يقول:

- هكيلك كل حاجة يا بابا ...

وقص عليه كل ما دار بينه وبين هند وكيف عاد حتى لا يتركها بمفردها متأملة منه وماذا
سمع منها وهي تتحدث في الهاتف، أنهى حديثه قائلًا بأسى:

- أنا آسف يا بابا.. مكتشف أعرف أنها كده

ربت والده على كتفه بقوة وقال بعزم:

- أجمل يا عبد الرحمن الدنيا فيها ناس كثير بالشكل ده يابني.. وانت مش صغير.. واللى

حصل ده يعلمك مش يزعلك كده يابني

أومأ عبد الرحمن برأسه في صمت حزين قاطعه والده قائلًا:

- تعالى معايا

- لا يا بابا .. مش عاوز أشوفها ثاني بعد النهاردة

أمسك والده ذراعه قائلًا بتصميم:

- لا هتيجي معايا .. عاوزك تسمع بس متعلق على حاجة .. تعالى
قطع حسين الممر الطويل المؤدى إلى ردهة مكتبه الخاص بصحبة عبد الرحمن، نهست
هندا عندما رأتهما، فأشار لها أن تلحقهما إلى المكتب

جلس حسين خلف مكتبه وأشار إلى عبد الرحمن أن يجلس في المقعد المقابل له ودخلت
هندا لتقف أمامه وكانت تتوقع أمرا من أمور العمل طلبه لأجلها، ولكنها تفاجأت به يقول:

- لو سمحت روحى هاتى شنتتك

نظرت له في دهشة واستنكار، فأعاد أمره مرة أخرى:

- هاتى شنتتك يا هند

خرجت بخطوات بيئية، يدور بخلدها ألف سؤال وسؤال، أحضرت حقيبتها وعادت إليهما،
فمد يده أمامه قابل بلحظة أمره:

- هاتى تلفونك

أخرجت هاتفها وأعطته أيها:

- ضغط عدة ضغطات على لوحة المفاتيح ثم أدار شاشته لها وقال بجدية:

- رقم دهن ده اللي كنتي بتكلمه من شوية

أرتبكت بشدة وزاغت نظراتها وهي تقول:

- دى واحدة صاحبتي ..

نظرت إلى عبد الرحمن فوجدته يشيح وجهه عنها ويكسو وجهه الحزن والغضب والجمود
فقالت:

- في أيه يا حاج حسين ؟!

نظر لها حسين وقال بثقة:

- كدبتي ليه عليا وقولتي أن الجواب كان في صندوق البريد باتاع الشركه؟

هو اقليها إلى قدميها واحمر وجهها خوفا، لا تعلم ماذا تقول، وكيف تفعل فلجأت إلى الكذب
مرة أخرى وقالت:
ماهي هي دى الحقيقة يا حاج .. أنا فعلا لقيته في الصندوق

خبط على المكتب فانتفاض جسدها وقال محذراً:

- هتكدبي تاني ؟.. الجواب ده وصللك يدا بيد يا هند .. صح

ظهر الربع على وجهها وقالت مدافعة عن نفسها:

- مين اللي وصللك الكلام ده يا حاج اللي قالك كده كداب

أشار إلى عبد الرحمن الذي كسى الحزن وجهه أكثر وأكثر وقال:

- عبد الرحمن هو اللي قالى

صمتت في دهشة وخوف لا تدري ولا تفهم كيف عرف عبد الرحمن بالأمر

تابع الحاج حسين كلامه:

- عبد الرحمن سمعك وأنت بنتكلمي في التليفون يا هند .. ده أجابه السؤال اللي بيدور في

دماغك دلوقتي

استندت إلى أقرب مقعد لها فلقد تخلت عنها قوتها وأصفرت الدنيا أمامها وكادت أن يغشي

عليها من الصدمة .. وبدأت في البكاء

نهض عبد الرحمن قائلاً:

- أنا مروح يا بابا عن أنفك

أومأ له والده بالموافقة فانصرف دون أن يلتفت وراءه ليخفى ألمه وندمه ويداوي جرحه

العميق

نهض حسن من مقعده ووقف بالقرب منها وقال:

- معقوله يا هند .. ده أنا كنت بعتبرك زى بنتى بالظلم تقومي تخونينى كده

بكت بشدة أكبر وقالت بمرارة:

- والله يا حاج أنا مكدت أقصد أني اخونك .. أنا قلت يعني ده مجرد جواب هوصلهلك

وخلاص وبعدين هي فهمتها أن الجواب ده في معلومات حضرتك بتدور عليها بقالك سنين

وقالتلها أن ده عمل خير
أبتسام في سخرية مرتدة قائلة:

- وهو عمل الخير اليومين دول بياخذوا له مقابل...

هتفت ببكاء:

- والله يا حاج أنا مطلبتين منها فلوس هي اللي عرضت عليا الفلوس علشان تتأكد أنا هنتم وأوصل الجواب بنفسلي لأنها كانت خايفة حد تاني يشوفه وميصولهوش وأنا كنت محتجة

مبلغ كده في الوقت ده كنت مكسوفة أطلب سلفه من حضرتك .. وهو ده كل غلطى .. أنا آسفه يا حاج أنا آسفه

أنفعل عليها قائلا:

- أنت لسه بكديبي يا هند .. أنت خدتى منها رقمها علشان تقوليلها أخبارى أول بأول .. صح ..

أما مش عارف أنت مستمرة في الكدب ازاي وانا بقولك عبد الرحمن سميك وانت بتكلميها

أمتقع وجهها وقالت بارتباك:

لا والله يا حاج أنا متقلتش أخبارك لحد .. هي لما أدتنى الرقم قالتلي علشان لو حصل

وحضرتك مقرتش الجواب لأى سبب أبلغها

وبعد كده كانت بنتصل عادي تقولى أزى الحاج عامل أيه وأزى عبد الرحمن ويوسف وانا كنت بتعاملا معها على أساس أنها قريبتاكو يعني فيقولها كويسيين وخلاص

كاد أن ينفعل مرة أخرى وهو يستمع إلى كذبها المفصول ولكنه صمت قليلا ثم قال فجأة:

- خلاص يا هند أنا مصدق .. بس أنت عارفة طبعا أنك غلطتي .. والغلف ده مينفعش يعدى

كده

قالت بلهفة:

- الله يخلالك يا حاج مترفنيش أنا محتاجة الشغل ده اوى

نظر لها بتفكير وقال:

- أنا مش هرهلك .. بس أبني مجريح منك اوى وممش هيستحمل يشوفك هنا تاني .. أنا هننلك

مكان تاني تكونى بعيدة شوية عنه .. مش عاوزه يضايق كل ما يشوفك
قالت بحيرة:
- يغنى يا حاج هو قرار.....

قاطعها الحاج حسین قنالاً:

- سبيسه شوقي كده لما يفوق من صدمته شهرين كده ولا حاجة. يكون نسي وهدى وبعدين أبقى أتكملي معاهم يمكن وقتها يسامحك. يالا دلوقتي خدي شنتتك وروحى وبكره إن شاء الله تيجي على شغلك الجديد

****

- معقوله يا حاج اللي أنت بتقول له. أزاي تسببها في الشركة بعد اللي عملته

اعتدل حسين في جلسته وهو يجيب زوجته عفاف قنالاً:

- أهدى بس يا أم عبد الرحمن. أنا عارف بعمل أيه كويت... هند بتشتغل عيانا من زمن ومعاها أسرار كتير عن شغلنا متنسيش أنها مديرية مكتبى ومسؤولة عن ملفات كتيرة .. لو طردتها وقطعت عيشها هتقول عليا وعليا أعدائي .. إذا كانت خانتي ولي شغاله معايا ومخطوبة لأبني يبقى هتعمل أيه لما الخطوبة تنفس وكمان أطردها من الشغل

قالت عفاف بتفكير:

- طب وبعدين

- ولا قابلين. أنا قلتليها تسبب عبد الرحمن شهرين كده على ما يهدى .. أكون أنا غيرت تفاصيل وحاجات كتير في الشغل وساعتها تبقى المعلومات اللي هي تعرفها قديمة ومالهاش لازمة وضررها هيبقى قليل أوى إذا مكش معدوم يغنى .. والمكان اللي نقلتها فيه مفيهوش حاجة تعرف تضرنا بيجا ولا تستعملها مع شركات معهدش ذمة عاوزه تضربنا في السوق

قالت عفاف بتعجب:

- والله يا حسين أنا مش عارفة أنت بتعرف تمسك أعصابك كده ازاي مع واحده خانتك

بالشكل ده

ضحك وقال:
- أصلها بصراحة خدمتني مرتين ثلاثة كده من غير ما تحس 

نظرت له بتجيب فأومأ برأسه قائلة:

- زى ما بقولك كده خدمتني وضرت نفسها ..

تنهد بقوة وتابع كلامه:

- أحلام كانت تستخدمها عشان تعرف أخبارنا وأخبار يوسف عشان تعرف تقريبه من مريم

وأبتسم قائلة:

- وأننا معنديش منع .. أنا نفسي في كده أنا كمان

بس هند بقى بغيبها لما لاقت عبد الرحمن معجب بكلام إيمان وكمان راح قالها حلال وحرم

أفكرت أنه بيطفشا عشان خاطر إيمان فاتصلت بأحلام وجلبت اللى عندها كله

قالتله أنا أقدمك يوسف على طبق من دهب وأنت عاوزه تطعيني من المولد بلا حمص

تنهدت عافف بألم وقالت:

- ياعيني عليك يا عبد الرحمن .. ده كان بحبها اوى .. عشان كده يا عين أمه مخرچ من

أوضته من ساعة ما رفع وقاعد في البلكونة من ساعتها حتى مرضيش يعشا

ثم نظرت له فجأة بانتباه وكانها انتهيت لحديثه في التو وقالت:

- يعني أيه أنت كمان عاوز كده يا حاج

قال مبتسماً:

- يعني هي خطت عشان تقرب مريم من يوسف وتشغلها معاه وانت عارفة يا عافف أني

عاوز ولاد أخويا يفضلوا في حضن عشان كده بقولك وآنا معنديش منع ..المهم عندى أن

مريم تحب يوسف مش تبقى عاوزه تتجوزا عشان تنفذ خطت أمها وخلاص

أستندت عافف إلى قبضتها وهي تقول بتفكير:

- وتفكر مريم منفقة مع أمها يعني

قال بشرود:
- مش متأكد يا عفاف .. لما كانت متحمسة في الأول علشان تشتبغل معا كان ممكن أقول اه عارفة .. لكن بعد المشاكل اللي حصلت بينها وبين يوسف مبقتش متأكد .. لأنها لو كنت بتنفذ كلام أمها كان زمانها تسمع كلامه وأنت عارفة يوسف بببست من الست اللي بسمع الكلام وأكيد أحلام وصلت المعلومة دى لمريض .. وطالما مريم منفذتهاش يبقى اللي أنا حسيته أمبارح في المكتب وهم بيختانقوا قدمى كان صح.

ألفنتت إليه عفاف بتسائل وقالت:

- أيه اللي أنت حسيته يه .. وهي أحلام يعني بتعل كل ده ليه

قال حسين بلا مبالاة:

- مش مهم دلوقتي .. أهم حاجة عندي دلوقتي عبد الرحمن .. عاوزه يخرج من الحالة دى قلبى وجونى أوى عليه .. الله يكون في عونه .. مش سهل عليه اللي حصل ده

***

كانت هند تجلس في فراشها وتتبكي بشدة وقد تورمت عينها من كثرة البكاء بينما جلست أختها علا بجوارها ومسحت على ذراعها وحاولت أن تهدئها لكن هند نفست يد أختها في قوة هاتفتها:

- أبعدى عنى .. أنت السبب .. أنت السبب

وقفت علا ووضعت يديها في خصرها قائلة:

- نعم يا مااما أنا السبب ازاي يغنى .. أنا بس شجعتك أنك توصلوا الجواب وناخد اللفوس لكن مقلولتلكيش تقوليلها أخبار أخو خطيبك يا هانم .. وأنت أصلا غيبة .. لو كنتي قلتيلي كنت هقولك لاء .. لأن اللي ترسم على واحد ممكن أوى ترسم على أخوه وتطليع أنت من المولد بلا حمص وأهو ده اللي حصل يا ناصحة

قالت هند برجاء:

- لا لا عبد الرحمن مضعف مني .. هو بس مصدوم وعاوز فرصة يهدى وبعدين مش هينفر

يعد عنى أنا متأكدة .. متأكدة
علا:

- وأنت فكرتك أن أبوه هيسمحلك تدخل عيلتهم بعد الليل عرفة .. والله أنا لو منك انتقم منه

قالت هند بشرود:

- لا الحاج حسين نقللي بي عفشان محصل بيني وبين عبد الرحمن لكن أنا متأكد

أنه مش هيعارض لو عبد الرحمن عاوزني .. ليه أروح أعاديه وأخسره للأبد

علا:

- وتفكرى يعني اللئ أسمها أحلام دى ببنها هيفوتها الفرصة .. دى أكيد هيستغلوا بعدك

 عنه ويفضلوا وراءك بعد ما يتجوزها

نظرت لها هند نظرات شاردة وقالت :

- خاليها بس تحاول تاخده مني .. وانا هوريكي هند ممكن تعمل ايه في شركتهم دى

****

كان عبد الرحمن يجلس على مقعده الخاص به في الشرفة مغمض العينين يستعيد كل
ذكرياته مع هند، كل كلمة حب قالها لها وكل نبضة قفزة بها قلبها لأجلها .. فتح عينيه ببطء
لينظر إلى الحديقة المظلمة وكأنه ينظر إلى الظلم المحيط بقلبه، فلقد انطفأت شمس حبه
فجأة .. وبعد رجعة !

رأى الرباح تعبد بأوراق الشجر فقفاً، الأشجار فتقو، بعضها ويستسلم البعض الآخر فتسطعها
أرضًا .. نعم من يستسلم للرياح يسقط فيصبح جزءًا من الأرض ليداس بالأقدام كما تدان
الأرض التي سقط إليها راضياً .. لمعت عيناها وتقاتلت الدموع بضراوة من أجل أن تهبط إلى
مجرها لتترى ظناً محنته، ولكنها وجدته مقاتل من الدرجة الأولى، لم يسمح لها وسجتها
في محبسها ليفتحظ بها ويجعلها مداداً لحياته القادمة والتي قرر أن تكون بلا حب وبلا
مشاعر وبلا قلب .. المعنى الحقيقي للجمود.
الفصل الحادي عشر

دخلت مرية صباحا إلى مكتبة فوجدت حركة غير طبيعية في مكتب يوسف، ثم سمعته يصرخ في بعضهم من الداخل قائلًا:

الملف ده لو ضاغ هتبقى كارثة

أطلت برأسها إلى الداخل لترى ما يحدث فوجدت أثنين من الموظفين يقفان أمامه وهو منفعل بشدة في الحديث وعندما رأها فجأة نظر لها نظرة حادة وقال بعصبية:

تعالى هنا يا هانم في ملف ضايق وحضترتك لسه واصله

قال الموظف الأول:

ياافند حضترتك مضيت الملف ده أمبارح

قال الآخر:

وقلت حضترتك هتبعته للحاج إبراهيم يمضي ويراجعه

قال في عصبية:

أفضلوا انتوا دلوحتي

ثم استدار لها وهي تقول:

ملف أيه بس وأحنا ندور عليه

هتف يوسف بعصبية:

لسه بتسألني .. الملف اللي أخدته امبارح قبل ما نمشى وقلتني هتبعتي للحاج إبراهيم

ارتقبت مرية وهي تفكر بصوت عالي:

مش فاكرة.. طيب استانتي أفتكر
أنفعل أكثر قائلاً:

الملف ضاع وآنت لسه هتفكرى .. أيد نسيتى تبعتيه اتفضلى بالا دورى عليه في مكتبى ولدى الدولاب .. أقلبى الدنيا عليه

خرجت مريم في اضطراب شديد تبحث بتوتر وسرعة .. لم تجد شيئا ولا تذكر أيضا شكل الملف .. خرج إليها بعد دقائق وهو مازال يهتف بصوته الجهوري:

- آيه لسه مش لاقيه حاجة .. آنت عارفة لو الملف ده ضاع هيحصل ايه

حاولت مريم أن تركز تفكيرها لعلها تتدكر أين هو ولكنه لم يعطيها فرصة .. صوته العالي أربكها جدا وشدت تفكيرها .. ظلت تبحث أكثر من نصف ساعة وهو واقف ينظر إليها ويشتت تفكيرها بصوته .. ويربكها حتى جلست خلف مكتبه وهي تنفس بصعوبة .. ولفت يدها إلى ظهرها لتمسك بجزعها وهي تقول بالألم:

- خلاص مش قدرة .. ضهري أتكسر

قال يوسف بانفعال:

- يعني آيه مش قدرة .. قومى دورى تاني

كانت مريم أن تبكي ولا تقول:

- خلاص مش قدره ضهرى هيمونتي .. مش هدور تاني وأعمل اللي تعمله يارب حتى ترتفنى

تركها ودخل مكتبه ثم عاد بعد لحظة وفي يده الملف الضائع .. وقف أمامها وقال مبتسماً:

- الملف أهو ..

ثم وضعه أمامها وقال بانتصار:

- فاكره المج اللي وقع أتكسر لوحدة ..

واستدار لينصرف وهو يقلد طريقتها المستفزة في الكلام " طب عن أذنك أنا بقى لحد ما ضهرك يرتاح " ثم أطلق ضحكات عالية مستفزة وعاد يستدير إليها وهي تنظر له بهدهسه وحقق وقال:
ماتلعيش مع الأسد تاني يا قطة .. أتفقنا ...

وبادرلمكبت اللوحة وصدى ضحكته المنتشرة يدوى في أذنها بصحب ، نظرت إلى المكان
الذي كان يقبل فيه بذولم . ثم ضربت المكتب بقدمها في غيظ شديد قدمتها فجلس
تبيكي وهي تشعر بالضيق والحنى منه ، ها هو قد وفي بعده ولم يتركها تنعم بما فعلته به
في المرة الأخيرة ورد لها فعلها أضعاف مضاعفة . بكت أكثر وهي تقول في ضيق:

- والله لوريك يا يوسف .. والله لوريك
قالت كلمتها الأخيرة واجهشت في البكاء كالاطفال.

****

عادت إيمان من عملها وقت الظهيرة وعبرت الحديقة بخطوط واسعة وقبل أن تصل للداخل
لفت نظرها وجود عبد الرحمن في ركن بعيد نسبيا يقف أمام حوض معين من أحواض
الزهرة ، كان يحب ويرويه دائما بنفسه ، تعجبت إيمان فهي لم تعتاد على وجود عبد
ال الرحمن في البيت في مثل هذا الوقت ، فمن المفترض أن يكون في العمل . وقفت متأملة
للحوض الذي يتأمله ، كان أجمل حوض للزهرة في الحديقة كلها ، وكان يحوى زهرة بيضاء
ملفقة للانتباه ومميزة جدا عن بقية الزهور ، كان عبد الرحمن يقف أمام تلك الزهرة الرائعة
، نعم هذه الزهرة كانت هند مجهبة بها وهمت أن تقطفها ولكنه طلب منها أن تتركها على أن
يسميها باسمها ، وبالفعل كان يسمى تلك الزهرة "هند "

وضع أطراف أصابعه على تلك الزهرة فظلت إيمان أنه يتحسسها ويلمس شذاها ولكنها
تتفاجأ أنها يقففها في عنف ويرمي بها بغضب خلف ظهره بقوة وغضب ، سقطت الزهرة
فاقتربت منها خطوات ، وجعلت تنظر إليها وهي ملقة على الأرض وتنظر له باستنكار ، كيف
يفعل هذا ، كيف يرمي تلك الزهرة الرائعة المميزة بهذ الغضب ، ماذا فعلت له تلك المسكونة
!

أستدار لينظر إلى موقع السقوط فلم يلاحظ وجود إيمان رغم اقترابها منها فنظر إلى الزهرة
بغضب أكبر وخطى إليها بسرعة وغضب ليدهسها بقدميه ، وقبل أن يقوم بهذه بلحظة
القطتها في سرعة ووقفت تنظر له بصمت متسائل .. فقال في غضب :

- أرمى الوردة دى على الأرض .. حالاً
قالت له بتعجب:
- ليه حرام عليك..عاوز تدوسها ليه
هتف عبد الرحمن في عصبية:

- بقولك أرميها

فتحت حقيبتها في سرعة ووضعتها بداخلها وقالت له بتحدي:

- مش هرميها.. لو أنت مش عاوزها أنا عاوزها

تطايرت شرارات الغضب من عينيه وصرخ في وجهها:

- وأنت مالك أنت.. بتدخل في اللي ملكيش فيه ليه.. عاوزها ولا مش عاوزها يخصك أيه أنت.. لما أقولك أرميها تسمع الكلم وأنت ساكتة فاهمه ولا لاء.. أياكي تدخل في حاجة تخصني تاني ولا حتى تفقي في مكان أنا فيه.

كانت نظراتها حادة جدا والغضب يطل من عينيه فعلمت أنه ليس في حالته الطبيعية وتراجعت للخلف خوفا من أن تطول من الممكن أن يحدث ، ثم استدانت وخطت خطوات سريعة أقرب إلى الجري للداخل، لم تنتظر المصعد ولم تفكر به وصعدت الدراج في سرعة ومنه إلى شقتها ودخلت غرفتها وألقت نفسها على الفراش وظلت تبكي وقلبها يخفق بشدة

كانت أول مرة في حياتها تستشعر الخوف من أحد وتراجع أمامه خوفا من بطشه .. شعرت بمهانة كبيرة وبأنها شخص غير مرغوب فيه وأنها في بيت غريب عنها من السهل أن تطرد منه في أي وقت، نهضت وكفكت دموعها وجمعت ملاسها في حقيبة صغيرة ، هبطت إلى الأسفل وخرجت للخارج في سرعة دون أن يلاحظها أحد.... وعادت من حيث أنت

***

ظلت أم عبد الرحمن تطرق الباب ولكن لم يستجيب لها أحد ، فقفلت بشدة وعادت إلى شقتها ووقفت تفكر في حيرة ، ألقت اللفتات الهاتف وحاولت الاتصال بإيمان عدة مرات ولكنها لم تلقى أي أجابة، زادت تفقتا وتحدثت إلى زوجها هاتفي وأخبرتها بقلقها على إيمان وأنها لا تستجيب لطرقاتها فطلب منها أن تدخل لعبد الرحمن ليعاوز باب الشقة لعلها حدث لها شيء في الداخل وهي بمفردها.

ذهبت إليه مسرعة وطلبت منه ذلك ، حاول عبد الرحمن أن يتحمل من أمه فهو لا يريد أن يحتك بها بعد ما فعله معها ولكن أمه أصرت، فصعد معها وطرق الباب عدة مرات دون
فاندة ثم اضطرووا في النهاية إلى فتح الباب عنوة ، وقف في الخارج ودخلت هي تبحث عن
إيمان فلم تجدها، دخلت غرفة نومها ووجدت خزانة ملابسها خاوية فخرجت في سرعة و هي
تهتف به:

- إيمان خدت هدوهما ومشيت يا عبد الرحمن .. ياترى أيه اللوى حصل خلاها تعمل كده

طأطاً رأسه أرضاً بأسف وقال بخفوت:

- أنا السبب

قص عليها ما حدث بينهما في الحديقة فنظرت له مرنية وقالت:

- ليه كده يا عبد الرحمن .. ملقش غير إيمان و تعمل معاها كده .. دى أمانة عندنا بابن حرام

عليك

قال بارتباك وإحساس بالذنب:

- أهو اللوى حصل بقى .. أصابي فلتنت مني غصب عنى مكنش قصدي

هانتت زوجها مرة أخرى وأخبرته بما حدث فثار في غضب وتوقع أن تكون عادت إلى
شقتهم في السيدة زينب ، خرج من مكتبه دون أن يخبر أحدا وتوجه إليها.

فتحت الباب فوجدته أمامها .. أخذها بين ذراعيه فبكت .. ربت على ظهرها في حنان وجلس
بجوارها وقال:

- حقق عليا يا بنتي مترعشي

قالت وهي تبكي:

- لا يا عمي أنت مغلطش فيا بالعكس أنت كان نفسك تلمنا حاليا لكن أظاهر أن أحنا مش
مرغوب فينا

قال مشفقاً:

- لا يا إيمان متقوليش كده .. ده انتهوا عندي أحسن من عيالي .. ده البيت ده ليكوا قبل ما يبقى

لولدآي يا بنتي
قالت بصوت باكى:
- معلش يا عمي أنا مش هقدر أرجع هناك ناني.. أنا أقعد في جحر بس بكرمتمى
عقد حاجبيه وزاد سخطه على ولده وقال بانفعال:
- وكرمتمك متصانة يابنتى وأنا هجبهولك لحد عندك يعتذرلك واعملن في اللى أنت عاوزه
حركت رأسها نفيا وقالت:
- مش عاوزه حد يعتذرلي.. معلش يا عمي سبندى هنا كام يوم أريح أعصابى وبعدين نبقى
نتكلم
حاول ترضيتها قالت:
- حتى لو أنا أتأسفتلك يابنتى بالنيابة عنه
قالت إيمان بحرج بالغ:
- لا يا عمي أرجوك متعملش كده وبعد أذنك متقولش حاجة لإيهاب.. حضرتك عارف أنه
حمقى ومكان يكبر الموضوع عندها هقوله أن المشوار من المدرسة للبيت عند حضرتك
متبع شويه خصوصا أنا عدنا امتحانات شهر وبيروح بدرى وبمشى متأخر وحقوله أنى
هقعد هنا لحد ما الايامات دى تخلص
أمسد رأسه إلى راحة يده وهو يقول بضيق:
- يعني كمان عاوزه تقدم لوحدك هنا
 أمسكت بيدها وقالت برجاء:
- معلش يا عمي سبندى على راحتي.. وبعدين شغل إيهاب ومريم مش هيمحلهم يخطروا
المشوار ده كل يوم لكن أنا سهله .. المدرسة قريبة من هنا
حاول معها كثيرا ولكنها لم تتراجع فاضطر أن يسمح لها بالبقاء يومين لا أكثر
في المساء ذهب إليها إيهاب ومريم، كان إيهاب غير مقنع بما تقول فنظر لها بتمعن قالت:
- يا إيمان أنا مش مقنع باللى بتقوليه ده أمتحانات شهر أيه اللى تقعدك هنا لوحدك
حاولت أن تخفي تعابير وجهها وهي تقول:
معلش يا إيهاب سيني براحتى .. أنا كده هبقي مرتاحة أكثر .. ولما الامتحانات تخلص

هرجع تاني أن شاء الله

جلس بجوارها قالت:

- وفجأ كده من غير ما تقوليلي

أبتسمت أبتسامة زائفة وقالت:

- منا قلت أهرب بقى قبل ما تمكنى

نظر لها بعمق محاولًا سبر أغوارها :

- والله !! .. وفكرتكى هصدفك .. ده أنت تومي يا إيمان يعني أحس بيكى من قبل ما تتكلمى

لمعت عيناها فقاطعتهما مريم قالت:

- لو مصممة يبقى هنقد معاكى ماهو مش معقول تسبيك هنا لوحدك

أبتسمت لها إيمان وقالت:

- ياسلام بقى الست البرنسيسة هترفع تقعد هنا تاني

بادلتها مريم الأبتسامة وقالت :

- يلا بقى معيش كلوا بثوابه

إيمان:

- طب والشغف يا مريم

شعرت مريم بحيرة وقالت بحزن :

- لا أنا مش هروح الشغل ده تاني

قال إيهاب متعجبًا :

- ليه أنت كمان .. حد زعلك ولا ايه

تكلمت مريم وهي تستشعر مشاعر متناقضه وقالت :
لا يا إيهاب متقلش .. أنا بس حاسة أنى أهملت مذاكرتي وعاوزة أرجع أذاكر تاني وأحضر محاضراتي .. متساش أنا عندنا عملي ولسه كمان في تدريب في الصيف عليه درجات ضمنها إليه قالت:
- أحبك وأنت عاقلة كده ..
قالت إيمان بطريقة طفولية:
- بسلام وأنا يعني ماليش في الأحضان الدافئة دى ..
ضمها ضاحكا تحت ذراعه الآخر وهو يقول في حنان:
- ربيا يخاليكوا ليا يا باب .. أيه فيلم الحرمان اللي احنا عاملينه ده
نظرت إيمان إلى مريم وهما تحت ذراعيه نظرة ماكرة وأشارت لها مريم .. واحد ..أثنين ..ثلاثة .. وفجأ انقضوا عليه بالكمات .. ظل يجري منهما في مرح ويفقز من المقعد للمائدة وهما يلاحقنه بضحك هستيري!

***

دخل الحاج حسين إلى غرفة عبد الرحمن ووقف أمامه وقال في غضب:
- ولاد عمو كلهم هيقعدوا هناك مع إيمان .. شايف انت عملت ايه .. اللي أنا تعبت فيه جيت
في لحظة هديته نهض ووقف أمام أبيه في حزن شديد وقال:
- أنا آسف يا باب .. والله ما كنت أقصد أي حاجة من اللي حصلت دى .. أنا خرجت عن شعورى أكمل والده باتفعال متجاهلًا حديثه:
- عارف البنت قالت لاخوتها ايه .. قالتهم أنها قاعدة هناك علشان أمتحانات الشهر بتاعة مدرستها .. مجابتش سيرتك خالص طلعت أحسن منك يا عبد الرحمن جلس عبد الرحمن إلى فراشه ودفن رأسه بين كفيه في حزن عميق .. نظر له والده في شفقة وقال صوته قائلًا:
كل ده ليه بابني.. الدنيا مبتوت بشق على حد .. أنت لسه في عز شبابك ولسه ياما هتشوف
بابني أنت عاقل ولازم توزن الأمور أحسن من كده .. ولا زم تعرف تفرق بين الغث والثمين
ووضع كفه على رأسه في حب وقال :

- أنا عارفك يا عبد الرحمن.. أنت راجل ياباني وهتعدى أي محلة قدامك وهتبقي أقوى من
الأول مليون مرة ... بابني الضربة اللي متكسركش هتفوكي .. وانت عضمك ناشف .. ده
انت اللي تتشيل الشيلة كلها من بعدين بابني

تناول كف أبيه وقبله وقال:

- رينا يديك طولت العمر يا بابا.. ده احنا من غيرك منسواش حاجة .. أرجوك متزعلش مني
أوعدك أن أرجع لحياتي تاني أقوى من الأول
- وعد يا عبد الرحمن
- وعد يا بابا

وقف والده وهو يقول :

- رينا يبارك فيك ياباني.. أنا كنت عارف أنك راجل وأنك مش هتعمل غير كده
أنتبه عبد الرحمن فجأة وكأنه قد تذكر شيئا فنظر إلي والده وقال:
- متعرفش يا بابا المدرسة اللي إيمان بمشتغل فيها اسمها ايه؟

****

في الصباح دخل يوسف مكتبته ولكنه لم يجد مريم، فظن أنها ستتأتى متأخرة وبعد حوالي
الساعة أتصل به والده وطلب منه الحضور إليه، قطع يوسف الممر إلى مكتب والده ودخل
إليه فأشار له بالجولوس وهو يقول:
- أقعد يا يوسف

وبدون مقدمات قال:
- ها قولى بقى عملت أيه في بنت عمك انت كمان
قطب جبينه وقال :
- يعني أيها يا بابا مش فاهم قصد حضرتك
- قصدى مريم يا يوسف .. زعلتها تاني ليه هو أنا مش خلص من مشاكلنا دى
- وأكمل بالفعل:
- مريم كلمتني وقالتلي انها مش هتشتغل معاك تاني .. ولما سألتها ليه قالنلي على الليل
- عملته فيها وصممت مترجعش تاني وأحتجت بمذاكرتها والمحاضرات
- يا بابا هي الليلة ابتدت وانت عارفين مبتشش أسباب حق

أنفعل الحاج حسين قالن:

- هو هو أنا مش خلص من حركات العيال دى .. أنا مكلف رجاله ولا عيال فهموني هو احنا في
- شركة ولا في حضانة

حاول يوسف أضافه بعض المرح مع الاعتذار فقال:

- أنا أسف يا بابا خلاص أعددك مش خبائحتك تاني .. ولو عملتلي حاجة هبعت جواب لولي
- أمرها اللي هو حضرتك طبعا ولو هي اشتككي مني أبقى زمني على السبورة

أبتسم الحاج حسين لمزاحه وقال:

- مش لما ترضي ترجع تشترغل معاك تاني يا فالح ...
- قال يوسف بأسلوب استعراضي:

- أطم Napoli يا بابا أنا هعرف اخليها ترجع الشغل تاني

أشاح حسين بوجهه وقال بمكن:

- دى مش طايقة تشوفك .. ومهما عملتب مش هتصفافك .. أنا متأكد انك مش هتقدر

نهض يوسف بشغف وقال بتحد:

- مانشي يا حاج أفكر بس الكلام ده عشان لما تلاقينها رجعت تتأكد ماني أقدر ولما بحث حاجة
- في دماغي بعملها .. مانشي

قال حسين بعدم اكتير مدروس:
طب يالا روح شوف شغلك.. لما نشوف

أنصرف يوسف وبرمجرد أن أغلق الباب خلفه ابتسم والده .. فهو يعلم جيدا أبناءه ويعلم الطريق إلى قلب كل منهم ويسلك هذا الطريق في ذكاء شديد.

جلست إيمان في المساء على فراشها وهي تنظر إلى الزهرة المسكينة التي ألقى بها على الأرض وتناولت الكوب الذي وضعته لها وجعلت تنظر إليها في شفقة وهي تتخيل شكلها وهي تدهس بالأقدام .. مررت عليها أطراف أصابعها في رقة وتهمس لها همسا :

- متزليش مش كل الناس معندهاش رحمه زيه

رفعت مريم الوسادة من فوق رأسها وهي تقول بثناء:

- بقولي حاجة يا إيمان

ألتفتت إيمان إليها قائلة:

- للاا نامي انت

نظرت لها مريم بشك قائلة:

- ازاي بقى انا سمعتك بقولي حاجة

أجابتها إيمان بضجر :

- أوه .. أنت يا بنتي ودانك دى ايه .. ده أنت ينفع تستغلى مقياس للزلزال .. كنت بكلم الوردة

خلاص ارتحتى

مريم وهي تفتح عين وتغمض الأخرى قائلة :

- والنبي أنت أتهبلتى.. بتكلمي الوردة!

ألتفتت إليها إيمان باستنكار قائلة :

- أيه والنبي دى .. لما تحلفي احلفي بالله .. قولي لا الله الا الله

ردت مريم بصوت نااعس :

- لا الله الا الله..
الفصل الثاني عشر

أنهى يوسف بعض أعماله ونظر إلى ساعة معصمه فوجد الوقت وقد قارب على الظهرة ..
تناول هاتفه واتصل بأخته فرحة وطلب منها أن تحدث مريمل وتسألها على ميعاد انتهاء
محاضراتها في الكلية دون أن تخبرها أن يوسف هو من يسأل عنها، أغلق الخط وانتظر
حوالي عشرة دقائق ثم عاود الاتصال بأخته مرة أخرى.
 يوسف :
- أيوه يا فرحة ها قالتلك أيه
قالتلي هتخصّص على الساعة 3 كده
- متشكرًا يا فرحة متشكر أوى
يوسف .. ممكن أسألك سوال
- لا طبعا مش ممكن هو أنا فاضلك.
- متشكرة أوى يا خويه يا حبيبي أنت وافقت .. قولى بقى أنت عاوز تعرف معاد خروجه ليه
ومش عاوزها تعرف أن أنت اللي بيسأل ليه؟
- كده سوالين يا فرحة مش سوال واحد
- مش انت وافقت على ثلاث أسئلة
طباناً هواهيك قبل ما يبقوا أربعة.. بصى يا ستى بنت عمك زعلت شوية بسبب هزارى
الخفيف اللي أنت مجره وطلعت عيله وسابت الشغل ومشيت وأنت عارفة أبوكى بقى واللى
عمله فيها

اممامممامم..وانانا اقول مريم مشيت من البيت ليه اتاريك أنت اللئ طفشتها

وـallah منا عارف يا فرحة.. عموما أبوكى صمء أني اكلمها واخاليها ترجع الشغل عشان
كده عاوز اقابلها على باب الكلية واكلمها وخصوصا أنها مقالتش لأخواتها على حاجة

والله بيت جدعة

جدعه ... طب اوقفلى بقى مش فاضيلك

يقدرنا اللئ فاضية كوبس اصلا انك لحتنى قبل ما ادخل المحاضرة

***

كانت مريم تقف بجوار سلمى أمام بوابة الكلية وهي ترى الأخيرة تنظر إلى ساعتها ما بين
الحين والآخر فقالت باهتمام:

- ايه يا سلمى انت وراكى معاد ولا ايه

ضحكت سلمى في خبث وقالت:

- ومش واى معاد يا مريم

مريم:

- مين المره دى

اصطعت سلمى الدهشة وقالت:

- معقوله متعرفيش ... ايه هو مش بابين عليه الغرام ولا ايه.. أومال لو مكنتوش ساكنين في
بيت واحد وبتشتغلوا مع بعض

تسمرت مريم مكانها وقالت بذهول:

- تقصدى مين... يوسف

أطلقت سلمى ضحكة عابثة وقالت:
- وأماك اتخضتي كده ليه...استسنى دلوقتي هتعرفيه زمانه جاي

ثم أشارت إلى ثلاث شباب مقبلين عليهما ونادتهم، تقدم الشباب منهما بشغف وقال أحدهم:

- أزيك يا سلمى أزيك يا مريم بقالك كثير مبتجيش كنتى تعبانة ولا الية

قالت مريم باقضاب:

- لا ابدا مشغولة بس شوية

قال آخر:

- مالك يا مريم مضايقة ولا الية

- لا مفيش حاجه كويسه

قال ثالثهم موجها حديثه إلى سلمى:

- ايه يا قمر ماهشه بسرعة ليه كده النهادة

سلمى:

- أصلى عدد معاد مهم

رد قائلا بخبث:

- أنا عرف مواعدك يا سلمى وطبعا مريم رايحة معاكى ما أنتوا مبتفاروش بعض أبدا

قالت مريم بعصبية:

- قصدم ايه يعني

غمز بعينه عابنا وهو يقول:

- أبدا يا ستي وانا مالي الله يسهلوا

ثم غمز لصديقه فضحكا وضحكت معهم سلمى وهي تضرب أحدهم بخفة على كتفه، جاء من خلفها وقال بمزاح:

- يا صباح الفرفة.. ايه الضحك اللي جايب لآخر الدنيا ده
أستدارت له وقالت بميوعة:
- ولد أتأخر كده ليه زعلانة منك

صاحبها بحرارة وهو يقول:
- مقدرش أتأخر على القمر أبدا معادى مظبوط 3 بالثانية

ثم نظر إلى مريم وصاحبها بابتسامة قالتا:
- وحشنانا يا مريم ازيك عامله ايه

لانت ملامحها كثيرا فهي كانت تظن أن الآتي لسلمى هو يوسف فتتهدت في راحة وقالت:
- الحمد لله تمام ..ايه بقى راجين فين

ولد:

ولا حاجة هنتمشي شوية تحبب تيجي معانا

أجابت سريعا:

لا شكرنا انا هروح على طول عشان ايمان زمانها راجعة من شغلها

سلمى:

طب عن اذنك بقى يا مرومة .. سلام يا حبيبتى

غادرت سلمى مع ولد واستقلت معه سيارته وانطلقنا، ألتقت مريم فوجدت زملائها الثلاثة
مزللنا وافقين يتابعون ما يحدث فقال أحدهم:

أخص عليه الخاين كده ميجيبيش صاحبه معاه

قالت مريم بعدم فهم:

صاحبها مين .. هو انت تعرفه

قال:

لا معروفوش .. بقولك ايه ماتيجي معانا مادام خروجتك باخت كده
مریم:
- آیه فین.. هو ده وقت کافتریات
ضحك هو وصیقیه وقال:
- معقوله كل السنین دی مصاحبة سلمی ولسه آخرک کافتریا
نظرت له بدهشة وقالت:
- مش فاهمة حاجة .. آنا مصدعة مش نقصاکوا يالا سلام
كان هناك من يراقب ما يحدث فی ضيق وهو يرى مريم تقف بصحبة سلمی وثلاثة من الشباب ثم تتصرف سلمی مع وليك وتظل مريم تتحدث معهم وهم يضحكون وينظرون إليها بطريقة لا يفهمها إلا الرجال ، إذا فهو لم يظلمها عندما شاهدها في المره الأولى ، هي اذن معتادة على الوقوف معهم وتنبسط معهم فی الحدیث وهی أيضا تعلم أن هناك علاقه ما بین سلمی وولید وتوافق على تصرفات صديقتها المقربة
شعر بغضب شديد تجاهها .. استقل سیارته وغادر المكان والظئون تحتل عقله وتراث على الیقین بسلوكها فرضاً.
***
أما هناك وأمام مدرسة البنات كانت إیمان تخرج من بوابة المدرسة بصحبة صديقاتها وماهى إلا خطوات قليلة حتى تفاجأت بعد الريحمن يقف أمام باب المدرسة مستندا إلى سیارته ينتظرها ، وقفت للحظة ثم صرفت نظرها عنه في ضيق وهمت أن تذهب فی الاتجاه الآخر ولكنه خذ نحوًا خطوات سريعة ووقف أمامها قاتلا بحرج:
- ممكن كلمة يا إیمان لو سمحتى
نظرت له صدیقاتها وقالت أحداثها:
- معن حضترک وازرا تقف قدامنا كده
أرتبكت إیمان وقالت لهن:
- ده این عمی
تبادل الصديقات نظارات مبتسمة وقالت أحدهن:
- طيب يا إيمان هنمشى احنا بقي
- أستوقفتهن إيمان وقالت:
- لا متمشوش استنوا ..
قال عبد الرحمن برجاء:
- ممكن دقيقة واحدة بس يا إيمان وبعدين أبقى أمشى براحتك مع أصحابك ...
- ثم تابع برجاء أكبر:
- من فضلك
قالت صديقتها:
- طيب يا إيمان هنعدى السكة وهنستناكى هناك علشان نركب مع بعض
أومأت لها إيمان موافقة في أحرار بالغ فابتسم عبد الرحمن وقال:
- واضح أنك بتعرفى تختارى أصحابك كويس .. ماتى يكلهم تقريبا شبهك في اللبس وباين عليهم بنات محترمة
قالت باقتضاب:
- شكرا .... خير حضرتك جاي هنا ليه
قال عبد الرحمن بارتباك:
- آنا والله حاولت أجيب فرحة معايا بس اتفقت أتصلات عليها وتليفونها مفقول ...
قالت بصيغ:
- برضة حضرتك مقولتش جاي ليه
أبهب ريقه في صعوبة وقال:
- إيمان بدون مقدمات كده .. آنا آسف
نظرت له في صمت فأكمل:

- والله ما أنت المقصودة ..غصب عنى كنت غضبان أوى ومشوفتش قدمي ..جات فيكي يا بنت عمى ..سامحيني

قالت دون أن تنظر إليه:

- لا أنت مش غلطان أنت معاك حق دى خصوصياتك وده بيتتك وأنت حر فيه وأنا وضعى كضيفة المفروض مكنتش أدخل في اللي ماليش فيه

قال بأسف:

- لا يا إيمان أنت مش ضيافة ده بيتتك قبل ما يبقى بيتتي ... يعني أنا لما ازعلك تقوللي أمشي أطلع برء مش عازو هاشوفك هنا تاني ..مش تأخذى هدومك وتمشي .. كده ينفع ؟ شعرت بارتباك شديد وقالت مضطربة:

- لو سمحت سيئى أمشى أصحابي وافقين لوحدهم في الشارع وكده مينفعش .. وأصلا وافقتنا دى غلط

قال باصرار:

- مش هسيبتك تمشي غير لما تسامحيني ..سامحيني بقى ده المسامح كريم .. أو مهند على حسب

نظرت له بتسائل فقال بسرعة:

- متخديش فيه بالك ..ها قوللي بقى ..هترفعي البيت أمتى

قالت بسأم:

- يومين كده أريج أعصابي من اللي حصل

قال بسرعة:

- بسيطة اليومين عدوا خلاص

إيمان:

- لا يومين كمان كده
قال مداوباً:
- لا مينفعش أنت قلتي يومين وخلصوا خلاص .. وبعدين يرضيكي يعني .. ماما طول النهار
مش مركزه في شغل البيت وعماله تقول إيمان إيمان إيمان .. تيجي تطبخ الملوخية تطلع
بامية .. يرضيكي أبويا يطلق أمي ونتشرد بسببق أنا ويوسف وفرحة وانت عارفة فرحة
تنفع تبقى متشردة أساساً
أخفت ابتسامتها التي زينت ثغراً رغما عنها وقالت مقاطعة :
- خلاص خلاص .. كل ده
قال بجدية :
- وأكثر والله .. البيت وحش أوى من غيركوا
صممت قليلاً وترددت هل تقبل أم ترفض ثم وجدت نفسها تقول:
مش قلت دقيقة .. والدقيقة بتاعتك خلصت .. عن أذنك
فوقف أمامها مرة أخرى يعوق طريقها وأخرج جنينة معدنياً من جيبه وقدمه لها وقال :
طب ممكن تدينى مدة تانية .. أصل الخط تقريباً أتقطع وأنا في نص المكالمة
حاولت أن تخفي ابتسامتها ثانية وهي تقول بجدية :
- لو سمحت يا عبد الرحمن مينفعش كده سبىأمشى بقى
قال بتصميم :
- خلاص هاجى بالليل تكونوا جهزيوا نفسكوا علشان اخذوا على البيت
قالت بسرعة :
- لا مش هينفع النهاردة
تابع باصرار :
- طب أمي حضرتك؟
إيمان :
مش عارفة قلتلك يومين كده

حاول أن يعتذر مرة أخرى فقال بصدق:

- يعنى خلاص مش زعلانة مني ... صافي يا لين أحرمت ونجتاه خجلا وهي تذهب من أمامه قائلة:

- خلاص

نظر لها وهي تعب الطريق وتل حق بصديقاتها ثم قال وهو يستقل سيارته:

- بتكشف أوى!؟

جلست إيمان بجوار صديقتها في سيارة الأجرة فمالت عليها قائلة بخفوت:

- بقى الواد القمر ده ابن عمك حسين .. أنا لو منك مخرجش من البيت خاااالص نظرت لها إيمان وقالت بصوت هامس:

- الراجل لسه ب يقول عليك شكلك محترم .. مغشوش يعينى وضعت صديقتها كيفا على فمها لتكتم ضحكتها بينما نظرت إيمان إلى الطريق من خلال نافذة السيارة وصدى كلماتها لا يزال يجوب عقلها ويرتع به كيفما يشاء

*****

جلست فاطمة إلى زوجها وهو يقرأ الجريدة وتستحسن في فضول:

- متعرفش يا إبراهيم الواد عبد الرحمن فسخ خطوبته ليه

نظر لها إبراهيم في دهشة وقال:

- لحقتى تعرفى يا فاطمة

قالت بثقة:

- طبعا ما أنت عارف عفاف متبقيش عليا حاجة

أتسم في سخرية قائلة:
ولمها هي مبتغيك عنك حاجة جاية تسألني ليه
قالت في عتاب:
- كده برضة يا أبو ولید بمتریق عليا.. وأنا اللي قلت أنت اللي هتقولي المفيد
زفر في ضيق وقال:
- عاوزه أيه يا فاطمة هاتى من الآخر فاطمة بشغف:
- عاوزه أعرف ساب البته هندي ليه.. أريد اخوك حكاكم
نظر لها بضيق قائلا:
- معرفش يا فاطمة .. كل اللي حسين قاله أنههم مش متفقين .. وعبد الرحمن كمان قال نفس الكلام
عاد ليكمل قراءاته مرة أخرى وهو يقول في نفسه "ده أنت لو آخر واحدة في الدنيا مش ممكن أقولك أبدا" .. همت أن تنهض واقفة ولكنها جلست مرة أخرى ووضعت يدها على الجريدة لتمنعها من القراءة وقالت:
- يقولك أيه يا أبو وليد المثل يبقول أخطب لبنتك ومخطئش لأبنك وأنت وأخوك روحكوا في بعض وأيد مش هيرفضلكل طلب أتتفت إليها بدهشة قالت:
- قصدك أيه يا فاطمة شلل شكلك اتجننتي على المسا قالت معتزرة:
- ليه بس ياخويا هما لو لقوا البلد كلها هيلاقوا أحلى من بنتي وفاء
أشار لها محذرا وقال بالفعل:
- شوفي يا فاطمة يلفوا ميلفوه هما حرين لو عاوزين بنتك هما اللي يطلبوها مش أنا اللي أروح أعرضها عليهم وأيآك تفتحي الموضوع ده تاني ولا تلحمي ليه حتى ... فاهمتاني
****
مضى اليوم بشكل معتاد إلا أنه لم تنقطع العلاقات الطبية بين إيهاب وعبد الرحمن ويوسف وبين فرحة وإيمان ومريم وكانت وفاء تطمئن عليهاما بين الحين والآخر وفي مساء اليوم الثاني كانت إيمان تضع الطعام على المائدة ، أصدر هاتفها صوتًا معلنا عن رسالة جديدة ، فتحتها فوجدتها رسالة من عبد الرحمن كتب فيها (اليومين خصصوا.. أكثر من كده هضطرد آجى بنفسي .. تعننا من أكل البابية) ، أبتسمت وأتممت وضع الطعام ونادت على مريم لتتأكد منهم وأثناء قيام إيهاب بتناول طعامه قال:

- مش خلصتى أمتحاناتك يا إيمان عمامك كل شوية يكلمونى

أستدارت له إيمان وقالت بجدية:

- هما بجد عاوزنا نرجع يا إيهاب ولا بيجاملونا بس

أشار لها بالنفquate وقال:

- لا يا إيمان والله كلهم بيتصلوا بجد كل شوية يسألوا ده حتى عبد الرحمن لسه مكلمنى قبل ما آجى وقالى آجى أخدكوا دلوقتي وكان مصمم أوى .. قلتله استنى لما اشوف البنات خلصوا اللي وراهم ولا لااء

صممت إيمان وفي داخلها تشعر بسعادة لتصميم عبد الرحمن على عودتهم ثم قطعت صمتها مريم وهي تسألها:

- ها يا إيمان مردتيش يعني

أبتسمت وقالت:

- خلاص ماشى نرجع بكره بعد ما إيهاب يرجع من شغله دخلت مريم غرفتها لترد على هاتفها المحمول ، أغفلت باب الغرفة خلفها وهي تتحدث إلى والدتها ، كانت مريم تجيبها بفتور وعدم حماس كعادتها شعرت والدتها أنها ليست على طبيعتها فسألتها مباشرة:

- مالك يا مريم بتكلمينى كده كانك مضايقة أني بكلمك

مريم:

- لا يا ماما مفيش حاجة والله بس مرحلة شوية
طالب هنقوللي سبتي الشغل ليه

يا ماما المحاضرات .. مينفعش أغني أكثر من كده ده أهنا خلاص على أبواب امتحانات

قيلت أحلام بعصبية:

يا ابنتي امتحانات أيه وزفت أيه الليلي أنت بتعلمي أهم من مليون شهادة وكلية .. ويا ستى
لما تبقى تتجاوزي أبقى أرجعي كمل دراستك ثاني

أجابتها مريم بضيق شديد:

يا ماما من فضللك كفاية بقى الموضوع ده بقى يتعلي أعصابي .. مين ده الليلي يتجاوزني ده
حتى مش طايق يشوف وشي

قالت أحلام معاينة:

ماهو عشان أنت مبتنذيش اللي بقولك عليه بتنصرفى من دماغك ...

هتفت بصوت يشبه البكاء:

مش عاوزه أنفذ حاجة أرجوكى يا ماما كفاية

صاحبت أحلام بشدة:

أنتى أتجننتى يا بت ولا أيه مش عاوزه ترجعى حقك وحق أخواتك

أنهارت مريم في البكاء وهي تهتف بوالدتها:

مش عاوزه حاجة .. نفسنتى تعبانة يا ماما أرجوكى كفاية

قطعت الاتصال وجلست على فراشها وهي تبكي بشدة، دخلت إيمان الغرفة ووجدتها في
هذه الحالة من البكاء المتواصل هرولت إليها في جزء قائلة:

مالك يا مريم فيكي أيه .. كنتي بتكلمي مين

ارتمت مريم في حضن أختها في أنهيار شديد وظلت تبكي وهي تقصف عليها مادر بينها
وبين أمها وماذا كانت تريد منها فعله، أتسعت عيني إيمان في ذهول وهي تقول:

معقوله يا مريم .. معقوله ماما تطلب منك كده ..
وتتاعبت في صدمه:
- معقوله؟ معقوله أم ترمي بنتها في النار بأيديها بقى بدل ما تقولك خدى بالك من نفسك واتعاً مع الرجل بحدود تقوم تقولك علقتي جني وخلأك يتجوزك طب ازاي.. ازاي
حاولت مريم أن تخفف من كأنها وهي تقول:
- هي فاكهة أن مفيش غير الطريقة دى علشان نرجع نرجع نرجع حقتا من عمامنا
هتفت إيمان:
- حق أيه.. ده أهنا لسه مش متاكدين من كلام ماما... مش متاكدين لينا حق ولا لا وحتي لينا حق مش دى الطريق اللي نرجع نرجع بيها.. ده ميرضيش ربا يا مريم وضعت إيمان رأسها بين كفها وقد أغمضت عينيها وهي تشعر بدوش شديد من أثر الصدمة:
- مش قادرة أصدق اللب بسمعه أنت يا مريم تعملدي كده وتخبى عليه كل ده
قالت مريم برجاء وهي تمسك بكفي أختها:
- لا يا إيمان أنا معملتش حاجة.. أنا أه صحيح حاولت في الأول بس بعد كده لما اتعاملت مع عمي حسين وولاده ومراته بسارة حبيتهم ونسيت اللي ماما طلبته مني كله وبقيت اتعامل عادى والدليل على كده اني سبت الشغل مع يوسف أردت إيمان بخففوت:
- أنا كمان يا مريم حبيت عماني أوى ومش عارفة الحقيقة فين دماغي هتتفجر
- يعني أيه هنفسل كده مش عارفين حاجة والحقيقة ضايحة ما بينهم لا يا مريم الحقيقة هتبان ومفيش غير طريق واحد بس
- ايه هو؟
قالت إيمان في تصميم:
- مفيش غير المواجة... لما نرجع لازم أقف مع عمي حسين وأواجهه وأعرف الحقيقة بالظبط مفيش حل غير كده
في اليوم التالي عاد إيهاب من عمله مساءًا، دخل الشقة فوجد إيمان تتابع برامج أحدث القنوات الإسلامية ومريم تلعب على الحاسوب بلا مبالاة فهتف فيهما:
- يا صلاة العيد .. واحدة بنتفرج على التلفزيون والثانية بتنعك على الكمبيوتر ومفيش حاجة أتلمت .. أنتوا مش ناوبين تمشوا ولا إيه
قالت إيمان دون أن تلتفت:
- أحضر لك الأكل
بينما قالت مريم ببرود:
- خلاص بقى خاليها بكره
عقد إيهاب ذراعيه أمام صدره وهو ينظر إليهما بتعجب:
- ماكم في أيه مش متحمسين ولا مكسلين ولا أيه بالضبط
قالت إيمان وهي تقلب في القنوات:
- خلاص يا إيهاب خاليها يوم الجمعة
هتف إيهاب منفعلًا:
- والللى جايين في السكة دول أقولهم أيه روحوا وتعالوا يوم الجمعة
استدارات إيمان بانتباه في حين قالت مريم:
- مين الللى جايين
رد إيهاب قائلا بحماس:
- عبد الرحمن ويوسف فلفلونى اتصالات من الصبح ومسبونيش إلا لما وافقت يجوا ياخدونا بعرياتهم دلوتى .. ده على أساس أن حضارتهم جهتنوا الشنط
وقف أمام التلفاز وقال لإيمان وهو يغلقه:
يالا بقي قوموا ألبسوا وأجهزوا على ما ادخل أحد شه أحسن مرهق أوى.. زمانهم على
وصول

أطفأت مريم الحاسوب ونهضت وهي تنظر إلى إيمان، تبادلت معها إيمان نظرة القلق
والحيرة، نجم مشاعرها متضاربة في المقدم مواجهة لل الماضي بكل آلامه وأحزانه وتاريخه
الذي لا يعلمون عنه إلا كلمات أمهم التي كانت تحاول بكل جهدها أن تجعل صورتها وتتقب
صورة أعمامها بكل الطرق الممكنة، أردت إيمان ملابسها وشرعت في تجهيز حقيبتها
وكادت أن تنتهي لولا أن سمعت طرقات على باب المنزل فقالت لها مريم:

- أفتحي إنت يا إيمان لو سمحتي أنا لسه ملبستش

ذهبت إيمان وفتحت الباب فوجدته أمامها بابتسامة العذبة، أقترب من الباب واستند إلى
حافته المفتوحة وهو واضح يديث في جيبه وقال:

- كده ينفع؟... في يوم زيادة على فكرة

كادت أن تبتسم ولكنها رأت يوسف يضربه على كتفه من الخلف يهتف به:

- مالك سادد الباب كده ليه زي الحيطة .. عدني

ألتفت له عبد الرحمن وتبادل الهتاف قائلًا:

- لما أنا حيطة أومال أنت تبقى إيه

قال يوسف بمزاح:

- أنا الحيطة اللي قدامها.. خلاص وسعلي بقى

جاء إيهاب فور سماعه أصواتهما وقال بابتسامة كبيرة:

- مفيش فايدة عمركوا ما هتكبحوا أبدا

وضع عبد الرحمن يده على كتف إيهاب وقال:

- أحنا بنكبر خمس أيام في الأسبوع... النهارة أجازة
الفصل الثالث عشر

كانت فرحة تقف مع والدتها في شرفة خلفها المطلة على الحديقة في انتظار إيهاب، فلقد مضت عليها الأيام السابقة كنيرة ويكفي أنها كانت خالية من وجود إيهاب معها في نفس المكان، لمعت عيناها بفرحة حقيقية وهي ترى أضواء سيارتا عبد الرحمن ويوسف تقترب من بوابة الحديقة الخارجية، أشارت إلى البوابات بسعادة وهي تمسك بكف والدتها وتقول بلطفة:

- أهم يا مامتى.. وصلوا

وقفت عفاف في بهجة وارتست علامات السعادة على وجهها وقالت لفرحة:

- يالا ندخل نقول لأبوكى بسرعة

دلفت عفاف للداخل وتوجهت إلى حيث زوجها وقالت:

- وصلوا يا حسين أنا هروح افتح الباب

أبتسمر في سعادة وقال:

- أومال فرحة فين مش كانت معاكى

عرفف:
- يتلبس الحجاب واجبة

وقف عبد الرحمن أمام المصعد وقال بابتسامة كبيرة:

- أطلعوا انتوا بقى بالشئط وانا ويوسف هناخدها سلام

أعترض إيهاب قاتل:

- لا أنا هطلع معاكوا ...

ثم أشار إلى مريم وإيمان وقال:

- أطلعوا انتوا يابنات بالشئط في الأسنسير

أفتى مريم نظرة على يوسف فوجدته ينظر إليها بعيب شديد دون أن ينتبه، لا تعلم سر هذه النظرة المتواصلة منذ أن خرجت من غرقتها وهي تحمل حقيبتها وألت على السلام هو وأخوه وهو ينظر لها بعيب دائما، هل بسبب أنها تركت العمل لديه أم غير ذلك لا تعلم

استيقظت من شرودها على صوت إيهاب وهو يكلمها بقلق:

- مالك يا مريم وايقة كده ليه

قالت مريم بانتباه:

- نعم .. لا مفيش حاجة أنا داخله اهو

وكادت أن تدخل المصعد ولكنها اصطدمت بإيمان التي خرجت منه مرة أخرى في سرعة

وقالت لـ يوسف بلغمة:

- مushed يا يوسف ممكن تدينى مفتاح عربيتك

نظر لها بتسائل في حين قال إيهاب:

- ليه يا إيمان نسيتني حاجة؟

أومأت برأسها قاتل:

- مushed نسيت حاجة مهمة ومينفعش أسببه للصبح

قال يوسف بمزاح:
- أكيد حلّة محشى صح؟
ضحك عبد الرحمن قانل:

- يا بني انت بنتكرش غير في الأكل ..هات مفاتيح عربيتك بالا
وأخذ مفاتيح سيارة يوسف وقال:

- أطلعوا انتوانا هروح أجيبها وأجري بسرعة
ثم وجه حديث لإيمان قانل:

- ها نسيتى أيه وفين؟
طأطأت رأسها بخجل وقالت:

- مج لونه أبيض فيه وردة بيضاء على تابلاته العربية
ذكر إيهاب وقال:

- إيه صحيح نسيت أدخها في أيدي وآنا نازل معلش يا إيمان
أبتسم يوسف وقال مداعبا إيهاب:

- أيه ده الوردة طلعت بتاعة احتك ... وآنا الللى كنت فذكر انك جابهالى علشن تعبرلى بياها
عن اعجابك بسواقتك.

ضحك كل من يوسف وإيهاب في حين نظر لها عبد الرحمن بخجل وقد ذكر ما فعله من حماقة معها من أجل أنقاذا تلك الزهرة ، ذهب إلى الجراح الخاص في صمت في حين صعد الجميع إلى شقة الحاج حسين الذي ما أن وقعت عينيه عليهم حتى ابتسم بترحاب وضمت عفاف مريم وإيمان ورحت بإيهاب كثيرا.

أجتمعت الأسرة في غرفة المعيشة وأقبلت فرحة متشوقة بملامح خجلة ، نظرت إلى إيهاب نظرة خاطفة بخجل وشوق وألقفت عليه الثيجة واحتضنت كل من إيمان ومريم بلهدة كبيرة

وما أن أخذ الجميع أماكنهم حتى دخل عبد الرحمن وفي يده الكوب الذي يحوى الزهرة
وقدمه لإيمان قانل بذرة اعتذار:

- أتفضلي .. والله خدت بالى منها جدا وآنا جايبها حتى اساليها.
رفع نظره فوجد والدته ووالده ينظران إليه بتسائل وعلى وجههما ابتسامة فقال شارحة:

- دى إيمان نسيتها في عربية يوسف

وقفت فرحة بفضول وقالت:

- أيه ده معقول الوردة دى شبه اللي عدننا تحت أوى
وضع عبد الرحمن كفه على وجهها ودفعها لتجلس مرة أخرى على مقعدها ثم يلتفت إلى الجمع وهو يقول بضحكة بلهاء:

- ههجههة .. منورين يا جماعة والله

نهضت عفاف وقالت:

- يالا يا جماعة العشا جاهز

وقفت مرير وقالت بحزن:

- معلش يا طنط أعينى .. أنا هطلع أستريح اصلى تعبانة شوية

اقتربت منها عفاف بلهفة قائمة:

- مالك يا مرير حاسة بأيه

مرير:

- أبدا مش تعب يعني .. أنا بس مرهقة وعاوزه أتام
ألقت إيمان نظرة إلى عمها ثم قالت:

- وأنا كمان هطلع
وقف حسينأخيرا وقال بلهجة آمره:

- مفيش نوم قبل العشا يالا على السفرة

****

خطت إيمان بخطوط بطيئة تنظر إلى مبنى الشركة الضخم، أنه يفوق ما كانت تتصور، أوقفها الأمن على البوابة ثم سمحوا لها بالدخول فور رؤيتهم لبطاقة هويتها الشخصية،
ظلت تنظير حولها في انهيار أثناء اتجاهها في الطريق الذي يشير إليه موظف الاستقبال الذي يصاحبها فيه حتى وصلت إلى مكتب السكرتارية الخاصة بعمها، كانت تتوقع أن تنظير برهنة ليسحوا لها بالدخول ولكنها تفاجأت بتواجد عمها شخصيا في استقبالها أمام باب مكتبه الخاص وعلى وجهه ابتسامة كبيرة ومرحجة بها وقال:

ـ نورتى الشركة يا إيمان .. طب مش كنتى تقولى انك جاية كنت بعتلك العربية جلست على استحياء مقابلة له قالنة:

ـ معنى يا عمى محتشت اتعبك

نظر لها الحاج حسين بعتاب قائلا:

ـ تتبينى أيه بس أنت مش هتبطلك الحساسية الزيادة دى

ثم أردف بود:

ـ ها تحىي تشربي أيه

قالت بحرج:

ـ شكرى يا عمى أنا مش هطول

ـ لا مينفعش لازم تشربي...

ثم أجرى أتصالا وأمر لها بكأس عصير طازجة ثم أجرى أتصالا آخر بأخية إبراهيم وتحدث معه في بهجة واضحة:

مش هتصدق يا إبراهيم مين عندنا في الشركة دلوقتي

ثم نظر لها مبتسما فبادلهته الأبتسمة فقال:

ـ إيمان في مكتبي دلوقتي

أنهى الاتصال والتفت لها قائلًا:

ـ عمك مش مصدق قاللي اقبض عليها لحد ما أجي أشوفها بنفسى

أبسمت إيمان وهي تقول ببخيل:
ربنا يخاليكوا يا عمي انتوا بتعاملونا معاملة مكناش نتوقعها أبدا
دخل الساعي ووضع كأس العصير وقبل أن يخرج دخل إبراهيم متهلا وجهه عندما وقع
نظره على إيمان سلم عليها وقال:
- أزيك يا إيمان عامله ايه
- الحمد لله يا عمي بخير
حمد الله على السلامة يا بنتي نورتى البيت والشركة
منوره بيكم يا عمي
شردت قليلاً وهي تنظر إليهما لا تعلم كيف تبدأ حديثها بعد هذا الترحيب الكبير ماذا ستقول
هل تبدأ بكلام أمها أم تسأل هي وكأنها لم تعلم ماذا حدث وأخيراً حسمت أمرها قايلة: ...
- عمي أنا عارفة أن الموضوع اللي أنا جايه فيه مينفعش اتكلم فيه في الشغل لكن مكنتش
عاوزه حد من البيت يسمعنا

تبادل حسين وإبراهيم النظارات المتسائلة فتابعت في تردد:
- بعد أن حضرت يا عمي أنا عاوزه أعرف الحقيقة منكم ... أيه اللي حصل زمان خلي أمي
تطلق وتهرب بينا وتخفني عنكم وهل فعلا بابا الله يرحمه كان ليه فلوس عندكم ولا لا؟
تبادل النظارات مرة أخرى ولكن هذه المرة كانت النظارات لها معنى آخر وساد الصمت لبرهة
قطعته إيمان وهي تنظر إليهما وكأنها قد استشعرت الحرج في نظراتها فقالت:
- وأننا هقيل الحقيقة دى مهما كانت

إبراهيم:
- هو آنت يا بنتي أمكنوا محكتلكوش على حاجة
إيمان :
- حكتنا حاجات كثير وكنا مصدقتها لكن لما عشنا معنا وشوفنا كوا مبقناش متأكدين من
أي حاجة
 حسين:
قالاً: أيها يا بنتي

إمام:

ياعمي من فضلك أنا لو كنت واثقة أن اللي اعرفي صح مكتشت Жيت النهارده. أنا زى ما يكون كان بيتتحكيلي على ناس تانيه غيركوا. من فضلك يا عمى رحيى ونعم حضرتك مريم عارفة أخرى جياالكم النهارده لأن هى كمان عاوزه تعرف الحقيقة ومرضشت أقول لإيهاب لى لى لقنته كان هى اسم يجي معايا وأن عارفة إيهاب حمقى ومسي يستحمل كلمة على ماما وأنا لسه مش عارفة الماضى كان شكله أيه أوما ابراهيم برأسه موافقا لها وقال:

عين العقل يابنتي

تنهد حسين تنهيدة قوية وهو يقول:

أنا كنت عارف أنى مسيركم تسألوا. وكنت خايف من اللحظة دى ثم نظر إلى إبراهيم وكأنه يستشيره ماذا يقول وماذا يخفى فقرر إبراهيم أن يرفع عنه الحرج فبدأ بالحديث قائلًا:

شوفنا يا بنتي ...

قاطعه حسين قائلًا:

استني يا إبراهيم. قبل أي كلام لازم نبعت كل الدفاتر والمستندات عشان يبقى الكلام بالدليل

أجرى حسين أتصالاً بالموظف المسؤول عن حسابات الشركة، بعد دقائق قليلاً أتي الموظف بالمستندات المطلوبة ووضعها على الطاولة أمام إمام كما أمره الحاج حسين وانصرف أشار لها حسين قائلًا:

د٦ كلى المستندات ومتاريخه. بسى على التواريخ وراجعي الحسابات وده العقد اللي أبوكي الله يرحمه مساه بأنه أخذ كل فلسفة وعمل تخرج من الشركة لما كانت لسه صغيرة وأخذ نصيبه منها كله. وده أعلام الوراثة بتاع أملاك جدك الله يرحمه عشان ينورك أكثر..
خدي كل دول معاذى وأعرضيه على أي محاسب ومحامي تتقى فيه وساعتها هتعرفى

الحقيقة

أدرف إبراهيم متابعاً:

- مفيش غير حاجة واحدة بس مش موجودة على ورق ... جدك الله يرحمه اشتري الأرض اللينى مبنى عليها دلوقيتي البيت الكبير لكن ملحقه هو اللي يبنيه بعدها على طول توفاء الله واكتشفنا أن الأرض خرجت من الميراث لأن جدك كتبها باسمي لله وحسن قبل ما مموت

أكمل حسين:

- وأوعي تفتكرى يا بنتى أن جدك ظالم علشان كتب الأرض باسمي أنا وإبراهيم بس وأبوكي لاء.. جدك ساعتها كان عندى بعد نظر وكان متآكد أن ابوكي هيسحب ورثه كله ومش هيبقائه حاجة تعيش وساعتها وصانى قبل ما مموت أنتنا نبني البيت ويبقى ده بيت العيلة الكبير ويبقى لاخويا علي الله ولولده نصب ف البيت بنصيبهم في الأرض .. يعني انتوا بابنتم عايشين في ملكوكا مش ضيف عندنا

كانت إيمان تسمع وكأنها تشاهد فيلم أبيض وأسود وترى المشاهد أمامها فقالت بخوف:

- بس الأرض باسم حضرتك وعمى بس يعني قانونا احنا مالناش حاجة فيها

أتبس حسين قانياً:

- أديكي قولتي قانونا .. لكن ضميرنا عارف أن جدك كان نتيا أن الأرض تبقى لنا أحنا الثلاثة وجدك مريننا ومتأكد أننا مش هنخالله حتى بعد ما مموت ... جدك كان عاوز يجمعنا مع بعض بعد مماته زى ما كان جمعنا في حياته

قالت إيمان وقد لمعت عينيها بالدموع :

- بس ده مخالف للشرع

أوما حسين برأسا موافقاً :

- صح يا بنتى الميراث بالذات لازم يبقى قانونى ومكتوب لأن النفوس والضمير ينتغير

لكن جدك كان ده تفكيره ساعته علشان يحافظ على الحاجة الوحيدة اللي هتبقى مجمعنا في بيت واحد ومكان واحد .. وبصرافة هو كان عندى بعد نظر وكلامه اتحقق فعلا ..ابوكي الله
يرحمه أخذ ورثه كله ودخل في مشاريع بعيد عننا وكلها خسرت ولو كان عارف أنه لي حق
في الأرض كان باعه هو كمان

توترت إيمان وشعرت أن عقلها غير قادر على فهم كل هذه المفاجآت في آن واحد:
- أنا مش فاهمة يا عمي ... ايه اللذي يخلة بابا يبعد عنكم كده وياخد ورثه ويشتغل لوده

تردد حسين فقال إبراهيم:
- أمك هى السبب

وقعت الكلمة على أذنيها ثقيلة رغم أنها كانت تتوقع الكثير فقالت:
- أزاي يا عمى أمى هى السبب

حسين:

- ده تاريخ طويل بابنتى ملبوش لازمة نفتح فيه دلوقتي ...

ثم أردف :

- ومعلش بابنتى ليا عندك طلب

إيمان:

- أتفضل

قال محدراً:

- مش عاوز حد يعرف دلوقتي بحكاية حقكوا اللي في الأرض ... أنا هقولهم بنفسي بس
مستنئ الوقت المناسب...

أومأت برأسها موافقة وقالت :

- حاضر يا عمي ... بس حضرتك وعدتني تجاوبنى على أسألتي لكن جاوبتنى على سؤال
الورث والفلوس بس ورافض تجاوبنى على الباقى

وأردفت في رجاء:
- أرجوك يا عمي رحني .. أنا عاوزه أعرف ليه أمي يتكرهاكوا أوى كده .. ايه اللي حصل بينكوا زمان ايه اللي يخلو واحدة تطلق عيالها وتهرب

ثم أستدرست له بجسدها كله قائله:

- يا عمى احنا ابتعذنا أوى .. أحنا عشنا في بلدنا زي الغرب بنخاف نقول أسمنها بالكامل بنخاف نجيب اسم عيله جاسر على لسانا .. ماما كانت محسنتنا أن كننا لو عرفنا طريقتنا هتقتلنا .. وكانت مفهومنا أن أنتوا السبب في طرقها من بابا الله يرحمه وكل ده علشان الورث اللي هو مالوش وجود أصلا .. كلنا عايشين مع جوز أم بنكره ومكنش لينا مكان تانى نروحه علشان كده انا وأخواتي مكنش لنا غير بعض .. كنا بنتحما في بعض لحد ما رينا من علينا وأحنا في ثانوى وجاتهم شغل بره ومحدش فيها رضي يسافر معاهم وقعدنا هنا مع بعض نذاعر وتعبد على نفسنا ونشغل كمان علشان مكنش عاوزين قرش من جوز انا .. ليه يا عمى أمي تنشوفنا كده وتفضل تكرهننا فيكوا وتبتعدنا عنكوا إلا إذا كان في سبب قوى .. فهمني يا عمى يمكن قلبي يهدي شوية

ثم بدأت في البكاء وقد عادت إليها آلام السنين والذكريات السيئة، نهض إليها حسین وبدأ في تهديدتها فأشار له إبراهيم أشاره وكان يقول دع الأمر لي ، جلس إبراهيم أمامها مباشرة وقال:

- أنا هريحك يابنتي

رفعت إيمان رأسها وقالت برجاء:

- ياريت يا عمى

إبراهيم:

- يابنتي الحكايكة قيمة اوى .. من ساعة ما كانت جدتني في مشاكل بينها وبين اختها سمحة أم أمك لدرجة أنهم قطعوا بعض .. المشاكل دي كانت بتكبر لدرجة أنها وصت أن محدش من ولادها يتجوز بنتها أحلاهم .. أمك يعنى

لكن بقى أبيكى حبي وصمم يتجوزها بدون رغبة جدك .. جدك ساعتها غضب عليه وقاطعه لأنه خالف وصية أمه الله يرحمها
وفقًا للعلاقات مقطعًا بين أبو كى وجاك، لكن احنا كنا ننساء عنه ونعرف أخباره وبعد
جاك ما دخلنا شركة مع بعض .. أبو كى فض معاينة لحد ما أمك فضلت وراه لحد ما
سحب تصرفه من الشركة وكانت بتفهمه اتتنا بنسرقه ومع الأسف كان بيضاقها من كثر ما
كان بيجها .. بعد ما خذ تصرفه ابتتننا أمك تدخلنا في مشاريع خسرناه وهو مشكي وراها لحد
ما خسر كل كلوس أبو كى كان مريس من و هو صغير كان عنده مشكلة كده في القلب

طبيعة مستحش الخسارة الكبيرة دى ودخل المستشفى وساعتها أمك مكنش بتذوره
خالق لأننا كنا موجودين دايمًا معًا .. وهي كانت بنخن تواجنا لأنها عارفة أنها السبب
وأنها هي اللي وقعت بيننا وبينه .. في الوقت ده أبو كى وصانه عليكم وأتنا لازم نراعيكوا
و反之وا لحضننا ونربيكوا وسط ولادنا وأحنا عاهدنا على كده .. بعدها أمك راحتها
المستشفى وهو قاله بوصيتنا لنا اختانقنا معًا وصممت أنه يطلقه وهو تعابن كده ..
أبو كى كان مضامن منها حاسس أنها دمرته حياته فراح مطلقها .. ومات في نفس اليوم الله
يرحمه .. وأمك خافت أننا نأخدنا منها هربت وأخذكوا معاها وضحكت عليتنا عن طريق
الباب وبفهمتنا أنها هربت على المطار .. طبيعا أحنا عرفنا بعدها أنها كانت حجزه تذاكر فعلا
لكن ساعتها المبخة اللي كنا فيها مختلشنا نتأكد هي ركبت الطيارة فعلا ولا لاء .. وطبيعا
خدكوا بعيد عننا وأحنا كل ده بندور عليكم بره مصر وعن طريق المطار والكشوف لباعة
المسافرين

قالت إيمان وهي مازالت مشدوهة مما تسمع:

- أيوا بس ماما مسافرت طيران خالص حتى لما سافرت مع جوزها سافرت برئ

ابراهيم:

- وهي دى غلطتنا يابنتي أنا كنا بندور في الاتجاه اللي هى رسمتلي لينا ومدورناش في اتجاه

تانى لحد ما وفأه بننتي لفدت انتبنا لأنكنا ممكن تكونوا في مصر من الأساس وان كل ده
كان وهم أمك عشتتنا فيه .. بس طبعا ده جه متأخر أوى لأن أمك كانت قررت تعرفنا طريقكوا
وبعتننا الجواب

نظرت إيمان الى عمها حسين فوجدت في عينيه نظرة امنتنا لأخيه إبراهيم .. تفرست في
ملاحمه جيدا فشعرت أن عمها إبراهيم لم يقل كل الحقيقة .. قالت موجهة حديثها إلى حسين

- عمي .. هي دى كل الحقيقة ؟ هو ده كل اللي حصل ؟
نظر لها في ارتياب قائلة:

- آيا يا بنتى عمك قالَك كل حاجة

شعرت أنهما لن يبوحا بأكثر مما قالا لها، وتأكدت بأن هناك شيء ما ولكن مع الأسف سكتهما عنها يؤكد أنه شيء مخجل، نهضت لتتنصرف ولكن حسين قال مسرعا:

- أسنتى يا إيمان نسيتى الملفات والورق ده

هزمت رأسها نفيا وقالت بابتسامة مكسورة:

- ملهمش لازمة يا عمى أنا مصدقة كل كلمة قلتها

قال بتصميم:

- مفيش حاجة أسمها ملهمش لازمة

وأمسكها من يدها وأدخلها غرفة الاجتماعات الملحقة بمكتبه وقال لإبراهيم:

- لو سمحت يا إبراهيم أتصل بالمحامي والمحاسب وخلاهم يجوا حالا

حاولت إيمان أن تذهب ولكنه كان أشد تصميما من ذي قبل على أن تجلس مع المحاسب والمحامي ليشرحوا لها الأوراق ويبطوها على الأمر برمته.

****

خرجت إيمان من الشركة بين مشاعرها المتخبطة المختلفة وكان مشاعراً ريشة في مهب الريح ، نعم هي سعيدة بأنها علمت أنها تعيش في ملك أبيها ولمست كفيفة عند أعمالها ونعم قد شعرت بصدق مشاعر الحنان من أعمالها رغم تأكدها أنهما لم يصرحا بكل شيء ونعم قد عرفت حكايته زواج أمها بأنها وطبيعة هذا الزواج رغم علمها بأنه كان زواج قائما على الطمع من أمه والثقة العميق المفرطة من أبيها ، رغم علمها أن تلك الحقيقة منقوصة وتتفقد حلقة مهمة لوصولها ولكنها ارتحت قليلاً ، كانت تود أن تصر على معرفة كل شيء ، كانت تود أن تصرح بشكوكها تجاه والدتها ولكنها تذكرت قول الله تبارك وتعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسوِّكم" فأتت إلا الصمت لأن بصيرتها تؤكد لها أن ما خفى عنها سوف يسونها كثيراً، سوف تؤجل هذا فيما بعد والزمن كفيل بأن يكشف الكثير.
عادت إلى المنزل، دخلته ولأول مرة تشعر أنها في مكانها، وصعدت إلى عفاف زوجة عمها احتضنتها وقبلتها وعرضت عليها مساعدتها في الطهي، وقفت بجوار عفاف في المطبخ وقالت بشكل عفوي:

- أنت عارفة يا طنط أنت عند عمى دلوقتي في الشركة.

أرتفع حاجبى عفاف بدهشة وقالت بابتسامة:

- بجد .. ده تلاقى عمك طار من الفرح:. .. ده كان نفسه أوي تزوريه أنت بالذات يا إيمان عمك بيقدرك أوى

أبتسمت إيمان في حب وقالت:

- وأنا كمان بقدره وحبه جدا ..

ثم أردفت وهي تنظر إلى عفاف:

- وكمان عرفت كل حاجة.

ثم تنهمت تنهمة طويلة وقالت:

- عمى حكالى كل حاجة .. مكنش أتصور أبدا أن ماما تعمل كده

ظنت عفاف أن إيمان تتحدث عن عبد الرحمن وهند وسبب فسخ الخطبة فقالت بسرعة:

- أوعى تزعم يا إيمان .. والله عبد الرحمن عارف أنك ملكيش دعوة لا أنت ولا أخواتك ..

وأن أمك بتصرىف كده من دماغها .. وارفع وافقل العيب مش عليها لوحة العيب على خطيبته اللي كانت عاملة نفسها بتحب وفي الآخر تطلع بتتجسس وبتنقل لأمك الأخبار .. بس عمل خير أنه رمي دبلتها .. وابوه مسكتلوش على اللي عمله معاكى وعرفه غلبه وحسسه بالذنب

تفاجأت إيمان بكلمات عفاف ووقعت عليها كالصاعقة .. إلى هذا الحد آمنها بهذا السوء .. نعم الآن قد عرفة سر عبوس عبد الرحمن وقسوته .. لماذا أطلحت بها كلماته في الحديقة .. لذا كان ينظر لها بغضب شديد .. وأخيرا عرفة السبب الحقيقي وراء اهتمام عبد الرحمن برجوعها المنزل مرة أخرى .. ولماذا ذهب إليها عند المدرسة ليتعذر لها ولماذا أرسل لها
الرسالة وجاء هو وأخيه وأعادهم إلى البيت الكبير، ولمما نظراته كلها اعتذار وأسف ...
فقط يشعر بالذنب!

جلست مع نفسها طويلاً وشعرت بمدى الألم الذي يعتمل بداخل عبد الرحمن، خطيبته التي يحبها وكان يتصور أنها تتجه تظهر على حقيقتها بهذا الشكل المؤسف ، تنقل أخباره هو وعائلته ولمن؟ لصالح أمها هي!... يا الله كيف تتحمل ذلك ، كيف تستطيع أن تنظر إليه، كانت تجلس في الشرفة ورأته يروح ويغدو في الحديقة ذهباً وأياما، نعم هو ألم الفراق، هي لا تستحق ولكن قلبه مازال متعلق بها لا يزال يتذكرها، نظرت في الكتاب الذي تحمله فوجدت بعض الكلمات وكأنها كتبته، فتناولت هاتفها وكتبتها في رسالة وأرسلتها إليه لعلها تداويه ، كان يدور في الحديقة بلا هدف وفجأة سمع صوت هاتفه معلنا عن رسالة جديدة تناولها وفتحها وقرأ فيها

سيفتح باب إذا سد باب .... نعم وتهون الأمور الصغيرة
ويستغفر الحال من بعد ما .... تضيق المذاهب فيها الرحاب
مع العسر يسران هون عليك .... فلا الهم يجري ولا الاكتناب

*****

الفصل الرابع عشر

استيقظت إيمان صباح يوم الجمعة أكثر راحة عن أيامها السابقة وأسرعت لتوقف إيهاب ليلحق بصلاة الجمعة، كالعادة استيقظ وأغسل وذهب للصلاة، كانت إيمان قد دخلت غرفة مريم لتتوقفها ولكنها لم تجدها بحثت عنها في جميع الغرف ولكن لا أثر لها ارتدت إسдал
صلاة وخرجت إلى الشرفة وظلت تبحث عنها بنظرها حتى رأتها تجلس على الأرجوحة الكبيرة في جانب من جوانب الحديقة بالقرب من أحواض الزهور.

كانت مريم مظهر عليها علامات الأسى الواضحة وهي تستعيد ما قصته عليها إيمان ليلة أمس عن مدار بينها وبين أعمامها في الشركة، هي لا تكذب ما سمعته من إيمان لحظة واحدة فلم تقبلت معها وخبرت ذلك جيداً منها، وعاشت أيضاً مع أعمامها وتعاملت معهم فترة كافية تجعلها تجنب الحكم عليهم وبمقارنة بسيطة تخسر أعماما دائما، فبالإنسان يستطيع أن يغير فكرة الناس عنه بتعاملاته وحسن عشته أكثر من دفاعه عن نفسه بالكلام.

كانت مريم غارقة في بحر من الأفكار تتصارع في عقلها كالأشكال المتلاطمة لدرجة أنها لم تشعر باقتراب أحدهم منها من الخلف ووضع كفيه على عينيها في صمت، اختقت قلبها بشدة تصور أن يوسف، لا ت علم لماذا تمدد هذا مع علمها أن يوسف مستحيل أن يفعل ذلك معها وخصوصا أن العلاقة بينهما متوترة هذه الأيام، تحطم أن أمنيتها على صخرة الواقع عند سماعها صوت وليد وهو يقول بمزاج:

- أنا مبيبين

استدانت فجأة وقالت بغضب:

- لو سمحت متعمل الحركات دى تاني أنا مابحبهاش

ورممت في النهوض ولكنها تعثرت في الأرجوحة وكادت أن تقع ولكن وليد ساعدها يدته وأمسكها من ذراعها بقوة، اعتذلت مريم لتبتلعه ولكنها تفاجأت يوسف يقف خلفه وينظر لها بغضب ويقول لويلد:

- إنه اللي بيحصل ده

لاحظ وليد غضب يوسف مما يرى فقرر أن يستثيره أكثر فقال له غاضباً:

- لا حاجة إنت عارف ابن عموك دايم بيجي في الوقت المناسب عشان يلحق العرض الأول

قالت مريم بانفعال:

- عرض إيه...
ثم تابعت مدافعة عن نفسها:
- أنا كنت هقع
قال وليد باستفزاز:
- أه طبعاً فيض الشأبأ...
ثم نظر إليهما وقد حقق مراده وقال:
- طب ألحق أنا بقى الصلاة عن إذنكم
حاولت مريم شرح موقفها مرة أخرى وهي ترى علامات الغضب مازالت تترسم على وجه يوسف قالت:
- أنا كنت قاعدة على المرجحة وبعدين...
قاطعها قابلًا بغضب:
- مايخصشي ... أنا اللي عاوز أنبهك فيه .. إنك هنا مش في الجامعة يعني لازم تحافظي على شكلك قداد عيلتك ولو أتمديتي مع وليك أنت اللي هو لايطبي الخسرانة الوحيدة في اللعبة دي.
قالت بنبرة تشبه البكاء:
- إنه الكلام اللي ينقوله ده .. هو أنا يعني بإعم إيه في الجامعة عشان تقولي كده...
وبعدين هو اللي مسك إيدي لما كنت هقع يعني أنا ماتماديتش معاه فحالة خالص
قال بسخرية:
- ظح أصل لو واحدة بتصد واحد هيجيله جراة ويحط إيده على عينيها ويهرر معها
هتفت بابعة:
- وأنا مالي هو اللي دايمًا بيطلعي من تحت الأرض وبيصرف كده ويبلغس عليا من غير
سبب
تابع بنفس اللهجة الساخرة:
- من غير سبب ... متأكد؟
قالت هاتفة:
- طبعاً متأكدة
رفع حاجيبه وقال بسخرية:
- غريبة أومال يعني مش بيغليس ليه على إيمان اختك
قالت بحنق شديد:
- معرفش ... وانا مالى ماتسأله هو
هير رأسه بعصبية وقال:
- إنت اللي مش عاوزه تعرفى
قاطعهما صوت عمها إبراهيم وهو يلقى التحية من بعيد ويشير ليوسف أن يلحق بالصلاة
فتركها وانصرف سريعاً.

****

كانت إيمان تتبع ما يحدث من شرقتها فنادت على مريم التي نظرت للأعلى فأشارت لها بالسعود .. صعدت مريم إليها قائلة بتسائل:
- خير يا إيمان في حاجة.

إيمان:
- أنا كنت واقفة وشفت اللى وليد عمله ولاحظت وشك وانت بتكلمي يوسف .. هو قالك حاجة زعلتك ؟ .. وبعدين يا مريم إنت خليتي وليد ياخد عليكي للدرجة كى ليه ؟

شعرت مريم أن الجميع يتكلم عنها بنفس الطريقة ويتهمها في تصرفاتها فقامت بانفعال:
- هو في إيه كلكوا يتتهمونى إني أنا السبب واننا اللدى باسحله يضايقتي ويفغليس عليا .. انت تقولى مأخدنا عليكي .. ويوسف يقولى إني بتمادى معاه .. هو انتوا شايفنى إيه بالظبط

مسحت إيمان على شعرها وهدأتها وجلت بجوارها وقالت في حنان:
- مريم يا حبيبي أنا قلتك قبل كده الناس مش بتدخل جوانا وتشوف نيتنا إذا كانت طيبة ولا لاء .. الناس يتحكم بالنشرفات الظاهرة لينا .. يعني مثلا إنت وفقتى قدم فاترينة خمور في
الشاعر.. أى حد معدى ينقول بانتقير على الخمرة ليه أو نفسها تشتري منها .. لكن انت
ممكن تكونى وافقة ترتاحى من مشوار طويل ووقفتى تأخدى نفسك شوية .

لمعت عيون مريم بدموعها وقالت : 
- يعني إيه يا إيمان .. يعني أنا هيبقى ذنبي إني وافقة أرتاح .

إبستمت إيمان وقالت :
- لا يا مريم مش ذنبي أنيك برتاحى .. لكن ذنبي إنك إختارتى المكان الغلط اللي ترتاحى قدامه
.. يعني ماشية مشوار طويل ومستحمله .. كان ممكن تستحملى أكثر وتمشي خطوتين كمان
لكن إنت بطرقبتى ووقفتى في حتى ممكن تشبهاك وإنى مش حاسة إن الناس هاتحكم عليك
من خلال المكان اللي وقفتي قدامه ...

ثم طبعت قبالة حانية على وجنحتها وقالت :
- يعني إنت كل مشكلتك يا مريم إن نيتك كويسة لكن بطرقبتى الغلط وتقولي نيتى خير .

نظرت لها مريم بحنق :
- يعني مطلوب منى أعمل إيه علشان الناس تعرف إني كويسة .

إبستمت إبتسامة إيمان وقالت بهدوء :
- قوليلي يا مريم لما بتحبي تقرأي قصة .. إيه أول حاجة بتلفت نظرك ليها

مريم :
- العنوان وبعدين بشف مضمونها

حصلت إيمان على ما تريد فقالت :
- بالظبط كدة ...

العنوان الأول وبعدين المضمون علشان كدة لازم تخلى عنوانك مظلم أوی

نظرت لها مريم بعدم فهم :
- يعني إيه عنوانى
قالت إيمان موضحة وجهة نظرها:
- عنوانك يعني لبسك ومظهرك الخارجي .. يعني صحابك اللي ملتفة معاهم ومصحباهم ..
- يعني وقتك ومشيتك وطريقة كلامك وحركتك .. يعني الأماكن اللي واقعة فيها أو جواها أو خارجة منها
قالت مريم بتتأفف:
- فاهمة ... تقصدي سلمى مش كدة
قالت إيمان بصبر:
مش سلمى وبس .. لا .. وكل سلمى ممكن تشبله وتخلو الناس يفتكروكي زيها .. يابنتي الرسول عليه الصلاة والسلام قال : المرء على دين خليله ; فلينظر أحدكم من يخالل
- يعني مافيش حاجة إسمها أصحاب واحدة تصرفاتها مش كوية وانا واثقة من نفسي إلى مش، داعمها زيها .. فهمتى ... والدليل على كدة إنك قبل ما تصاحبيها كان لبسك جميل ومحتشم ولا نسيتي ...
قالت مريم بعند:
طيب يا إيمان سيبيني مع نفسي شوية لو ساكت أنا مختوقة دلوقتي
نهضت إيمان وافقة وقالت:
- ماسي هاسي بك بس عاوزاكي تعرفى إن أنا بحبك أواني وإنك غلي واحدة عندي .. لكن ماتنسينك إنك مالكش حجة أنا روحتلك كليتك كتير قبل كدة وشفت بنات محترمة كتير يعني ماتнежش تقوللي مش هلالق أصحاب والكلام بتاع كل مرة ده .
والتفتت إليها وأردفت:
- ماتنسينك تنزل في بعد الصلاة علشان الغذا زفت مريم بقوة وقالت:
مش طايقة أشوف حد .. مش نازلة ضحكت إيمان وهي تفتح الباب قائلة:
- يبقى إنت لسه معرفيش عمك لحد دلوقتي

تفاجأت إيمان بقبلة على وجنها من الخلف إلتفتت إلى وفاء بسعادة وهي تحتضنها وتقول:

- وحشتينى يا إيمي

أبستمت إيمان بسعادة وقالت:

- وأنت كمان والله .. أخبار المذاكرة إيه

وفاء:

- إسكتى ياختى مش أنا ا تخانقته مع المعيد بتاعنا

قالت إيمان بتسائل:

- ليه يا وفاء

وفاء:

- عرضت عليه فكرة الرسالة بتاعته إنه تبقى مقارنة بين القانون الوضعي والشريعة

إيمان:

- وبعدين

وفاء:

- ولا قابلين ده طلع معيد فيونكة ولا فاهم أي حاجة في الشريعة

ضحكت إيمان وقالت:

- وانت بقى شرحتيله بطريقة قام كرهها من غير ما يعرفها

نظرت لها وفاء بتعجب وقالت:

- عرفتى منين

تابعت والدتها إعداد الطعام وقالت:

- يا بنت خاليكي في مذاكرتك وسبيك من الجنان ده متخليهش يستقصدك
قالت وفاء بتحدي وهي ترفع السكين:

- أنا وراه والزمن طويل

****

وفي إحدى المشاهد المتكررة كثيرًا ولكنها محببة للنفس إلتف الجميع حول مائدة واحدة كبيرة، تناولت إيمان طعامها سريعا وقالت وهي تقوم:

- بعد إذنك يا عمى أنا نازلة

الحاج حسين:

- رايحة فين يا بناتي النهاردة الجمعة

إيهاب:

- أكيد عندك مقرأ...

ثم تابع قالت:

الله .. هو أنت مش خدتى الإجازة بتأتتك

أومأت برأسها قالت:

فعل ... بس هاستلم شهاده الإجازة النهاردة نظرت لها فرحة بتساول وقالت:

- يعني إيه شهادة الإجازة دى يا إيمان

أبتسمت إيمان بخجل وقالت:

- يعني شهاده معتمدة إلى ختتم القرآن وأقدر أدرسه في أي مكان

قال الحاج حسين بإعجاب:

- ماشاء الله ربنا بيبارك فيك يا ننتى

قالت فرحة في شفف:
- إحسنا لازم نعملك حفلة يا إيمان لازم نحتفل بيكي
قال يوسف وهو يخطف نظرة سريعة إلى مريم :
- آه طبعا لازم نحتفل بها ياري كل البنات كدة
أشاحت مريم بوجهها فهي تعلم أن الكلام موجه لها وقالت بخوف:
- مبروك يا إيمان
قالت إيمان بحياء :
- لا حفلة إيه ويتاع إيه كفاية الكلمتين الحلوين دول.. ده أحسن تشجيع
نظرت وفاء إلى فرحة وقالت لها :
- وأنا معاك يا فرحة
وتابعت وهي تنظير إلى إيمان :
- إنت تروحى مشوارك ترجعي تلاقى الحفلة جاهزة ومستنباكي وهتلاقى الهدايا نازلة
عليكي زى المطر
أبسم عبد الرحمن قائلا :
- ومش أى مطر

*****
وقت وفاء بوعدها وقامت مع فرحة بتنظيم الحفلة السريعة ، ذهبت إليهما مريم وإيهاب
الذي قال مماسحا :
- أنا قولت أساعدكم يعني بصفتى بفهم فى الديكور ..
ثم تابع :
- على فكرة اللي اختار الركن ده فنان بجد
قالت فرحة في خجل :
- أنا اللي اختبرته .. حلو؟
نظر في عينيها قائلاً:
- إلا حلو.. ده تحفة.. حلو خالص
ضربته مريم على كتفه قائلة:
- إيه ياعم أنت أومال فين دروس غض البصر اللي كنت بتقولنا عليها
فضح بصره وهو يستغفر وقال:
- طب أنا هستناكوا هناك لو احتاجتوا تنقلوا ولا تشتيلوا حاجة عرفوني
قالت مريم:
- ماشي يا عم هركليز
ضحكت الفتيات وبدأت كل واحدة تقوم بالعمل المخصص لها ، نظرت مريم إلى فرحة وهي تختلس النظر إلى إيهاب الذي يجلس بعيدا وقد لحق به يوسف ووليد
فاقتربت منها قائلة بجرأة:
- بصراحة الواد يتحب
إحمر وجه فرحة لكلمة مريم وقالت بصوت لا يكاد يسمع:
- قصدك إيه يا مريم
رفعت مريم كتفيها مشاكسة:
- قصدى إيه ؟! لا ... ولا حاجة إشغلى ياخي إشغلى ربنا يوفقك
عادت إيمان بعد صلاة المغرب فوجدت الحديثة قد أعدت على أكمل وجه ، بعض الزينة البسيطة والورود المنثورة حول طاولتين كبيرتين عليها بعض أنواع الحلوى المختلفة وبعض المشروبات الملونة تحت المظلة الخارجية الكبيرة التي وضع عليها الأنواع الملونة فكان المنظر رغم بساطته إلا أنه بديع ويوح معايى الدفء التي افتقدتها منذ زمن
اجتمعت العائلة الكبيرة في الحديقة حيث قال الحاج حسين:
- لو كانت الحفلة دى بكرة كنت جبتلك الهدية اللي تستحقها لكن ملحوقة إن شاء الله
وهنا قال عبد الرحمن بهدوء:
- أنا بقي عندى لإيمان هدية هاتفخليها تعطى
قال إيهاب بمزاح:
- طب احتفظ ببيها لنفسك
ضحك عبد الرحمن قائلًا:
- إستنى بس يا أخرى
ثم توجه بالكلام لإيمان قائلًا:
- قوليلى بقي عندك جواز سفر
أجابت إيمان بحيرة:
- لا ... ليس
قال عبد الرحمن:
- طب إلتحى بقي طلعية بسرعة عشنان تلحقى الفووج السياحى
قالت بحيرة أكبر:
- فوج إيه ؟!
قال بود:
- يستى الفووج الى طالع بعذربين يوم ... إيه مش عاوزه تعمل عمره ولا إيه نظرت له بامتنان باللغ وقد برقت عينيها بدموع الفرح وكادت أن تبكي ولكنها قاومت دموعها بصعوبة وهي تقول:
- جزاك الله خيرا يا عبد الرحمن بس مفيش داعى تكلف نفسك
تدخل الحاج حسين قائلًا:
- تصدق والله فكرة يابنى أنا كمان بقالي فترة نفسي أطلع عمرة
ثم إنفث إلى زوجته قائلًا:
- ها يا عفاف تبجي معانًا
قالت بسرعة ولهفة:
- إلا أني طبعًا هاجي
خلص جهزة جواز السفر من بكرة يا إيمان
ثم أشار إلى إيهاب وقال:
- وانت بقى تخاد أزجة وتلف معاها على حكاية جواز السفر دى ..عاوزينه يطلع بسرعة
علحان نلحق نسافر
لم تستطيع إيمان أن تتمليك نفسها أكثر من هذا فانتسبت دموعها على وجنتيها وهي تتمتم:
- الحمد لله كان نفسي فيها من زمان...
قبلتها أختها واحتضنتها وقالت:
- ده عندنا حق بقى لما قال هدية هتخاليها تعيط
اقبل الجميع يهنىء إيمان في بحجة ومن وسطهم انسحبت مريم بهدوء إلى مكان بعيد نسبيا
ووقفت تتأمل الأبواب الحديدية التي تحيط بالجريمة في صمت وحزن وهي تشعر أن هذه الأبواب القاسية بداخلها تحيط بقلبها وتعتصره في قسوة، تريد أن تتحرر، تريد أن تتقرب إلى الله مثل أختها لعلها تتنازل احترام الجميع مثلها، ولكن هناك شيء يصدها دائما لا تعلمه
شعرت أن أحدا يقترب من المكان التي تقف فيه فاستدارت مجففة فوجدت يوسف يقف خلفها
قالت بيرود:
- بابا بيسأل عليك وقفه هنا لوحدك ليه
أشاحت بوجهها عنه وقالت:
- حاضر جاية حالا....
مرت بجواره لتعود أدراجها ولكنها استوقفت بإشارة من يده وقال بهدوء:
- هسأل سؤال وعاوز إجابه بـ آه أو لاء ... ممكن؟
قالت بضجر:
- إفضل

 يوسف:
- في حاجة بينك وبين وليد؟

 نظرت له باستنكار وقالت:
- لاء طبعا ... و عشان تتأكد وليد بمقابل سلمى صاحبتي

 وضع يديه في جيبه وركل حصى صغيرة أمامه بخفة وقال ساخرا:
- ده دليل مشرفيش على فكرة ... بالعكس

 نظرت له يغضب وغيظ شديد ثم تركته ومضت في طريقها حيث الاجتماع العائلي المبهج تحت مظلة الحديقة.

 مضت الأيام سريعا وإيمان تستعد للسفر لأداء العمرة بصحة الحاج حسين وزوجته عفاف

 وكانت المفاجأة أن عبد الرحمن أيضا سئمهم لأداء العمرة فلقد كان يحتاج إلى مثل هذا الجو الروحاني ليخفف عنه ما يشعر به ويتقرب أكثر إلى الله بطاعة مثل هذه تخريجه من حالة الحزن الداخلي الذي يشعر به بستمرار ويخفيفه بمزاحه ومداعباته دائما مع الجميع .

 ***

 وبعد السفر بعدة أيام جاءت سلمى لزيارة مريما مرة أخرى ولكنها كانت على حريتها في المنزل أكثر من المرة السابقة فكانت تتحرك بحرية ولكن مريما لم تكن على طبيعتها معها

 فقد بدأت تشعر بأن سلمى تسبب لها الكثير من الأذى دون أن تعلم وخصوصا نظرات الغضب التي تراها في عيون يوسف كلما رآها بصحتها ، كانت بداخلها تعلم أنه على حق ولكنها كانت تكبر دائما بعذب شديد.

 وعندما حان وقت انصراف سلمى وقفت عند باب الشقة وصافحت مريما لتذهب ففرضت عليها مريما أن تهبط معها ولكنها أبت ذلك فتركتها مريما وشأنها فهي أصلا لم تكن مرحبة بوجودها معها هذه المرة .
يُستقلل سلمى المصعد وبعد أن استقر وخرجت منه وجدت من يجذبها لداخل الشقة الموجودة بالدور الأرضي بجوار المصعد والتي يستخدمونها في تخزين الأشياء المهمة، التفتت لتجده وليد، حاولت أن تتصل منه بصوت هامس حتى لا يسمعها أحد وهي تنظر حولها وتقول:

- بس يا وليد مينفعش كده سيبني

ولكن جذبها إلى الداخل وأغلق الباب بهدوء، وبعد ساعة كانت تعدل من مظهرها وتعيد شعرها إلى هينته وتقول بدلًا وهي تنظر إلى وليد:

- على فكرة بقي انت متوحش.. دى طريقة برضة.. إنت مبسمعش عن التفاهم أبدا

قال وليد بخبث:

- لا مبسمعش.. وبعدين ما احنا متفاهمين أهو.. ولا إيه؟

إنتهت من تعديل مظهرها وقالت له:

- يا، ابى بقى عاوزه أمشي

كادت أن تفتح باب الشقة ولكنه أوقفها قائلًا:

- إستنى هنا لما أشوف حد بره ولا لاء

ففتح الباب ببطء ونظر حوله بحذر فلم يجد أحد فاشار لها بالخروج وبمجرد خروجها كان يوسف عائد من الحديقة وفي طريقه إلى المصعد فتفاجأ بها تخرج مع وليد من الشقة وهي تهدم شعرها وهو يلمسها بطريقة معينة بمزاج خاص، بمجرد أن رآته احتقن وجهها وشحب وقالت في خوف:

- يوسف

لم يستطع يوسف أن يتحمل كل هذه القذارة التي رآها فلم يتمالك نفسه ففصلها على وجهها وطردها من المنزل فأسرعت تركض للخارج، تشاجر مع وليد وهدده أنه سيبلغ والده وعمه عن أفعاله هذه وأنه ينجس المنزل بتلك الأساليب الحقيرة، رأى وليد في عيون يوسف أنه سيوفي بتهديده فارد أن يقطع عليه الطريق فتوجه له قائلا بتحذير:
- إنّت لو قلت حاجة يبقى مش هتفضحتني أنا وبس... لا ده انت كمان هتفضح بنت عمك

أمّسه يوسف من ملبسه بغضب قاّلها:

- تقصد إيه؟

نظر له وليد نظرة الوائق قاّلها:

أقصد إن سلّمي مش أول واحدة تدخل الشقة دى يا يوسف وكذيني ساّكت أحسن

ثم تابع بانفعال زائف:

- يعني أنت تسّك دنا هدرا على شمعتها وأسكت لكن لو عملتلي فيها بطل ونضيف يبقى عليها وعلى أعدائي وهفضها قدام العيلة كلها وانت عارف بقى أنا في الأول والآخر راجل ومفشي عليها لوم بالكنّيّر لخدمي كلمتين وخلاص...

ثم دفع يدي يوسف بحطة وتلكه وصد في سرعة إلى شقتها، وقف يوسف غاضبا حائرا لا يدري ماذا يفعل؟ هل وليد صادق أم كاذب؟ آلم تخبره مريم أنه ليس بينهما أي علاقة!!!

ماذا يفعل؟!! كاد أن يصعد إليها ويجذبها من شعرها ويسألها عن الحقيقة ولكن خاف من الفضيحة... ومن إيهاب

قضى ليلته في الحديقة لم يذق طعم النوم وكلمات وليد تتردد في عقده، يريد أن يبرى مريم بأي شكل ولكن المشاهد المخزية التي رآها فيها تتصرف بأسلوب لا يلبق بفترة محترمة تتوالى أمام عينيه تمنعه من ذلك، تغلي دماؤه في عروقه. غيرة على إبنة عمه، وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يلتسم لها عذرا، كل الشواهد ضدها... من وجهة نظره!! لقد نجح وليد في زرع بذور الشك في أعماق قلبه، قطع أحبال أفكاره آدان الفجر يطرق مسامعه، فانتبه من جلسته ثم قام لأداء الصلاة لعله يرشح مما يجيش به صدره، وبعد أن أدى الصلاة خرج منها بقرار حاسم.. قرر أن ينتظر والده حتى يعود من أداء العمرة ثم يخبره بما رأه وسمعه من وليد، نعم... لا يوجد حل آخر...
الفصل الخامس عشر

توجهت مريم في الصباح الباكر وقبل ميعاد ذهابها إلى الجامعة إلى الحديقة لفتح رشاشات المياه الآلية والتي ترش المسطحات الخضراء في الحديقة، وقعت تنظر إليها وتأمل المياه المتصاعدة فاقتربت منها حتى تصلها بعض رزازها المنعش، شعرت بنشوة طفولية فاقتربت أكثر من الرزاز، ثنارت قطرات المياه على وجهها وابتلعت ملابسها وكانها تقف تحت قطرات مطر خفيف، مما جعل ولد يغير طريقه وهو ذاهب إلى الجراج الخاص بهم ويتقرب منها وهو ينظر إلى جسدها الواضحة معامله من بعد أن التصقت به ملابسها على أثر المياة في تفحص وبنظره ذات مغزى قال لها:

- صباح الخير.. أيه الروقان ده كله

ألفتته إليه قائلة:

- صباح الخير يا ولد

تصنع ولد الجدية قائلًا:

- مريم.. أنا كنت عاوز أقولك حاجة ونفسى متكسفيش

مريم:

- خير يا ولد

قال باهتمام مصطنع:

- أنا كنت عاوز أتاسفلك على أي حاجة ضايقاتك في تصرفاتى .. حقيقى انا بعاملك زي وفاء بالضبط علشان كده يمكن بتعامل بعشر شوية .. وده اللي ببيضايقت منى لكن اوعدك معاملتي هتتغير

أومأت مريم برأسها وهي تقول:

- خلاص يا ولد وانت برضة أبن عمي وزى اخويا
قال وليد بابتسامة خفيفة:
- يعني خلاص مش زعلنته مني؟
ابتسمت مریم قائلة:
- خلاص مش زعلنته
حاول أن يتكلم ببراءة وهو يقول:
- لا يكااىي الببتسمة دى متنفشد .. أنت كده لسه زعلنته
ابتسمت مریم بشكل واضح وهي تقول:
- خلاص والله مفيش حاجة
وليد:
- لا برسه متنفشد .. أنت بتخمينى
ضحتت مریم لطريقته الطفولية ضحكة عالية واستجابت لكف وليد المحدود لها فضربت كفها بكفه بخفة فقال:
- خلاص أنا كده أتآكد أنك مش زعلنته .. يالا بقى سلام احسن هتأخر على الشغل
ابتسمت وهي تشير له بالتحية وهو يبادلها الأشارة ثم أطبق كفه وهو يضعه على أذنه
إشارة إلى أنه سيستظر منها مكالمته ، كانت تفعل ذلك لظن أنها أن وليد يعتبر أعلا عن أفعاله معها ويريد أن يفتح معها صفحه جديدة ولكنها لم تكن تعلم أن وليد يعرف أن يوسف في طريقه للحديثة هو الآخر وكان يريد أن يجعله يرى هذا الموقف وكيف هما منسجمان في المزاح والمداعبة كما لم تلاحظ مریم أن كثرة رجاز المياه جعل ملبسها تلتتصق بجسدها لتبرز معالمه ونفي مریم كلمات إيمان عندما قالت لها "انت بتختاري المكان الغلط واللى بيجبلك شبهه وبتفقفي فيه"
شاهد يوسف ما حدث كما أراد وليد تماما ، راها تبتسم وتضحك وتتاسعه بضرب كفها بكفه وتشير إليه بالسلام وهو يرحل ويقول لها بالإشارة بأنه سيستظر منها مكالمته ، وكل هذا وهو لا تخجل من شكلها وهي تقف أمامه هكذا بمعالم جسدها الواضحة ، صرف وجهه عنها في غضب وانصرف إلى عمله
كان يوسف يجلس في مكتب أبيه يقوم بأعماله إلى حين عودته حين دخل عليه وليد يرسم على وجهه علامات الإعتذار، نظر له يوسف بغضب ثم تابع عمله وكأنه لم يره، جلس وليد أمامه قائلاً:

- جرى أيه يا صاحبى هتفضلك مخاصمنى كده ومتكملنيش أول مره يحصل بينا كده

قال يوسف دون أن ينظر إليه:

- علشان أول مرة أعرف أنك كده يا وليد... أنا مش عارف انت ابن عمى ازاي

تصنع وليد الخجل قائلاً:

- معاك حق يا يوسف انا فعلنا غلطت جامد وجالان اعتذرلك

قال يوسف بجمود:

- لا وفر اعتذارك لما عموك وابوك يعرفوا... ساعتها هتعتذر كتير أوى

قال وليد وهو يضغط أحد أزرار هاتفه النقال في راحته في الخفاء:

- خلاص براحتكي يا يوسف لو ده هيريحك من ناحتي...

رن هاتف وليد فقدم للرد على الفور وهو يخرج من مكتب يوسف ببطء شديد قائلاً:

- أيها يا حبيبي أنا جاي أهو.. كله تمام؟.. نص ساعة هكون عندك ..لا لا مينفعش لو مش دلوقتي يبقى مش هينفع الدهردة خالص

خرج وليد من مكتب يوسف وقد حقق مراده بهذه المكالمة المزيفة، بالفعل شك يوسف في الأمر فالمسافة بين الشركة والبيت نصف ساعة تماما، كان من الممكن أن يفكر يوسف بشكل مختلف أو كان من الممكن أن لا يفكر بالأمر أبدا، فوليده علاقاته متعددة ولكن وليد غير معاد على ترك الشركة في هذا الوقت المزدحم بالعمل لأى ميعاد مهما كان، وقد ربط
ذلك بآخر جملة قالها وهو يخرج من المكتب وبين أشارته لها في الصباح بأنه ينتظر منها مكالمة.

تناول الهاتف واتصل على الخادمة التي آتت بها والدته للطبخ لحين عودتها من العمره وسألها كأنه يسأل عن أهل البيت بشكل طبيعي:

- فرحة رجعت من كليتها؟
- ايوا يا قنتم .. اتغدت ونامت من ساعة

 يوسف:

- الآنسة مريم اتغدت معاها؟

- ايوا اتغدت وطلعت شقتها يا قنتم

كان يريد أن يتأكد أن مريم في المنزل، وهل هي وحدها في شقتها أم مع فرحة، ظل يطرق بالقل المكتب على سطح المكتب في توتر وهو يتخيل وليد وهو يدلف إلى شقة مريم بحرص دون أن يبتني إليه أحد ويتخيلها وهي تغلب الباب وتتلقت حولها لتنتأكد أنه لا أحد يراهم

زادت طرحاته بعصبية حتى كسر القلم في يده ونهض، وهو يدفع مقعده بعيدا كاد أن ينقلق خارج المكتب ولكنه تفاجأً بدخول السكرتيرة تخبره بأن هناك عمل ينتظره والمسألة عاجلة، أضطر يوسف أن يستقبل العمل، لم يستطيع يوسف أن يركز ذهنه مع الرجل فقد كان مشتتاً في خيالاته، أنهى حديثه مع الرجل ووعد بقاء آخر، خرج العمل وخرج يوسف خلفه مباشرة من المكتب كالمهم ومنه إلى الأسلف ، استقل سيارته وانطلق مسرعاً عائداً إلى المنزل.

كان وليد يعلم ماذا يفعل جيداً، فلقد كان يوسف صديقه قبل أن تدخل مريم حياتهم ويعلم كيف يثيره وكيف يستفزه وكيف يحركه في الطريق الذي يريد، وبالفعل خطط لكل شيء لكي يؤكد ليوسف أن هناك علاقة حقيقية بينه وبين مريم، كان يعمل أن هناك شيء ينبعث في قلب يوسف تجاه مريم فأراد ونهض في المهد، فلقد تشرب الكره الشديد لأولاد عمه علي من أمه قافظة كما أنه يعلم أن يوسف لن يفضح إبنته عمه وبالتالي لن يفضح علاقته بسلمي.

أقرب يوسف من جراح البيت الكبير، وتأكدت ظنونة عندما رأى سيارة وليد، ترك يوسف سيارته بعيداً حتى لا يراها وليد عند عودته ودخل إلى الباب الخلفي للحقيقة ومنه إلى الدرج.
المؤدى إلى الطابق الثالث حيث شقة مريم، ولكنه تفاجأ بهبوط المصعد منه إلى الطابق الأرضي، عاد يوسف أدراجه بهدوء على الدرج ووقفت على آخر سلمتين في الطابق الأرضي بجوار المصعد، خرج وجودي من المصعد وهو يطلق صفيرًا من بين شفتيه بطريقة منغمة تدل على الأنسجام الشديد، خرج وجودي الذي كان يعلم أن يوسف يتابعه، فهو قد أعد كل شيء بدقة، فبمجرد أن رأى سيارة يوسف تقترب أسرع إلى المصعد واستقله إلى الطابق الثالث وانتظر قليلاً ثم استقله مرة أخرى عانداً إلى الدور الأرضي.

خرج وجودي من المصعد واتجه إلى الجراح مرة أخرى واستقل سيارته وهو مبتسما ابتسامة عريضة وعاد إلى الشركة مرة أخرى.

الشك أصبح يقين في قلب يوسف، تأكد من وجود علاقة آثمة بينهما، تأكد أنها ليست فقط فتاة تصرف بطريقة غير لائقة، لا أنها تعد كل الحدود... أشتعلت نار الغيرة في قلبه أكثر وأكثر، الآن تأكد بأنه يغار عليها ولكن هي لا تستحق سوى السحق بالأقدام.

****

تعلن الخطوط الجوية السعودية عن أقلاع رحلتها رقم ... الموجهة إلى جمهورية مصر العربية، نرجو من جميع الركاب ربط الأحزمة والأمن من التدخين.. شكراً نظرت إيمان إلى عفاف التي تجلس بجوارها بابتسامة وهي تقول لها:

- الحمد لله عرفت أريضه لوحدة ضحكت عفاف وهي تقول:

- كده أحسن برضه .. بلد ما نحتاس زى المرة اللي فاتت

أبتسمت إيمان قائلة :

- ها حفظتى دعاء الركوب

عفاف:

- ايوا حفظته أسكتى بقى لما أقوله مترخبطنيش
نظر الحاج حسين إلى عبد الرحمن الذي يجلس على المقعد بجواره قائلًا بابتسامة:

- عمره مقبوله يابني إن شاء الله

قبل عبد الرحمن يده وقال:

- ربنا يتقبل يا حاج وميحرمناش منك إبدا

صمت الحاج حسين قليلا ثم التفت إلى عبد الرحمن وقال بصوت خفيض وبنبره جدية:

- يقولك أبى يا عبد الرحمن أنت مش ناوى بقى تفرحنا بيك ولا إيه

أبتسم عبد الرحمن بحزن قائلًا:

- إن شاء الله يا بابا.. أدعيلى أنت بس ربنا يرزقنى ببنت الحال

اقترب منه وهمس وهو يشير إلى المقعد الخلفي:

- طب ماهى بنت الحال موجودة أهى

التفت عبد الرحمن للخلف ثم نظر إلى أبيه باستنكار وقال:

- حضرتتك بتتكلم جد

نظر له والده يتفرس في وجهه يحاول أن يقرأ انفعالاته وقال:

- طببا بتكلمت جد وجد الجد كمان ..لو فيها عيب طلعهولى

أرتكب عبد الرحمن وقال:

- مش مسألة فيها عيب يا بابا.. بس... بس أنا بحس أنها عندي زى فرحة كده.. مش أكثر

- ده بس عشان مفيش بينكم معاملة.. لكن لما تبقى خطيبتك المسافة بينكم هتقرب أكثر

قال عبد الرحمن باعتراض:

- خطيبتي إيه بس.. أنا يا بابا مفكرش في الموضوع ده خالص دلوقتي

شرد حسين وقال بخوف:

- أول مرة تعارضنى يا عبد الرحمن
قال عبد الرحمن مسرعاً:
- أعوذ بالله أنا مقدرش اعترضك يا بابا بين يدي رحمة وحياة يعنى مينفعش أتجوز واحدة
  بحبها خلى أختى
قال والده بحزن:
- أول مرة تأخذ قرار من غير تفكير يا عبد الرحمن..انت شكلك كده لسه قلبك مشغول باللي
خانتتك
أعتصر كلام أبيه قلبه فقال بالألم:
- لا يا بابا حضرتك فهمتني غلط أنا مبفكرش فيها خالص بالعكس
قال حسين متسائلاً:
- أمقال لى رفضت من غير تفكير بنت زي دى.. مؤدبة ومحترمة ومتدينة وثبت عمك يعنى
دمك ولحمك
شعر عبد الرحمن أن أباه يكاد يكون يحاصره ويضغط عليه فقال محاولات التخلص من هذا
المأزق:
- خلاص يا بابا أوعدي هفكر في الموضوع ده وأرد على حضرتك قريب
مال حسين بجسده قليلاً تجاهه قالاً بخوف:
- أسمع يا عبد الرحمن انا عمرى ما ضغطت عليك فحالة.. لكن اعرف يابني ان الموضوع
ده مهم عندى فوق ما تتصور.. قدامك يومين وترد عليا علشان افتتح البنت في الموضوع
كاد أن ينفعل من وقع كلمات أبيه ولكنه تذكر أنها وأمه يجلسان خلفهما فحاول ضبط
أعصابه وأخفض صوته قالاً:
- بس حضرتك يا بابا نسيت أنا سبت هند ليه.. لو اللى حضرتك عاوزه ده حصل يبقى كده
هنفذ لامها اللي هي عايزه
أبتسم حسين قالاً:
- ومين قالك اني مش هنفذلها اللي هي عايزه
قال عبد الرحمن بتعجب:

- أول مرة مفهمش حضرك بفكر ازاي

ابتسم والده في هدوء وثقة قائلًا:

شتوف يابني. أنا وأحلام واقفين على أول طريق .. والطريق ده آخره اتجاهين .. أنا عاوز آخر الطريق أحود يمين وهي عاوزه تعود شمال .. يعني أنا وهي لازم نمشي في الطريق نفسه مع بعض لكن العبرة في آخر الطريق يابني فهمتي

عبد الرحمن:

طيب هي عارفة هي عاوزه أيه .. عاوزه فلوسنا وخلاص .. لكن حضرتك بقى عاوزني اتجوزها ليه؟

حسين:

كان لازم تعرف من ساعة ما كنت بدور عليهم يابني .. أنا مستغرب من سوالك ده .. ياما قلتلك وانا بدور عليهم اني عاوز ألم لحمانا اللي مرات اخويا خادته وهربي .. وان عمك موصيني بكده قبل ما يموت .. أوحال انت فاكر يعني أيه يعني ان اخويا يقولي وهو ببطاع في الروح "تخد عيالي في حضنك يا حسين " لو كنت عرفت معنى الجملة دي مكنش سألتي السؤال ده يا عبد الرحمن

شعر عبد الرحمن بالجري من والده بشدة وهو يقول:

طيب ليه حضرتك معرضش الموضوع ده على يوسف اشمعني أنا

ابتسم مرة أخرى قائلًا:

- علشان مينفعش أعرض عليه واحدة هو ببحب اختها

تفاجأ عبد الرحمن بكلمات أبيه وقال باندهاش:

- يوسف ببحب .. لااا مرح معقول هما الاlington غير بعض خالص يا بابا

قال والده بثقة:
الفصل السادس عشر

جعل إهاب الحديقة في أبهى صورة لاستقبال أخته وعمه وزوجة عمه بمساعدة فرحة ومرير ووفاء بشكل بسيط بعيدًا عن التكلف بما يليق بالمناسبة فجع من فروع الشجر الرفيعة على بوابة الحديقة بشكل متقابل بحيث صبح كالسهم يتدى منه بعض أضواء الزيادة البسيطة وكذلك غطى عليه المظللة الداخلية بأوراق الشجر والورود البيضاء عاونته فرحة برسم بعض الزخارف الإسلامية على أطباق الحلوى المصنوعة من الخوص واستخدام بعض الزهور الجافة، كنا يشيران بمعناة حقيقية أثناء عملهما في الحديقة لم تخلو هذه المتعة من بعض المنغصات التي تسببت بها وفأء ومرير بسبب تخبزهم في الألوان وأختلافهم فيها، وأثناء عراكهم كفتيات صغيرات لمحب وفأء يوسف ووالدها يخرجان من المنزل ويتوجهان للخارج فاستوقفتهم ببدأتها المتكررة وهي تتجه إليها بخطوات واسعة، وقفت أمامهما تسألهما أن يأخذوها معهم لبستقبالهم في المطار ولكن والدها رفض قالا:

- خليك يا وفأء.. العربية يدوب ده حتى أنا مش هروح معاه.. كانت مريم قد لحقت بها

فقالت هي الأخرى:
- عاوزه أروح معاكم

وهنا هتف يوسف بحة:

- تيجي معانا فين.. أنا عاوزه تتنططي في أى حطة وخلاص

أضاء عيناها بدموعها وقفزت على الفور إلى وجنينها تعلن غضبها من نفوره الدائم منها

بلا سبب تفهمه، رمقه عمة بنظرة صارمة قائلة:

- يتكلمها كده ليه يا يوسف هي قالت حاجة غريبة يعني ..مش كده يا بابن

 يوسف :

- أنا أسف يا عمى عن اذنك علشان كده يدوب ألحق معاد الطراء

أستدارت مريم وترجعت خطوات بطيئة وهي تضع يديها على فمها وتبتكي بمرارة ، لحقت

بها وفاء وأخذتها بعيدا حتى لا يراها إيهاب على حالتها هذه وحاولت أن تخفف عنها :

- متزليش يا مريم.. هو يوسف كده بيطلع فجأة زى القطر

بكت مريم بحرارة وهي تقول:

- أنا مش عارفة بيعاملني كده ليه ..من ساعة ما شافني وهو واخد مني موقف حتى لما

تحصل حاجة بالغط يفتكرها حاجة وحشة أو أنا قصداها

قالت وفاء مستفهمة :

- حاجة وحشة إزاي يعني ؟

تابعت مريم قائلة:

- أى حاجة تنخيلها .. أقع يقوم ولايد يمسك أيدى فيفتكرنى موافقة انه يمسكنى كده .. يشوف

واحدة صاحبتى بتحمل حاجة غلط يقوم يفتكرنى موافقة على تصرفاتها .. وكل مرة أحاول

أثبته أنى مبعش حاجة غلط ميدنيش فرصة ويسبني ويسني .. وبعد كل ده يهزاى قدامك

انت وعمى ويشخص فيها .. انت متعفيوش البهولة اللي كنت بشوفها وانا يستغل معااه

صممت وفاء في تفكير ثم قالت:

- وانت بتفسرى التصرفات دي بأيه  ؟
أشاحت ببها قائلة بحنق:

- مش طابقين طبعاً. ومش عارفة له. انا عملته أيه علشان يعاملني كده
قالت وفاء وهي تمت شفتيها:

- ياعيني يا يوسف. هو أنت وقعت لا الهوا اللي رماك
رفعت مريم رأسها بينين داعتين قايلة:

- تقصدي ايه؟
ضحكت وفاء بصخب وقالت:

- وانت كمان يا مسكينة. الله يرحمك ويسن إليكم
حاولت مريم جاهدة مقاطعات ضحكات وفاء وهي تهتف بها:

- بطلي ضحك وفاهمين قصدي ايه
قالت وفاء من مكانها وجلس فردب من مريم وقالت بخفوت:

- قصدي أنه بحبك يا عبيطة وبيغير عليك
تجرت عيني مريم وهي تنظر إلى وفاء بعدم تصديق، فأومأت لها وفاء برأسها مؤكدة
وهي تقول:

- وانت كمان بتحبه
نهضت مريم وكأنها لدغت وهي تصيح في وفاء:

- أنت شكلك اتهبلت يا بت أنت والقضايا اللي بتذاكرها لحست مخك
ثم اصرفت وهي تتتابع ضحكات وفاء المتواصلة في شغف وقلبها يرتفع مع ارتجاعة
ابتسامة شاحبة غير مصدقة على شفتيها.

****
وبعد ثلاث ساعات كان الجميع يتجه ويتم وضع اللمسات الأخيرة على ديكور الحديقة الجديدة حتى سمعوا صوت أبواب سيارة يوسف تنطلق من بابها وهما في زفاف ، ذهب الجميع إلى بوابة الحديقة في ساعة وقد كانت سعادة مريم لا توصف حينما رأت اخترتها إيمان تهبط من السيارة وقد زاد نور وجهها أكثر وأكثر ، وزاد جمالها دون وضع أي من أدوات الزيّنة عليه ، نعم إنه نور الطاعة زداد بها ، أسرعت إليها بخطوط قريبة إلى العدو ولم تنتظر إيمان حتى يستطع يوسف أن يدخل بالسيارة بشكل كامل ، خرجت مسرعة إلى اختها التي تعود إليها وسكت مريم في حضن أختها وكأنها أمها عادت إليها بعد غياب ، مسحت إيمان على رأس مريم وهي تنظر إلى إيهاب بشوق كبير ، أقبل عليها إيهاب وحاول انتزاعها من مريم ولكنه لم يستطع ، كانت متشبثة بها بقوة فاضطر لاحتضانهما معا وقبل رأس أخته بحنان وشوق بالغ وهو يقول باستناد عذبة;

- وحشتنيا يا حجة ..خلاص بقيتي حجة رسمى هنا ضحتك إيمان ضحكة أشرق بها وجهها فرادي بهاء وقالت:

- لا برده لسه مش رسمى أوى ..دى عمره مش حج قضى وقت طويل في العناقة والمذاهب والمصالح بينهم جميعا ودخل الجميع إلى مكانهم المفضل تحت المظلة ولكنها كانت مختلفة بديكورات إيهاب وفرحه ، ظلت تنظير إيمان حولها بتجد وتقول لإيهاب:

- طبعا انت صاحب الأفكار البديعة دى

- أشار إيهاب إلى فرحه قائلًا وهو يغمز لها:

- مش لوحدى لم تفارق مريم إيمان ، ظلت ممسكة بيدها وهما جالسين في الحديقة كانا تقول لها أحتاجك بشدة وافتقدك، نهضت أم وليد تصبح في الخادمة:

- يالا يا بت هاتف الأكل بسرعة قالت عفاف بطيعة:

- طب ما نطلع فوق احسن ..بدل ما البنت تقعد طالعنه نازله تجيب في الأكل قالت وفاء على الفور:
لا يا طنط احنا عاملين حفلة باركيو كلوا مشويات
ثم أشارت إلى مريم وهي تقول:
- يا يا مريم نساعد البنت الغليانة دى
منعتها أمها وقالت:
- تساعديها ليه.. هي بتاخذ شوية.. دى بتاخذ على قلبها قد كده
تحدثت إيمان قائلة بهدوء:
- وفيها أيه يا طنط .. الرسول عليه الصلاة والسلام لما كان بيجبه ضيف كان يخدمه نفسه
رمقتها فاطمة بنظرة جانبية وهي تقول :
- عليه الصلاة والسلام ياختى
عانقها أخاه مرة أخرى وهو يقول:
- وحننا كلامك والله يا إيمان
بعد الانتهاء من تناول الطعام قالت وفاء موجهة حديثها لإيمان:
- قوليلى بقى يا إيمان لما روثروا المدينة المنورة ووقفت قدم قبر النبي عليه الصلاة والسلام حسيتى بأنه؟
- أشرق وجهها وهي تقول بعيون لامعة:
- يا وفاء مقدرست أوصفك أحساسي أبدا.. حسنت بسكتينة وراحة في قلبى.. وخصوصا
وانا بقول السلام عليك يا رسول الله.. قلبى ارتفج كانت واقفة قدماه عليه الصلاة والسلام
ثم تابعت وكأنها انتهت لشيء وقالت:
- بس تعرف يا وفاء حجرة النبي اللي كان عايش فيها وادفن فيها كانت صغيرة أوى.. يمكن
المظلة دى أكبر منها في الحجم.. مع أن النبي أكرم خلق الله على الله وحبيب الرحمن
ورغم كده كان بيته بالحجم ده وبالتاليوضع ده.. واحدنا بيوتنا كبيرة أوستين وثلاثة ويمكن
أكثر ورغم كده نقص نشتكى ضيق الحال وضيق الرزق واللي ساكنة في شقة عاوزه فيلا
واللي عندها فيلا عاوزه قصر.. سبحان الله
نظر حسین إلى عبد الرحمن نظرة ذات معنى وكأنه يقول له "شوفت بقي انا اخترتك ايه "

****

جلست مريم مع إيهاب في غرفة المعيشة بجوار إيمان في شقتهم وهي تحكي لهم تفاصيل رحلتها الروحانية الجميلة وهما يستمعان في انتباه والأبتسامة مرسومة على شفتيهما إلى أن قال إيهاب:

- الله يا إيمان.. شوقتني أروح عمره .. إن شاء الله اروح قريب أول ما اخلص تشطيب العمارة اللي عمى أداائي شغلها ويبقى معايا مبلغ محترم هسافر على طول

قالت مريم:

- ده مبلغ يابني يطلعك حج مش عمره انت والعيلة كلها

رقته إيمان بنظرة متفحصة وهي تقول:

- طب أه يأيك طالما المبلغ حلو كده قبل ما تطلع العمره تخطب فرحة

أبتسمت مريم وهي تنظر إلى إيهاب الذي ابتسم بدوره ولكن ظهرت عليه علامات الحيرة وهو يقول لها:

- تفتكرى يا إيمان .. تفتكرى عمى يوافق؟

ثم نهض مترددًا وقال:

- وبعدين هي نفسها ممكن متوافقش

قالت إيمان بنقة:

- انا متأكدة انها هتوافق

لمعت عيناه بشغف قائلة:

- وعرفتى ازاي هي قالتلك حاجة؟

أشارت له بأصحها نافية وقالت بابتسامة مداعبة:
لا طبعًا هي درجة حاجة تتقال. أنا اللي عندي الحاسة السادسة والسابعة والعشرة كمان

صمت مفكرًا إلى أن قال ببطء:

- تفكيري كده... يعني أتوكل على الله وأكلم عمي... بس لو قالى هتعيشها فين اقوله ايه... في بيتك... لا مينفعش استنينوا لما يبقى معاي مبلغ تاني اجيب بيه شقة بره تليق بيه

صاحت مريم بمرح:

- ليه بس يا هوبه... انت ناسي الاعتراف اللي عمامي قالوا لإيمان... انا لينا نصيب في البيت هنا... يعني الشقة اللي هتجوز فيها بتاعتك من ورث بابا الله يرحمه يعني ملكك

قالت إيمان مؤكدة:

- أنا مع مريم يا إيهاب وعلى فكرة عمى عاوز يكتبنا نصيبنا بيع وشرا بس مش عاوز ماما تعرف حاجة زي كده

ثم نظرت لمريم موجهة الحديث إليها:

- سامعاتي يا مريم

مريم:

- أنا وعدتك يا إيمان خلاص

تابعت إيمان وهي تنظر لإيهاب:

- وافق يا إيهاب عشان خاطرى... أنا نفسي تتجوز بقى وكمان هتسكن معانا في نفس الدور في الشقة اللي قادمنا على طول يالا توكل على الله واستخير ربنا أوما إيهاب يرأسه موافقا وقال بسعادة غامرة:

- طول عمرك بتتفحيلي الأبواب يا إيمان وبتحفزيني دايمة

***

مضى اليوم المهله التي طلبتها عبد الرحمن من أبيه ليفكر فيهما في موضوع زواجه من إيمان، كان يجلس في مقعده الخاص في شرفته المطلة على الحديقة شاردا حتى آتاه صوت أخته تناديه... ألمفت إليها قائلًا:
- ايا ويا فرحة في حاجة؟

قالت فرحة تداعبه:

- ايا ويا رومانسي.. بابا عاوزك في أوضة المكتب حالاً بالاً

قال عبد الرحمن وهو ينهض:

طب روحي انت يا غلباوية

دخل عبد الرحمن غرفة والده بعد أن طريق الباب وأغلقه خلفه وهو يقول:

- السلام عليكم .. حضرتك بعتلى يا بابا

أشار له والده أن يجلس وهو يقول:

- اقعد يا عبد الرحمن ...

- ثم تابع:

- أيه يعني مردتش علينا اليومين عدوا

قال بعدم فهم:

- أرد على أيه؟

رمقه والده بنظرة صارمة وقال:

- وانا اللي قلت انك بستخير ربنا.. أتاريك الموضوع مش في دماغك أصلاً

تذكر عبد الرحمن الحديث الذي دار بينهما على متن الطائرة ، بالفعل لقد نسيه لا لعدم أهميته ولكن لعلمه أن والده مصير على هذه الزيجة وفي كل الأحوال سوف يضطر للموافقة اننزعه والده من بين أفكاره قائلًا:

- يعني مردتش

عبد الرحمن:

- بابا هو حضرتك لسه مصمم على الموضوع ده؟

قال حسين باصرار:
- أنت شايف أيه؟

أجاب عبد الرحمن باستلام:

- خلاص يا بابا حضرتك اعمل اللب شايفه صح

تنهد حسين وهو ينظر لولد له يحاول أن يستشف ما بداخله في صمت ثم قال بهدوء:

- يا بابا والله إيمان بنت زي الفل.. وزوجة رائعة لأي حد في الدنيا.. وإننا مش محبوب ولا حِاجَة.. كل الحكايات التي كان نفسى أحب البيت اللي هتجوزها الأول لكن خلاص اللي فيه الخير يقدمه رينا

ابتسم والده برضة وقال:

- عظيم.. كده مفضلش غير إيمان يارب بقى هي متخزلنيش

ألفت إليه عبد الرحمن بتسائل:

- تفتكر ممكن ترفض

قال حسين بتفكير:

- والله يا بابن مش متآكد من موافقتها.. أنا هنقد معها واكلمها ولو وافقت هكلم إيهاب على طول على كتب كتاب.. بلاش خطوبة وتضيع وقت

نهض عبد الرحمن وهو يهتف:

- جواز كده على طول.. طب ناخد على بعض الأول

أبتسن حسين وقال:

- لما انت بتنقول كده وانت الراج.. أومال البيت بقى هتنقول أيه

قال برجاء:
يا بابا واحدة واحدة.. الحكاية مبتناخرقش كده

- أشار له والده منبهاً:

- واعمل حسابك كتب الكتاب هيبقى شهر واحد بس .. وبعدن الفرح على طول

صمت عبد الرحمن ولم يرد عليه فصاح فيه فجأة:

- ماالله........

أنتفض عبد الرحمن لصيحة أبيه وقال بتعلثم:

- حاضر يا بابا حاضر .. لو عاوز الدخلة كمان ساعة إنا جاهز

ضحك حسين بصوت مرتفع، ثم نادي على زوجته بصوت مرتفع ، دخلت والدته ولحقت بها

فرحته التي قالت:

- أيه ده بابا بيضحك بصوت عالى .. أكيد في حاجة كبيرة ..

نهض حسين من مكانه وتوجه إليها واحتضنها وهو يقول:

- عقبالك لاما أفرح بيكى انت كمان

نظرت له زوجته بتسائل وقالت:

- هى كمان؟

أوما برأسه قالوا:

- أيوه يا عفاف هي كمان .. أصل خلص عبد الرحمن لقيناله عروسة

أبتسمت في حيرة وهي تقول:

- عروسة مين يا حاج؟

قال باختسامة مشرقة :

- إيمان....

ثم تابع بحنين بالغ:
بنت اخويا الله يرحمه
انتفض عبد الرحمن للمرة الثانية على صوت الزغراد الذي أطلقها والدته فجأة
اصفر وجهه وقال:
- دى تاني مرة أتفخض في نفس القاعدة .. على فكرة أنا كده مش هشرفكوا خالص قبلته والدته واحتضنته وانقضت عليه فرحه بسعادة هاتفه :
- مبروك يا بودي مبروك مبروك ..
قال بسرية :
- كل ده ولسه العروسة متعرشفن أصلا .. وعلى فكرة احتمال كبير ترضنی
قالت عفاف بلطفة :
- أنا هطلعها دلو قتى
وقفها حسين قائل:
- لا محدش هيكيم إيمان غيري .. أنا عمها وعرفها كويس .. أطلعني يا فرحة ناديهاي
واوعى تلمحيلها بأي حاجة .. مفهووموم
هتفت فرحه وهي تدعو :
- مفهووم يا باباالالا ..
طرقت فرحة على الباب وعندمافتح أطرقت برأسها في حياء وقالت :
- آزيك يا بشمهندس .. ممكن تنادي إيمان لو سمحت
ابتسم قائلا في حب :
طب وانا منفعش
تضرج وجهها بحمرة الخجل وقالت :
- لا الصراحة مينفعش خالص
جاءت إيمان وهي تقول مداعبة:
- مينفتش أيه؟
قالت فرحة بسرعة:
- إيمان بابا عاوزك تحت ضروري جدا خالص
ابتسم إيهاب وقال بتفكه:
- ضروري جدا خالص.. كل أدوات التأكيد اللي في اللغة
طب ثواني يا فرحة هروح اليس الأسداش وجاية على طول
أرتدت إيمان إسداش الصلاة وهبطت بصحة فرحة إلى شقة عمها، أشارت فرحة إلى غرفة
المكتب وقالت:

- بابا مستنيكي في أوضعة المكتب
طرقت إيمان ثلث طرقات خفيفة ودخلت، قال حسين بإبتسامة عندما رآها:
- أدخللي يا إيمان واقفلي الباب وراكي
ثم اشار لها بالجلوس فقالت:
- خير يا عمي؟
ابتسم بحنان وقال:
- قوليلي يا إيمان انت بنتقفي فيا؟
- طبعا يا عمي
- يغنى متاكدة اني عاوز مصلحتك وانك عندي زي ولادى بالظبط؟
ارتفع حاجبها بإبتسامة حائرة وقالت:
- أكيد يا عمى مفيش عندي شيك في كده .. بس حضرتتك بتسألني ليه
- هقولك بعد ما ترجى عليا...
نظرت له متعجبة وقالت:
- ما انا رديت يا عمي
صمت للحظات ثم قال ببطء:
- أيه رأيك في ولاده .. يعني شخصيتهم .. تربيتهم .. أخلاقهم
زادت حيرة إيمان أكثر وأكثر، لا تعلم سر هذه الأسئلة ولكنها مضطرة للرد عليها ، قالت:
- ماشاه لله يا عمي ولاد حضرتك أحسنت تربيتهم .. وأخلاقهم فوق الوصف ربا
يخاليهوملك
أتسعت ابتسامته وقال:
- رحتى قلبي يابنتى .. كده بقي ندخل في الموضوع على طول
صمتت إيمان وتركت له المجال لمتابعة حديثه فقال بشكل مباشر:
- أيه رأيك في عبد الرحمن ابنى
أرتبكت وقالت بتردد:
- من ناحية أيه؟
- قال مباشرة:
- لو أتمدكم تقبلبه؟
وقفت إيمان في خجل وأطرقت برأسها ولم ترد ، نهض عمها ووقف إلى جانبها ولف ذراعه
 حول كتفها قالتا:
- يابنتى انا عاوز رأيك بصراحة .. متكشفين مني .. لو شافها ميش فولي لاء .. ليكي
مطلق الحرية ده جواز مشلععبة .. طال صمتها مما جعله يشعر بالقلق فقال:
- أنا بش عاوز اقولك ان عبد الرحمن متربي ومواكب على صلاته ويبقوم بكل الفروض
اللى عليه .. وعمره لا مسك سيجارة ولا غيره .. وطبعا انت عيشتي معانا فترة وشوفتي
تصرفاته
ثم تابع بتهيئة قلقه:
- لو وافقت هتريحي قلبى يا إيمان .. أنا عاوز اطم عليكم انت واحتك قبل ما اموت.

قالت بلففة:

- بعد الشر عليك يا عمى .. ربيا يديك طولت العمر وحسن العمل يارب

تابع حديثه قال:

عاوز اطم عليكم مع راجل عارف انه هيفونك لانك في الآخر لجمه ودمو .. وتفضلي

وسط عيلتك الكبيرة دى ومتسبيش أبدا .. نبقى حواليك دايمة وانت عارفة عفاف بتحبك

ازى وتهرايعي وهتقى غلاتك عندها من غلادة فرحة وانت عارفة طيبة أزاي

زاد شعوره بالقلق لطول صمتها مرة أخرى فقال:

- ها يابنتي مرتديش عليا إيه رأيك

قطعت صمتها وقالت بحباء:

- طبيب حضرتك اديثى فرصة أفكر واستخير واخذ رأي اخويا

ابتسم لها قالت:

- يومين كويس

قالت على الفور:

- لا يومين قليل أوى .. يعني .. مش أقل من أسبوع كده

خلاص نقسم البلد نصين نحاليهم أربعة .. خلاص اتفقنا مش عاوز مقاومة تاني يا لا

اتفضل

خرجت إيمان من غرفة المكتب تنظرت حولها بحذر .. ثم هروت سريعا إلى الأعلى حيث
شقتها وقلبها يخفق بشدة .. نظر لها إيهاب وهي تغلق الباب خلفها وتحاول أن تنفس
بصعوبة، قلقل عليها واقترب منها مطمئنا ..

- مالك يا إيمان في حد ضايقك

تضرج وجهها بحمرة الخجل أكثر وهى تقول:

- لا أبدا.
- أومال مالك كده وشك أحمر وزي ما يكون حد ببجيري وراكي

صممت وذهبت لتجلس حتى تستطيع تنظيم طريقة تنفسها ، ذهب خلفها في حيرة وجلس بجوارها ونظر إليها ينتظر أجابتها ، خرجت مريم من غرفتها فوجدتها هكذا فاقتربت وجلست بجوار أختها وهي تقول :

- مالكوا في أيه؟

قال إيهاب بنفاذ صبر:

- ما تكلمي يا إيمان ساكنة ليه

ارتبكت بشدة وهي تقول بخجل:

- عمى .. عمى بيقولي أيه رأيك في عبد الرحمن

قال إيهاب بعدم فهم:

- مش فاهم يعني أيه .. رأيك فيه ازاي يعني أطرقت برأسها تحاول أن تجد كلمات مناسبة ، وفجأة صفت مريم بيديها بابتسامة كبيرة وهي تقول:

- يا إيمان يا جامد .. معقوله يا إيهاب مفهمتش ده انا فهمت.

واكملت بشغف:

- عبد الرحمن عاوز ينجز إيمان ها فهمت ولا نقول كمامان قطب جبينه في تفكبر وقال:

- صحيح الكلام ده يا إيمان

أومأت برأسها مؤكده كلام مريم فقال بنزق:

- وعمى ليه مكلمنيش انا الأول قاطعته مريم قائلة:

- ازاي يعني يقولك انت الأول .. مش لما يعرف رأيها الأول يبقى بكلمك ويتفق معاك
أومأت إيمان مرة أخرى وقالت بخفوت:
- أيوه هو برضة قالى كده
قالت مريم بسعادة:
- وانت قولتله أيه يا إيمان موافقة طبعا مش كده
قالت إيمان بنفس الخفوت:
- قلته عاوزه وقت أفكر واستخير ربنا
نهض إيهاب وهو يقول:
- خلاص اللي فيه الخير يقدمه ربنا.. استخيري .. بس لما توصلى لنتيجة تقوليلي وانا هبلغه بالرد
وافقته إيمان بإembreة من رأسها وقالت مريم:
- بطل تحبكها يا إيهاب ده عمنا.. يعني في مقام ابونا الله يرحمه..مش راجل غريب وناسي غريبة عننا نتعامل معاه بالشكليات دي
قال إيهاب متعجبا:
- يا سلام.. من أمتى بقي العقل ده
ثم اردف وهو يوجه للباب:
- أنا ماسى دلوقتي علشان عندي مشوار شغل مهم أوى
بمجرد أن أغلق إيهاب الباب خلفه أمسكت مريم ذراع إيمان واجلستها في مواجهتها وقالت وهي تصطعن الجدية:
- اعترفي بسرعة...
قالت إيمان بدهشة:
- أعترف بأيه يا مجنونة
نظرت لها مريم بعين مفتوحة والأخرى مغمسة وقالت بمكر:
- أيه اللي خلاكى تغيرى رأيك.. مش قلتى أنا عاوزه اتجوز واحد ملتزم.

سعت إيمان وانشغلت بطرحت اسدالها حتى تتحاشى النظر لمريم وقالت:

- أنا لسه موافقتش يا مريم.. أنا لسه هستخش.

 أمسكت مريم وجهها بيدها وقالت:

- اومال ليه كده خير اللهم اجعله خير شكلك زى ما تكونى موافقة.. وبعدين عبد الرحمن

مش ملتزم زي ما انته عاوزه

أبعدت إيمان وجهها وقالت:

- بصى أنا كمان محتارة لأنه زي ما بتقولى مش ملتزم زي ما أنتى عاوزه.. لكن عموما احنا

عشنًا معاهم وشفكا أخلاقيهم وهو أخلاقيه مش بعيده عن الألتازم .. يعني بيصلى في المسجد

وبار بابوه وأمه ومحترم ومالوش في حكاية مصاحبة البنات والستات والكلام الفاضل ده.

مالوش في السجائر ولا في الحاجات الوحشة دى.. معاملاته وطريقة كلمه محترمة ده غير

اني عارفة عمى مربيه ازاي بما أن احنا قرای فانا متأكدة من أخلاقي البيت اللي اتربى فيه

هو فيه بشوية حاجات عاوزه تظبيط.

كانت إيمان تردد على نفسها هذه الكلمات دائما حتى تقتع نفسها بها وهي تتقلب على

فراشها ليلا وكانتها تجد مخرجًا أو تبريرًا يجعلها توافق على الزواج من عبد الرحمن ، فلقد

كانت تطلعتها أكبر من هذا في الزوج الذي تريد.

طوال الأربع أيام لم يحدث أى احتكاك بين مريم ويوسف ولقد ساعد على ذلك البعد

اختبارات آخر العام بالنسبه لمريم وفرحة ووفاء، وبعد انقضاء المهلة المحددة واستخارة

يومية، أخبرت إيمان أختها برأيها.. فقال بحيرة:

- مش عارف يا إيمان يعني اقول لعمك أيه دلوحتى؟

أيمان:

- زي ما قلتلك يا إيهاب قولبه اني عاوزه اتكلم مع عبد الرحمن مرة واحده وبعدين هقول

رأيي

نهض إيهاب ليذهب لعمه ولكن إيمان استوقفته قائلة:
- إيهاب... أيه رأيك تطلب أيد فرحة بالمرة

ألغت إليها في تفكير وقال:

- تفكيري ده وقت مناسب

قالت إيمان بحماس:

- طباعا افتك ونص.. وانا عارفة النتيجة من الكنترول مقدما

قال بتردد:

- مش عارف يا إيمان .. قلقان أوى من الحكاية دى

ربتت على كتفه وقالت:

- صدقتي عملك ببحبك جدا وهيرح أوى بطلبك ده .. وفرحة كمان مياله ليك

شردت قليلا وقال:

- بس دى بتمنحن دلوتى

ابتسمت له قائلة:

- خلاص فاضل أسبوع وتخلص امتحانات .. وبعدين يا باشا انا لو كنت عارفة انها هتقد تفكير وتنشغ كنت قلتك استنى لما تخلص امتحانات لكن انا متأكدة انها هتطير من الفرح وهتتحمس للمذاكرة أكثر

وضع إيهاب يديه في جيبه وقد تبدل حاله في لحظة وهو يقول بغرور مصطنع:

- طباعا يابنتى .. أخوكي لا يقاوم

****

كانت سعادة حسين بالغة وهو يرى على وجه ابنته علامات الرضا بطلب إيهاب للزواج

منها وهي تقول بخجل:

- الي تشوفه حضرتك يا بابا
في حين قال عبد الرحمن مداعباً:

- يا سلام على الأدب .. أيه يا بابا وبابا فكّ شغلك عنك، نزل عليك نزل واحد.

نظرت له نظرة جانبية وهي تقول مهددة:

- طول عمرى يؤيد على فكرة، برسانت كنت في البتكونه .. هو محدش قالك ولا أيه

ضحك والدها من مداعباتها لأخيها وهو يقول:

- مش لسه كنت مكسوفة من شوية لحتى تقلبي

ثم التفت إلى عبد الرحمن وقال:

- هيا يا عبد الرحمن وانت فاضي أمتي علشان القاعدة اللعي إيمان عاوزه تقدعاها معاك

قال عبد الرحمن بعدم أهتمام:

- آي وقت يا بابا وياريت لو النهاردة علشان بكرة عندي شغل كثير مش هبقي فاضي

تابع وبنى نظرت لوالده في تساؤل قاملاً:

- بس هى مقالتش هي عاوزانى فإيه بالظبط؟

ألفت إليه والدها متعجباً وقال:

- البلد من حقها تقعع معاك قبل ما توافق عليك .. وانا الحقيقة مستغرب المفروض اننت

كمان تبقى عنك نفس الرغبة

عانقت عفاف ابنتها عناق طويل وهي تبكي وتقول:

- ألف مبارك يا حبيبتي مش مصدقة انى هشوفك عروسة أخيرا

أعتدت فرحة وهي تقول باستنكار:

- آيه أخيرا دى يا ماما هو انا عندي خمسين سنة ولا أيه

ثم نظرت إلى يوسف الذي كان يتابع التلفاز واجمًا وقالت:

- ولا أيه رأيك يا يوسف؟
قال دون أن يلفت:
- اللئ انتوا شايقنه اعملوا
جلست والدته بجواره قائلة:
- أزاي يابني.. أنت أخوها ولازم يكون ليك رأي
أبتسام ابتسامة باهتة وقال:
- إهمال مفيش عليه غبارولا هو ولا إيمان وانا أشرف بيهم بسارة
نظرت له فرحة بتساول وقالت:
- ومرير كمان بنت كويزة
أبتسام في سخرية وهو يقول:
- لا ومش اى بنت .. ونفع البنت
الفصل السابع عشر
كان اللقاء المرتقب في الحديقة، جلست إيمان على مسافة مناسبة من عبد الرحمن وهي تحاول استعادة أي شيء مما كانت تزيد قوله ولكن عقلها وكأنه قد أغلق للصيانت، ظلت تحاول أن تبدو وممتاسكة حتى لا تبدو بلهاء فهي من طلبت الجلوس إليه ولكن الهيئة كان سيد الموقف، شعر عبد الرحمن بما تعانيه فقرر أن يبدء هو قائلا بأبتسامته المعهودة:
- أخبار الوردة أيه
أبتلعت ريقها بصعوبة وقالت:
- أعتنيت بيها على قد ما أقدر بس في الآخر دبلت
أومأ برأسه قبالة:
- أكيد طبعة طالما اتفقتك خلاص
ثم استدرب مدعيا:
- منه الله الوحش اللي قطعها
أبعتسم نعما عنها فقال على الفور:

- إيمان أنها عاوزة تبقى على راحتها خالصة وتكلمني في الليل أن عازوه
قالت بتماسك:

- أنا كل الليل كنت عاوزة أنى اقولة على شوق حاجات كده أحب تبقى موجودة في بيتي
واحب الإنسان اللي هعيش معاه يعملها.. وكنت عاوزة أعرف رأيك فيها
حك ذقته بتفكر وقال:

- أنفضلّي قولوا أنا سامعك
أنطلقت في الحديث مسرعة حتى لا تتوقف فلتراجع وقال:

- أول حاجه أنا مش عاوزة ف بيتي معايي عشان ربنا يباركنا في حياتنا يعني أنا مش
بتفرج إلا على البنات الإسلامية بس .. وأحب أن زوجي هو كمان يغري بصره
قال عبد الرحمن بايتسامة:

- ها وأيه كمان

تامعت مسترفسلة:

- ثاني حاجه أنا بسمعش أغاني .. الرسول عليه الصلاة والسلام قال (ليكوّن من أمّي
أقوام يستحنون الحز والحرير والخمر والمعازف) وأنا مش عاوزة ببقى في حد فا بيئنا
يبستحل المعازف
أبعتسم أبتسامة واسعة وقد أعجب بالحديث وقال:

- يعني التحريم في الأغاني ولا في الموسيقى
قالت بسرعة:

- لا أنا ممكن أكون أخطات التعبير.. التحريم في المعازف نفسها لكن بالنسبة للأغاني
وكلماتها فده على حسب الكلمات يعني لو كلمات جميلة بتدعو لحاجة كويسة ومحتومة
هتبقى حالى لكن لو كلمات بتيّن الفتن والشهرات في النفس فطبعا دا تبقى حرام وأعتقد
هوده المنتشر وخصوصا في الزمن ده
أبتسم مرة أخرى وقَطَب جَبِينه مداعبا وقال:

طب بالنسبة للنوع الثاني .. بَتَاع الشهوَات ده .. يَنفع الست تغنيه لجوزها بصوتها كده من غير موسيقى

أطرقت برأسها خجلا من مقصد سواه ولم ترد ، حاول عبد الرحمن تغيير مسار الحديث وقال :

- ها خلاص كده ولا في حاجة تانية

إيمن:

- حاجة واحدة بس ... بالنسبة للصور أنا مش هُلق صور على الحيَّات مهما كانت الصورة 
 ۡدٔى عزيزة عليا لأن الرسول عليه الصلاة وسلام قال أن البيت اللي فيه صورة متعلقة مش ۢبتدخله الملكة .. وطبعا البيت اللي مش بتدخله ملائكة هيبقى فيه أيه غير الشياطين ويمكن ۢده سبب محدش واحد بالله منه للمشاكل الكثير اللي بتحصل في البيت

نظرت إليه فوجدته يستمع لها بتركيز فقالت :

- هو كلامي ده مضايقك

قال عبد الرحمن بجدية :

- لا طبعا يضايقتي أيه ده أنا مسلم زيبي زيك يعني دى أوامر ديني أنا كمان

أبتهجت إيمن وقالت :

- أفهم من كده انك موافق على الكلام ده

أشرق وجهه بابتسامة عذبة قائلًا :

- تصوري البنات دلوقتي لما تقول عايزه أقعد مع الراجل اللي متقدملي الواحد يتخيل أنها ۢهتقعد تشتريت عليه وطلب بقى اللي هي عايزة

ثم تابع وهو بنظر لها باحترام :

- حققى يا إيمن أنا كل يوم باحترمك أكثر .. ياريتك كل البنات ببقى هو ده شغلها الشاغل في جوازها مش الدهب والجهاز والمؤخر والقايحة وعايزه زي فلانة وهاشلإ زي علانة
كان ينتظر منها ردًا ولكنها وجدتها صمتًا في خجل من أطراءه عليها فقال متابعاً:
- أنت قولتي هندي رأيك النهائي بعد ما تقعد معايا.. ها رأيك النهائي أيه؟

نهضت وهي تبسم في راحة وقالت:
- هبلغ رأي لإهاب عن ذلك

عادت إلى الداخل في سرعة بخطوات مرتبكة بعد أن تركت جلستها تلك أثرها البالغ في نفس عبد الرحمن، كلماتها جعلته يتأكيمن من حسن اختيار أبيه، أنه بالفعل اختار له الزوجة الصالحة التي ستتحمل أسسه وتحافظ عليه، خجلها والملابس التي كست وجهها وهي تحدثه جعله يشعر بأنه له مكان ما في قلبيها، كل هذا جعله راضيًا أكثر عن هذه الزيجة ولكن ما زالت مشاعره تجاهها كما هي!

***

أطلقت أصوات الزغبار في بيت آل جاسر بعد تحديد ميعاد العقدتين معا في أن واحد ويوم واحد بعد عشرة أيام.

كانت العائلة كلها في سعادة غامرة إلا أثنين فقط، ولد والدته التي كانت تتأكل الغيرة قلبيها لكرهه لأولاد أحلام كما تقول دائما، ولنها كانت تريد عبد الرحمن لابنتها وفاء، أما وليد فقد أظهر عكس ما يبطن تماما فهو بارع في هذا.

وكانت هناك من تستمع للخير وتتفق فرحًا وسعادة وهي تقول في الهاتف:
- ألف مبروك يا حبيبتي ليكي أنت واخوكي.. أنت عارفه يا إيمان أنا الود ودي أنزلتك مخصصوس باس أعمالك واخدين مني موقف وخاية حضوي يبوظ الفرح وابقى أنا سبب تعاستكم يا بنتي .. أنا هتصل على إهاب وإباركله بنفسى ..مع السلامة يا نور عيني

وضعت سماعة الهاتف واستدانت لزوجها بانتصار قائلة:
- شوفت تخطيطي يا عصام.. عشان كنت مش مصدقتي لما قلتلك فلوس العيلة دى هترجلى أضعاف مضاعفة ولحد عندي صفق لها زوجها عصام بأعجاب وقال:
- كده أبصملك بالعشرة .. أنت معلمة
وضعت قدم فوق أخرى وهي تقول باستعلاء:
- وله .. مفضلش غير مريم وتبقي العيلة كلها في جيبى

***

كانت الأيام تمضي بطينة على البعض وسريعة على البعض الآخر بل كانت أول مرة تتنمى فرحة ان تأتي الاختبارات تابعا وتنتهى في سرعة ، أخيرا استثلل معه وتنظر له وينظر لها دون محاذر ، لم يكن حال إيهاب مختلفا كثيرا عنها فهو يحدث نفسه دائما بأنها ستتصبح خلاله بيثها حبه وقتما شاء ، لن يغب بصره عنها بعد الآن ، أخيرا ستكون هذه الطفلة المدللة طفلته وزوجته إلى الأبد.

وعلى النقيض كانت مشاعر عبد الرحمن باردة لا يشعر بسعادة ولا يحزن ، كلاهما سواء ولكن لم يكن كلاهما سواء بالنسبة لإيمان على العكس، كانت تشعل بالسعادة المخلوطة بالحقل ولكنها لا تستحب الأيام كما تفعل فرحة بل كلما مضى يوما تزداد له اضطرابات قلبها.

تم تحديد أقامة العرس في الحديقة وتكفل إيهاب بها لمدة خمسة أيام قبل العرس وبالفعل خرجت من تحت يده زاهية لأقصى حد ، كان يعمل بها بقلبه قبل بده وخبرته، كان عرس عائلى بسيط لم يكن به صخب كثير ، فقد كانت رغبة الجميع أن يكون الحفل الحقيقي هو يوم الزفاف.

أرتدت إيمان فستان بسيط ورقيق من اللون الفضي المطعى بالخرز والكريستالات الملونة الصغيرة ، وضعت القليل من الزينة وكان حجابها من نفس لون الفستان والتي تميز ببساطتها في حين أصرت فرحة على ارتداء فستان منفوش من اللون الذهبي الفاتح يغلف عليه الخرز الألمن ، كانت تريد أن تبدو كسندريلا في فستانها ، ولدت حجاب صغير ووضعت زينتها تتماشى مع لون بشرتها الخمرية.

تم عقد قران فرحة وإيهاب أولا ثم تولى الحاج إبراهيم الولاية عن إيمان وتم عقد قرانها على عبد الرحمن، وقف إيهاب في مزاح وقال:
- يالا يا جماعة كله يقولنا في نفس واحد بارك الله لكم وبارك عليكم وجمع بينكم في خير .. يالا واحد اثنين ثلاثة

ضحك الجميع مع اختلاف الأصوات وأطلقت أم عبد الرحمن الزغاريد الواحدة تلو الأخرى حتى كادت أن يغشي عليها من الفرحة والمجهود، لا تعلم مريم لماذا كلما نظرت إليه تشعر
بغصة في حلقة وكأنها تريد البقاء، تلاقت نظارتها في صمت قطعه يوسف بالحديث مع والده. كان من المقرر أن يجلس كل عريس إلى عروسه بعض الوقت بعد انتهاء الحفل في مكان مخصص لكل منهما قد أعدا إيهاب من قبل، أنصرف الجميع كل إلى شقته وظل الأربعة تحت مظلة واحدة، نظر إيهاب إلى عبد الرحمن قائلاً:

- أيه؟

عبد الرحمن:

- أيه؟

روح إيهاب بيده قائلًا:

- أحسناً هنستهبل من أولها، متاخذ مراتك وترح تقعد هناك.

قال عبد الرحمن بتصنع عدم الفهم:

- ليه ما أحسنا قاعدين مع بعض أحسن

نهض إيهاب وهتف به:

- ليه هي جمعية تعاونية ولا أيه.. ما تمشى يابنى انت هي الجوازه دى منظورة ولا أيه يا

جدعان

نهض عبد الرحمن وهو يضحك ضحكات مستفرزة وأمسك بيده إيمان وقال:

- يالا يا إيمان لو استننينا أكثر من كده هنقضي الليلة في التخشبئة

رغم أن تصرفات عبد الرحمن كانت للمداعبة إلا أن إيمان شعرت بقشعريرة في جسدها جراء لمس عبد الرحمن ليدها، ربما لأنها أول مرة تسمح برجل أن يلمسها!

أخذها عبد الرحمن إلى مظلة صغيرة أخرى كان إيهاب قد زينها بقماش التل تزينها المصابيح الكهربائية الملونة، جلس وهو يقول بمزاح:

- شفتي الواد اخوكى طردنى أزاي ..

أبتسمت إيمان في خجل قائلة:

- معش بقى أصله بيب فرحة أوى ونفسه يقعد يتكلم معاها براحته
وضع عبد الرحمن كفه تحت ذقنه وظل ينظر إليها تارة إلى الحديقة تارة أخرى في صمت ويبتسم ابتسامات صماء، كانت إيمان تجلس في مكانها ترى ظلأ إيهاب وفرحة وتري علامات السعادة المرسومة على وجههما وانسجامهما سويا وهو ممسك بيدها يبثها مشاعره في شوق وحب، أنسجت معهما كأنها تجلس بينهما، تتبع عبد الرحمن نظاراتها فوجدتها مشاردة مع الأحية، كان يريد أن يتكلم معها ولكن لم يجد كلمات يقولها ومعه حق كيف يقول ما لا يشعر به، فالناس مغرفة القلب، أراد أن يقول أي شيء حفظا لماء الوجه.
قال:
- على فكرة أنت النهاردة في القمر
أنتبهت على كلماته ونظرت إليه وكأنها لا تصدق أنه تحدث أخيراً وقالت بحزن:
- بتقول حاجة
لمس عبد الرحمن حزنه فشعر بالأسى وقال:
- يقولك أنت النهاردة في القمر
ابتستت ابتسامة صغيرة لمحاملته وقالت:
- شكرا على المحاملة اللطيفة
قال بسرعة:
- لا مش بجاملك .. أنت فعلًا في القمر .. أول مرة أشوفك بميكب حتى ولو خفيف
أبتستت في صمت حزين وأطرقت برأسها ولأول مرة تشعر أنها قد تسرعت بالموافقة على الزواج منه، هو لا يحبها ، كانت لابد أن تتأكد من مشاعره تجاهها قبل أن توافق
كان يطرق على الطاولة بانامله ويحاول أن يتكلم أو يقول أي شيء ولكنها كلما وجد جملة معينه يشعر أنها جوفاء ستخرج منه بلا معنى أو أحساس، شعرت بتوتره، للمرة الأولى تراه متورطاً هكذا فأتت رفع الحرج عنه فقالت:
- تلح نقوم؟
ألفت إليها قائلاً:
- ليه تبتعدي كده؟
كاذب أن تبكي ولكنها تمسكت وقالت:

- يعني شايفاك مرهم والظاهر أن الأرهاق خلاك متوتر.

زفر بقوة وقال:

- فعلا أنا مرهم شوية.

- طب خخلاص لو تحب نقوم علشان تنام مفيش مشكلة.

قالت هذه الجملة وهي تنظر إلى أخيها وفرحة وهما غارقان في بحر العشق وتقول في نفسها ماشاء الله لا قوة إلا بالله اللهم بارك ، كانت تخاف أن تصيبه بالعين فتؤذيه أو تقلل من فرحته ، فنهضت قائلة:

طب يالا بجد مفيش مشكلة.

شعر عبد الرحمن أنه لا يملك إلا الصمت ، لا يعرف ماذا يقول وماذا يفعل فاتجه معها إلى مدخل المنزل ومنه إلى المصعد . دلف الأثنان إلى المصعد وأوصلها حتى باب شقتهما وقال:

- تصبحى على خير.

قالت بخفوت:

- وانت من أهله.

تفاجأت مرiem بعودة إيمان بهذه السرعة ولكنها كانت غارقة في أحزانها هي الأخرى فلم ترفع رأسها من تحت وسادتها وظلت تتسع النوم ، أبدلت إيمان ملابسها وخرجت إلى الشرفة تنظر إلى أخيها وفرحته فوجدتها تقف ثم يمسك يديها ويجبرها على الجلوس مرة أخرى فأثبتت لشفها أخيها بحببته وعادت مرة أخرى إلى غرفتها ، أطفأت المشباح ولأول مرة تفعل كما تفعل مريم دائما، تضع الوضادة على وجهها وتبكي بصمت.

سمع يوسف صوت غرفة عبد الرحمن وهو يغلق الباب بعد دخوله فخرج من غرفته وتوجه إلى غرفة أخيه، دخل خلفه وقال متعجبا:

- أنت لحقت يابنى ده أنت مكملتش نص ساعة.

ألقى عبد الرحمن رابطة العنق على فراشه وهو إليها بضيق قائلًا:
معرفتش أقولها ولا كلمة .. كان منظري يكشف

جلس يوسف بجواره وقال متسائلاً:

- أنت مبتجهاش يا عبد الرحمن؟

زفر عبد الرحمن بضيق وقال:

- يا أخي حتى لو مبجهاش كنت المفروض أتكلم معاها، أنت مشوفتش وشها وهي بتبص

على إيهاب وفرحة كان عامل ازاي وهما منسجمين وبيتكلموا وأنا قاعد جمدها زى خيبتها

ربت يوسف على كتفه وقال:

- أنت كده يا عبد الرحمن مبترفعش تقول اللي مش حاسس بيه .. معش بكرة تحبها وتعرف

تتكلم معاها

شعر عبد الرحمن باختناق صوته وهو يقول:

- طب هي ذنبها بيه تنام يوم كتب كتابها حزينة كده وقلبها مكسور

نهض يوسف بشرود قائلاً:

- ناس كثير أو يقلبها مكسور من غير ما يكون ليهم ذنب في حاجة يا عبد الرحمن

***

كان ضميره ينوبه بشدة حتى أنه لم ينم جيدا ، وفي الصباح انتبهت إيمان على صوته هاتفها

فقر قلبه بشكل تلقائي عندما وجدت أسمه على شاشة الهاتف ، أجاب في تمالك على

سؤالها عن:

- الحمد لله ..اه أنا صاحية .. بره فين .. على باب مين ؟!

ثم قالت وهي تنهض في سرعة :

- على باب شفتنا احنا

وفتحته الباب فوجدته أمامها ملامحه يكسوها الأعتذار، قال في أسف:

- عملتك قلق ولا حاجة
أغلقت الهاتف وهي تقول:
- لا أبدا أنا كنت صاحية
نظر لها متفحصاً أياها، كانت أول مرة يراها بملابس البيت العادية بدون حجابها، شعرت بالحرج من نظريته وقالت:
- في حاجة ولا أيها؟
أبستم قالا:
- أنا جاني أتأسف على الله عملته امبارح.. أنا بجد مش عارف أيه اللي جرالي أطقت رأسها في خجل وقالت:
- أنا مش زعلانة .. أنا عارفة انك...
قطعها في سرعة:
- لا زعلانة ومعاك حق لو زعلتي .. أنا بجد مضايق أي من نفسي مش عارف اعتذرلك
ازاى
استشعرت الحرج وقالت:
- حتى لو كنت زعلانة خلاص.. كونك تيجى عشان تصالحي ده في حد ذاته شال الزعل كله من قلبي
شعر بالأمنيان لها وقال:
- أنا كنت متأكد أن قلتك كبير
ثم تناول كفها بين أصابعه وطبع عليه قبالة صغيرة وقال:
- أنا آسف مرة ثانية

***
مضى أسابيع أخرى و إيهاب يعمل بجد لينهي ديكورات شقته وشقة أخته إيمان، لم يكن هناك الكثير من العمل الشاق، فقط ينصباحها بعض اللمسات الفنية وكان إيهاب بارعا في هذا وكانت أحيانا فرحة تتصل به لتوثيه بأنه قد مضت عليه أربع ساعات لم تسمع فيهم صوته وهو منشغل في عمله ووقت الاستراحة من العمل يتقابلان في الحديقة ليصبح في بحور شوقه وهو بيتها حبه.

بينما كانت إيمان تحاول دائما أن تتقرب لزوجها وتبثح عن الأشياء التي يحبها وتفعلها من أجل أن تسكن قلبه كما سكن هو قلبها. فقد أصبح زوجها شاءت أم أبت ولا بد أن تبذل أقصى جهد لأنجح زواجهما رغم ما تقابلها من مشاعر باردة، لم تعتاد إيمان على الهزيمة أبدا، كان من الممكن أن تطلب الطلاق ولكن رغبتها في أن تصبح زوجته فاقت كل شيء لقد أحبته بكل جوائحها حقا.

كانت عفاف تخصص وقتها كله من أجل شراء كل ما يلزم فرحة وإيمان من تجهيزات الزواج وظهرت نتيجة الاختبارات. كانت النتيجة مبهرة للجميع حقا، هذه أول سنة تحقق فيها مريم تقدير مرتفع أما بالنسبة لفرحة فلقد كانت سعادتها بإيهاب تفوق سعادتها بتخريجها من الكلية بتقدير جيد جدا، أما وليد فقد كان يحاول باستماعه أن يعيد علاقته الطيبة بيوسف بكل الطرق الممكنة حتى استطاع أن يعيدها طبيعية بعض الشيء وخصوصا بعد أن استشهد أن يوسف لن يتكلم عن ما رآه منه هو وسالم ولكن لا يعلم أن يوسف قرر أن يؤجل الحديث في هذا الأمر إلى ما بعد زفاف أخيه وأخته حتى لا تحدث أزمة في العائلتين.

كانت استعدادات مهولة تجرى على قدم وساق في البيت الكبير منزل آل جاسر، ولقد سخر حسين كل أمواله ليخرج حفل الزفاف في أبهى صورة، قام عبد الرحمن بحجز قاعة كبيرة في فندق معروف.

وفي يوم الزفاف مساءًا كانت قاعة الأفراح مزدحمة بالمدعوبين، تلتف كل أسرة حول طوالتها الخاصة، وكان هناك على أحدث الطوافات الرئيسيه تجلس أسرة حسين جاسر وترسم الابتسامة على شفتيه في وقار وهو يتحدث إلى زوجته عفاف:

- تصدقني يا أم عبد الرحمن أنا حاسس أنى بحلم .. خلاص عبد الرحمن بقي عريس ودخلته النهاردة

نظرت إليه زوجته عفاف في سعادة وهي تقول:

- لا ومش أى عريس ده عريس زى القمر
تنحد حسين في ارتياح وهو يقول:
- أنا كده حاسس أني أبو العريس والعروسة في نفس الوقت
ردت عليه زوجته متأكد:
- طبعا يا أبو عبد الرحمن .. إيمان زي بنتنا بالظلمت ..
ثم تابعت:
- يارب عقبال مريم عن قريب يارب
وفي طاولة أخرى بجوارها كانت تجلس عائلة إبراهيم حيث قالت له زوجته في سرعة:
- شفت الواد وليد ابنك داير في كل حطة ازاي.. من ساعة ما دخلنا القاعة وهو داير زى النحلة

ضحك إبراهيم لحديث زوجته وقال:
- يا سته سيبيه ده راجل هو بنت هتقعديه جنبك
ردت وفاء معتبرة:
- يعني أيه يا سى بابا .. يعني أنا بقص علشن بنت ماما تفضل رابطاتي جمبها كده
قال موجها حديثه لفاطمة :
- سيبية يا أم وليد تقوم براحتها ثم أشار لها وهو يقول:
- روحى بابنتى
قالت فاطمة ساخطة:
- والله أنت مدلعها
ثم أردفت وهي تجذبه من يده:
- تعال تعال نروح نقعد مع أخوك ومراته

فى هذه الأثناء كانت هناك مناقشة هامسة بين العروسين حيث كان عبد الرحمن يقول:

- مالك يا إيمان .. شكك مضايق

نظرت إليه بعتاب وقالت:

- كده برضه .. هو ده اللي اتفقنا عليه

عبد الرحمن:

- أيه بس أيه اللي حصل

أشاحت إيمان بوجهها بعيدا عنه وقالت:

- مش عارف حصل أيه

قال عبد الرحمن في خجل:

- والله يا إيمان ملقش قاعة منفصلة .. الفندق هنا مفهوم نظام الستات لوحدها والرجالة

لوحدها أعمل أيه طيب يعني كنت أحجز قاعة مناسبات في جامع

نظرة له في ضيق وهي تقول:

- وماله الجامع يا عبد الرحمن .. على الأقل مكنش هييقت في رجاله قاعدة تنفرد على زوجتك .. ولا كان هييقت فيه اختلاط نتحاسب عليه قدم ربنا

ثم تنحدت في حسرة وهي تقول:

- مش هو ده يوم فرحى اللي كنت بحلم بيه وبعدين انا قلتلك من الأول وانت وعدنتي

كانت مريم تقف بجوارها ولاحظت ما يحدث ، أقتربت منها وقالت :

- مالك يا إيمان في أيه؟

تدخل عبد الرحمن في الحديث نقله:

- كلميها يا مريم .. في عروسة تبقى زعلانة كده يوم فرحها
نظرت له إيمان وهي تقول بخفوت:
- يوم فرحي الحقيقي أن ربنا يبقى راضى عننا لكن لما يبقى غضبان علينا من الل بنحصل.

قال عبد الرحمن معتذرًا:
- أنا أسف يا إيمان ملعش يا بنت عمى عديها.. والله لو كنت لقيت قاعة مفصولة كنت حجزت.

قالت مريم باستنكار وهي تحدث إيمان:
- مفصولي!.. أنت لست بتفكر كده.. أيه يا بنتي احنا في فرح ولا في جامع

فمتت إيمان وهي تشعر بالحسرة تملؤ قلوبها، فما كانت أبدا تحلم بهذا، كانت تتهمن أن يكون يوم زفافها هو يوم شكر نعمة الله عليها وليس يوم تحمل فيه كل هذه الذنوب التي تراها أمام عينيها ولا تستطيع دفعها ولكن هذا هو قدرها وعزاها الوحيد أنها غير راضية عن ما يحدث وترفضه بقلبها وهذا أضعف الإيمان.

كانت مريم تقف بصورة مستمرة بجوار سلمى التي استطاعت أن تعيد علاقتها بمريم قوية كما كانت وكان يحيط بهما شابين في أواخر العشرينات يتبادل الأربعة الأحاديث والضحكات في ركن ما في قاعة الفرح. بعدها قالت سلمى:
- أيه يا بنتي اختك دى.. عمري ما شفت عروسة مغطية شعرها يوم فرحها.. أيه العقد دى

قالت مريم بتأفف:
- والله حاولت أقنعها تقلع الحجاب النهارية لكن هي صممت وقعدت تدينى مواعظ

أنهت جملتها وضحك الأربعة بشكل ملفت للنظر، كانت هناك عيون تراقبها باهتمام شديد تراقبها جيدا وترابع ضحكاتها، كان يوسف ينظر إليها من بعيد في غضب، فوجيء بيد تضربه بخفة على كتفه وصوت ساخر يقول:
- قفشتك....

ثم تابع صاحب الصوت الساخر:
- آنا مش عارف انت معذب نفسك ليه دی بنت سهلة

ألتفت إليه يوسف في حنک وهو يقول:

- كفاية يا وليد دی برضة بنت عمنا

قال وليد معتبرضاً:

- لا لااا مش بنت عمی .. دی بنت أحلام

قال يوسف بدهشه:

- وهي أحلام دی مین مش تبقى مرات عمک علي الله يرحمه

زفر وليد بحنق قائلًا:

- هنعیده تانی .. يانی منا قلتلك قبل کده أحلام دی كانت ایه.. ومحدش يعرف إيهاب وإيمان

ومريم ولادها من عمک علي ولا لاء

أتستعي عينییی يوسف غضا ودهشه وقال:

- عیب الكلام ده يا وليد .. لو كان أبوبک وأبویا عارفین کده مکانوش جابو هم يعيشوا وسطنا

تانی .. كانوا سابو هم يعيشوا مع اهمهم ووجزها ده اللی اتجوزتوا بعد عمی علي الله يرحمه

ومکنیش دلوقتی فی فرح عبد الرحمن اخویا علي إیمان وفرحه وإیهاب

قال وليد باستهزاء:

- ياعم أبوک وأبويآ علائیهم أهيبيبيی .. وبيدروا على أي حد من ریحة عمی الله يرحمه

ثم أخرج علبة سجائر مفخخة من سترته وقدمها لـ يوسف وهو يقول في سخربة:

- خد دی بقی اتسلى فيها

نظر يوسف إلى العلبة ثم نظر إلى ابن عمه وليد وقال:

- ما انت عارف أنی ماليش في فيها وخصوصا وهي كده

وضعها وليد في كف يوسف وقال وهو يتصنع الجدية:
- علشان تعرف تراقبها كوبس .. أصل اللي زى دى طالعة لأمها.. وعاوزه اللي يوصلها تبقى
 عندي في وسط راسه

وأطلق ضحكة عالية وسط صخب الموسيقى وترك يوسف يأكل الشك قلبه وانصرف.

أنتصف الليل وحان وقت السفر لقضاء رحلة شهر العسل ، خرج الجميع من القاعة ومن ثم
من الفندق ، ركب كل عروسين في سيارتهما الخاصة و همت مريم بالركوب في سيارة
إيمان وعبد الرحمن . ولكن سلمى جذبتها معها في سيراتها قائلة:

- تعالي هنا أركبي معانيا انت رايبة فين
مريم :

- هروح معاهم نوصلهم للمطار
قالت سلمى سريعا وهي تدير محرك سيارتها:

- هتروحني تعملني أيه هتدبى مشوار المطار ده كله علشان توصليها ..وبعدين ما عليتكوا
كلها رايحين وراهم بعريباتهم هيوصلوها
قالت مريم في استسلام:

- طيب أيه يعني مش فاهمة .. هنروح احنا فين
سلمى :

- أبدا هتمشي بالعربية شوية واروحك البيت
وقبل أن تنطلق بالسيارة فتح الباب الخلفي للسيارة شابين وانطلق سلمى بسارتها مسرعة
قبل أن يلاحظها أحد ، ولكنها لم ترغب عن أعين يوسف ووليد، كانا ينظران إلى ما يحدث
من بعيد وما لبث وليد أن قال لى يوسف باستفزاز:

- شفت يا عم .. أهى غارت من اختها قالت اشعمنى انا معملش ليلة دخليته اليوم ..
وأنطلقت ضحكاته العابثة مرة أخرى وهو يقول له :

- أشر ب اشر علشان تنسى ..
استقل يوسف سيرته وجعه تلاحط سراب سهيرة سلمى وتتردد في أذهن عبارته وليد الأخيرة وغضبت شديد يجتاحه وقد أضمر شيئا في نفسه، أنطلق السيارات جميعها ولم يلاحظ أحد غياب مريم ويوفس بعد.

بعد ساعات كانت سيارة سلمى تقف أمام حديقة منزل آل جاسر، ترجلت مريم من السيارة وهي تودع صديقتها وعندما ألتقت لتدخل وجدت بوابة الحديقة مفتوحة، سارت بداخلها حتى وصلت إلى باب فناء المنزل والذي كان مفتوحا أيضاً والمكان مظلم جداً، لا يوجد إلا شعاع ضوء بسيط يأتي من أعمدة الإضاءة في الحديقة.

تحسنت مريم طريقها في قلق وذلت أنهم عادوا من المطار، نظرًا لوجود البوابة مفتوحة أخرجت هاتفها واتصلت على عمها حسين تسائله:

- أيها يا عمي انتوا في البيت ولا فين .. لا مجتش معاكوا أنا كنت مع سلمى صاحبتي .. لا أنا عند البيت دلوقتي .. هنا كنت .. كنا بنشميشى بعريبتها شوية أسفه يا عمى متزعلش مني خلاص أنا هطل استنناكوا فوق .. إنه معايا مفتاح شقتنا .. مع السلامات

تحسنت الجدران في بطب شعى تجد طريقها إلى مفتاح الكهرباء، وبعد ثوان سمحت تصوت باب الشقة المكشنة في الدور الأرضي والتي يستخدمونها كمخزن للأشياء المهملة والمحظمة توترت وتحركت في سرعة بحثا عن مفتاح الكهرباء، وهي تقول بخوف:

- مين .. مين؟
- وأخيرا سمحت صوته وهو يقول:
  - تعالى يا مريم متخافيش .. ده أنا
وضعت مريم يدها على صدرها وهي تهدئة روعها وتقول:
  - أوف .. رعبتني بتعمل أبي عندك؟
  - يصلح الكهرباء .. تعالى نوريلى بالتليفون

تقدمت نحو مصدر الصوت حتى وجدته، وشرعت في أخرج الهاتف مرة أخرى ولكن جذبها داخل الشقة وأغلق الباب بقدمه في عتفي، وبعد لحظات من المقاومة والصراخ المنتقطع والعنف والاستجداء والإصرار .. أرتطمت رأسها بأحد قطع الآثاث المركونة ووقعت فوق
بعض قطع الزجاج المحطم على الأرض مغشيا عليها .. وسالت دمائها في لحظة غدر دون أدنى مقاومة.

***

الفصل الثامن عشر

بعد حوالي ساعة ونصف كانت السيارات قد اقتربت من المنزل عائدة من المطار بعد توديع عبدالرحمن وإيمان وإلهام وفترة، دخلت السيارات إلى الجراج، ترحل الحاج إبراهيم من سيارته هو ووفاء وفتح الباب لزوجته فاطمة التي كانت تستقل سيارة وليد، وأمسك يديها وساعدها على النزول منها وكذلك فعل الحاج حسين مع زوجته عفاف التي قالت:

- تلاقى مريم دلوقتي في سابع نومه

قالت وفاء متسائلة:

- أطلع اطمئن عليها؟

قال حسين بارهاق:

- لا مفتي شاعر نقلها قاطعتهما عفاف في قلق وهي تقول:

- لسه تليفون يوسف مقفل يا حسين، حاول حسين الاتصال بولده كثيرا ولكن هاتفه غير متاح، قال إبراهيم مطمئناً:

- يمكن كان راكن عريته بعيد شوية عند المطار وجاى ورنا عفاف:
- بسنا مشوفتوش في المطار خالص يا بو وليد، حتى مشوفتوش بيسلم على عبد الرحمن
وإيهاب في صالة المطار
وهنا تدخل وليد قائلاً:
- أنا آخر مرة شوفتو واحدا بتركت العربيات على باب الفندق بعد كده معرفش راح فين
حاول إبراهيم أن يطمئنهم مرة أخرى قائلاً:
- خلص يبقى أكيد جه ورنا واحنا مشوفناهوش وجراج المطار كان زحمة أكيد ركن بعيد
وتلافيه جاي ورنا دلوكتي
حاول الجميع الاقتراح بهذه الفكرة وينتظروا حتى يعود أدرجكه خلفهم، نظر حسين حوله
قالاً:
- أظهر الكهربا بیاعة المدخل بايظة
اقتربوا من المدخل وهم في حالة أجهد شديد فقالت وفاء وهي تمعن النظر في مفاتيح
الكهرباء الخارجية:
- في حد نزل الزراير بیاعة المدخل
ثم قامت برفعها فاضاء المدخل بالكمال، ولم يلاحظ أحد شيء غريب، استقلوا المصعد
واجتهم كل أسرة إلى طابقها، أستسلم الجميع للنوم من شدة الإرهاق، باستثناء الحاج
حسین لم يمنعه الإرهاق من القلق على ورده واستشعار شيء مريب في غيابه، نظر بجانبه
فوجد عفاف مستغرقة في النوم ويدبو على ملامحها التعب الشديد فتركها نائمة ووقف في
الشريفة ينظر إلى بوابة الحديقة لعله يجده عائدا بسيارته، ظل مترقبًا حتى أنذ المؤذن
لصلاة الفجر، توضأ ونزل للصلاة في المسجد وقد قرر أن يأخذ سيارته ويعد إلى طريق
المطار فلقد ساورته الشكوك أنه من الممكن أن يكون وقع له حادث أثناء عودته.
صلى الفجر في المسجد ثم عاد واستقل سيارته وما أن تحرك بها قليلا حتى لاحت له سيارة
يوزف مركونة خفية بين بنايتين متقابلتين، فأوقف سيارته وطبع منها متجها نحو سيارة
والده، دار حولها دورتين في فلق، وضع يده على مقدمة السيارة بوجها باردة، لم يكن
هذا له معنى آخر سوى أن السيارة هنا منذ وقت ليس بالقصير، أشتدت حيرته وهو يدور
 حول السيارة مرة أخرى بتفكير، قطب جبينه في تركز شديد، ما الذي أتى بالسيارة هنا
وأين هو يوسف، لقد بحث عنه في شقته ولم يجده أين يكون قد ذهب، لا يعلم لماذا قفزت صورة مريم في ذهنها في هذه اللحظة ووجد لسانه ينطق في وجوه "مريم" ..

خفق قلبه وقرر أن يعود أدراره للمنزل مرة أخرى على الفور وقلبته يدق بشدة، وقف ليطلب المصعد ليصعد إليها ولكنها سمع صوت تأوهات متألمة تأتي من خلف باب الشقة المهملة بجوار المصعد

***

نزلت صفة مدوية على وجه يوسف جعلته يرتم بالجدار بقوة، لم يكن يشعر يوسف بقوة الصفقة بقدر ما كان يشعر بالتجدد والجهل التام وهو يقف بصعوبة وينظر إلى أبيه الذي كان يلف عبائته حول جسد مريم العاري وهي متشبحة به بقوة وتبكي وتناؤه بالألم صارخ، كانت عيني الحاج حسين مشتعلة تقبض بالدموع كالحمم المتائجة من انفجار بركان كان خامداً وهو يزار فيه هاتفاً:

- حسابك معايا مش دلووقتي يا كدلب

كانت تمشى معه مستندة على يديه وكأنه يحملها حتى أدخلها شقتها ومنها إلى غرفة نومها، ووضعها في فراشها وهي تتألم بضعف ودرثرها بغطائها وظل بجوارها حتى سكتت وهدأت أنفاسها واستقرت في النوم العميق، نظر إليها وقلبها يعتصر عصرًا من هول ما رأى، لم يكن يتخيل أبدا أنه لن يستطيع حمايتها بل لم يكن يخيل إليه يوماً أن ابنه هو من سيبطش بها في يوم من الأيام، أنهمرت دموعه وهو يتخيل أخاه يقول له "كدى ضياعت الأمانة يا حسين أبنك ضيع بنتي"

كانت مشاعره ثائرة لدرجة أنه فكر أن يهبط إليه مرة أخرى ويقتله بديده ، ولكن هذا لن يعيد لها ما قد سلب منها، لن تجلب الحماقة إلا الفضيحة، قرر في نفسه ما سيفعله ليستطيع رأب هذا الصدع المدوى وهو ينظر لها بألم وحسرة.

****

دخل حسين شقته بهدوء شديد ودلف إلى غرفة يوسف ولكنها لم يجده ظن أنه ما زال بالأسفل ولكنهم سمع صوت مياه جارية بالحمام فاقترب من الباب ليتأكد أنه بالداخل
عاد إلى غرفته مرة أخرى وانتظره فيها، وبعد قليل دخل يوسف غرفته وهو يرتدي منشفته ويتقطر منه الماء وعينيه لونهما أحمر كالدم، تجمد مكانته بمجرد أن رأى والده الذي لم يتمثال نفسه حينما رآه مرة أخرى فصفعة أخرى ألقته على الفراش بقوة، وضع يوسف كفه على وجهه وظل متمراً رأسه للأسفل، لم يستطيع النظر في عينين والده أبداً، وقف حسين أمامه وقال بلغة غاضبة مخززة:

- أعمال حسابك، كتب كتابك على بنت عمك بعد يومين، وأياك وحذار أي مخلوق على وجه الأرض يعرفوا بالللى حصل ولا حتى امك، لو سألوك كنت فين امبارك تقول أنت روحت ورنا المطار ومعرفتش ترانعربيتك من الزحمه وعلى ما دخلت صالة المطار ملتفناً وانت راجع لجنة وقفتك في الطريق وأخرتك.

ثم صاح بغضب هادر:

- فاهمنى ولا لا؟

أوما يوسف برأسه ولم يستطع أن يتفوه بكلمة واحدة، ألقى عليه والده نظرة احتقار وبغض جمدته وخرج مرة أخرى عانداً إلى مريم

***

قضى حسين الساعات السابقة نانما على المقعد بجوهر فراش مريم، ولكنه استيقظ على هموماته المتالئة وهي تستيقظ أو تستعيد وعيها ببطء، أههما أصح وبمجرد أن فتحت عينيها حتى استعادت ذكرى الأمها فصرخت وهي تمسك ببطانتها وتتشبث به، اقترب منها حسين مطمئناً ومسح على شعرها واحضنها وهو يقول:

- أهدي يا بنتي أنا جنبك وانتى في بيتك اهدى...

نظرت له بألم وحسرة وهي تبكي، تأوهاتها مزقت قلبه كما زادت من غضبه على نفسه وعلى ولده وهو يسمعها تقول بهسترباً:

- أنا عاوزه اموت .. أنا عاوزه اموت .. مونتين يا عمى وريحنى

ظل يمسح على ظهورها بحنان وتهمر عبراته بسكون وصمت، كان كل ما يشغله هو طمننتها، وأخيراً وبعد أن سكتت قليلاً قال بحنان:

- قومى يا بنتى أدخلى الحمام .. الامة الدافية هتهديكى شوية .. قومى ولما تخرجى هنتكلم..
ساعدا في ستر جسدها بعباءته التي مازالت تلتحفها وأسندها حتى دخلت الحمام وأغلقت الباب خلفها، تركت العباءة لتسقط أرضًا وهي تمشى كالمنومة وفتحت صنبور المياه ووقفت تحت رازه بما تبقى من ملابسها الممزقة القليلة المتبقية عليها، نظرت تحت قدميها فوجد المشاية التي تغادر جسدها تتناثر بلوان دمها فأغمضت عينيها وجلست تبكي تحت قطرات الماء والألم تنتشر في معظم نواحي جسدها، يالى من ألم نفسه وجسدي بترك جرحًا غائرًا لا شفاء له، مؤملة هي الطنعة التي تأتي من أقرب الناس إليك، مرت أمامها ليلة أمس كشريحة سينمائي يمر من أمام عينيها يزيد شقائها شقاء، تذكرت كيف كانت تشعر بالخوف من الظلم واعظمتهم بمجرد أن استمعت إلى صوته، لم تكن تتوقع أبدا أن يأتيها الغدر من حيث الأمان.

تذكرت أنفاسه المتقطعة وهو يجذبها إليه ويعتصر جسدها بين ذراعه، تذكرت صراخها وهي تتوسل له أن يتركها وأنها تصرخ في صنم لا يسمع، تذكرت استجذبها وهي تقول له:

"سيبني يا يوسف أبديك ده اننا بنت عمل..فوق يا يوسف أنا مريم يا يوسف فوق" كائناً تشعر وكأنه آل حديدية بلا روح، بلا شعور، كائناً حجر بلا قلب، تردودت داخلها صدى كلماته التي قالها بصوت كالسكرى وكنزه في غير وعيه "انت مستحقين غير كده ..انت مستاهلش الحب اللى حبتاهوك يا حقيقة ".

ثم كانت الدفعة القوية التي أفقدتها وعيها ببطء وهو تشعر به يمزق ملابسها، ثم انقطع كل شيء له علاقة بالعالم الخارجي، غابت عن الوعي تماما.

استفاقت من ذكرياتها على صوت عمها من الخارج يطرق عليها الباب بصوت قلص:

- مريم انت كويسة يابنتى

قالت بصوت حزين في ضعف:

- أيوا يا عمى

وبعد قليل خرجت وهي تتسند إلى الجدار وترتدى منشفتهاكبيرة، ساعدها على الوصول لفراشها، وقد أن يساعدها على الدخول إليه ولكنها صرخت عندما رأت آثار الدماء عليه استدعت بجسدها كي لا تراها فكانت أن يختل توازنها، أحتضنها في حنان وهو ينظر إلى ما رأت من آثار دماء طفيفة وأغمض عينيه في اللم، وأخذها إلى غرفة إيمان. أدخلها فراشها
ودثرها وهي في حالة أنهيار شديد من البكاء، ظل بجوارها حتى هدأت، وبعد قليل أتي إليها ببعض الحليب وساعدها على تناوله بصعوبة برغم رفضها ولكنه أصر عليها. هدأت قليلاً ...

فابتدأ بالحديث قائلًا بصبر:

- أسمعى يا بنتى. أنا معاكي. أنت مش لوحدك وعملك ما هتبقي لوحدك وانا على وش الدنيا. لازم تبقى متأكدة أني هجبلك حقق واكتر. لكن قبل كل ده.. لازم الأول يكتب كتابك.

بكت وهي تنتحب وقالت:

- كمان.. كمان... عاوز تجوزهولى يا عمى عاوز تجوزني اللي دبحني.. أبنك دبحني يا عمى.. ابنك دبحني

قال يتماسك وهو يحتضن كتفها:

- أنا مش هجبلهك علشان أكافكه أنا هعمل كده علشان السترا يا بنتى.. الأول لازم يسترك

وبعدين أنا هوريكي هعمل فيه ايه

صرخت قائلة:

- مش طايقاه لو شفته قدامي هتنته

قال بحنان:

- متقلقيش الجواز ده هيبقى للسترا بس.. وبعدين يبقى يطلقق في الوقت اللي انت تحدديه ثم تابع في بجدية:

- واستعينى كويس في الكلام اللي هقوله ده.. مش عاوز مخلوق يعرف اللي حصل.. وانا هعرفهم انك عندك برد جامد وطيبان.. وكلها أسبوع واخواتك يرجعوا ولتب الكتب.. هو طلبك متي وانا وافقت وانت كمان وافقتی.. سمعانى يا مريم

أومات بضعف فنظر لها متفحصا ثم قال:

- لو شافه يا بنتي ان كده حقك ضاع وعاوزه تبلغي عنه بلغي.. وانا هشهد معاكى

آشارت برأسها يفياً. فقال:

- وانا أوعدك اني اخلصلك حقك زي مانت عاوزه واكتر
استيقظت عفاف من نومها وقامت من الفراش وهي تشعر بألل في عظام جسدها، قاومت الإجهاد التي مزالت تشعر به منذ ليلة، لم تجد زوجها بجوارها، خرجت لتمضين على عودة يوسف، ففتحت باب غرفته ونظرت إليه باطمئنان وهو نائم في فراشه، لاحظت حبات العرق المتزايدة على جبينه فاقتربت منه لتمسحها فانتفضت على أثر حرارته المرتفعة، حاولت أن توقفه ولكن لا يستطيع ويتتم بكلمات غير مفهومة وهو يرتعش، خفق قلبها بشدة وخرجت تبحث عن زوجها لم تجده، فقمت بالاتصال به وبعد عدة رات أجابها... فهتفت به:

- أنت فين يا أبو عبد الرحمن

- أنا عند مريم فوق.. أصلها كلمتنى الصحيح وكانت تعبانة .. تقريبا جتلاها نزلة برد جامدة

قالت على الفور:

- لا حول ولا قوة إلا بالله .. هي كمان؟ .. ده يوسف كمان تعبان أوى

قال باقتصدان:

- تعبان ماله يعني
- حرارته عالية أوى وبيترعش وعمال يخترف

نهض حسنين بعد كلمتها الأخيرة وهو يقول مكررا:

- يبترعش بيقول أيه يعني؟

قالت عفاف بتجيب:

- يا حسين هو المهم يبقول أيه .. المهم إنه تعبان ولازم نجيبله دكتور
- طيب أنا نازل دلوقتي

وأغلق الهاتف ثم اتصلت إلى مريم قائلة:

- أنا هنزل اشوف الندل اللي تحت ده وهبشي أطلعك تاني.. ولو عوزتي حاجة ولا حسيتي

أنيك تعبانة كلمتنى على طول وياريت لو تحلو تكلمي نومك علشان أصابك ترتاح
كان أن يغادر ولكننا قلق أن ترى هدد الدماء عندما تعود إلى غرفتها فيجدت لها انهيار مرة أخرى فدخل المطبخ وأخذ حقيقة بلاستيكية كبيرة سوداء ووضع فيها كل ماتبقى عليه من آثار للدماء من ملبس، حتى غطاء السرير لم يتزاح، وهبط إلى الأسفل في هذه الشقة المهملة وقع ما بها من بقية ملبسهما وألقى الحقيقة في صندوق القمامات الكبير خارج المنزل لننتهى آثار تلك الذكرى الآلية تماما.

دخل على زوجته في غرفة يوسف فوجدها تجلس بجواره وتضع على جبينه كمادات باردة وهو يرتجف تحت الغطاء بقوة، نظرت إليه عفاف، قللة بتوتر:

- أتصلت بالدكتور؟

كان ينظر إلى يوسف بشرود "معقول.. أنت تعمل كده!!.. يخسارة تربيتي فيك"

سمع زوجته تكرر عباراتها الأخيرة:

- أتصلت بالدكتور ولا لسه؟

فأخرج هاتفه واستدعى الطبيب.

وعندما جاء وأجرى بعض الفحوصات القليلة ثم أعاد سماعة الكشف في حقيبته الطبية وهو يقول بعملية:

- عبده حمى

***

- أصحى يا عبد الرحمن بالا قوم

تثاني عبد الرحمن وهو مازال نائماً ويقول:

- سبيلى شوية يا إيمان

ألتقي حاجبى إيهاب وهو يقول:

- إيمان مين يابنى.. أنت معندرك تمييز كمان... قوم بالا

رفع عبد الرحمن رأسه من على وسادته وهو يكاد يفتح عينيه بصعوبة وهو ينظر إلى

إيهاب الواقف أمامه:
- أنت يا إله يا عذابك هنا.. أنت يا عذابك في كل حثة حتى وانا نائم

هتف إيهاب مستنكرآ:
- أحسنا داخلين على العصر ومراتك الغلابة بتصحي فيك من قبل الظهر .. قوم يالا عازرين

خرج وانت معطلنا

وضع عبد الرحمن الوسادة على رأسه وهو يقول:
- ما تخرجوا وانت مالي

نزع عنه الوسادة وهتف به:
- أنت متتأكد أنك عريس وفشير العسل .. ماتقوم يا باني آدم خلينا نخرجهم شوية يتفرجو

على البلد.

ثم خفض صوته وقال:
- إيمان شكلها مضايق أوى .. بتصحي فيك من بدرى وانت ولا حنا وقعدنا من

ساعة ما صحت من النوم .. قوم بقى متخليهاش تضايق كده ف شهر العسل يا أخت

نهض عبد الرحمن باكسل وأخذ منشفته ودخل الحمام بتكاسل بينماخرج إيهاب لإيمان وفرحة

غرفة المعيشة الملحة بغرفتهم قاتلا بنفاذ صبر:
- جنيتي لحد ما قام

قالت إيمان باستياء:
- أومال أنا أعمل أيه ده ذنبني ... من الصبح وانتا قاعدة لوحدى ومتش راضي يقوم

ارتدى عبد الرحمن ملابسه وخرج إليهم معتذرا ، توجه الجميع إلى ردهة الفندق ومنه إلى

الشاطئ ، كانت فرحة تمتشى على الشاطئ موجو إيهاب وهو ممسك بيدها وتتشابك

أصابهما في حب ، بينما كان عبد الرحمن يمشى وهو واضع يديه في جيبه وابن إيمان بجواره

يتنظر للبحر في وجوه ، فقال وهو ينظر للمياة :

المه هنا صافية أوى ..

لم ترد عليه فالتقت إليها فوجدتها شاردية فقال:
- الشط هنا فاضى تحبي تقفى في المية شوية

- أشارت برأسها نفيا وقالت:

- لا مش هينفع هدوئي لو اتبلت هتبقى لازقة على جسمي وهتفصلة

لفت نظره فرحه وإيهم وهما يمزحان أمامهما على الشاطئ، يتقاذفان الرمال وبعض المياه التي تأتي إليهم مسرعة على الشاطئ، وكأنها تشاركهما سعادتهما ومرحهما، وشاهد إيهم وهو ممسك بعضاً ويكتب بها على الرمال "حبك يا فرحة" ويرسم حولها قلب كبير، أبتسم ونظر إلى إيمان التي مرت بجوار القلب الذي رسمه أخيها ولمعت عينها بالدموع وأسرعت الخطى، أسرع إليها عبد الرحمن بخطوات واسعة قائلًا:

- في حاجة يا إيمان؟

قالت بتحفظ:

- لا أبدا بس بردت شوية

عبد الرحمن:

- تحبي نرجع الفندق

إيمان:

- لا مش هينفع إيهم قال هنتغدى مع بعض

قال موافقًا:

- زى ما تحبي...

ثم تناول كفها بتردد وطبع عليه قبلاً وظل ممسكاً بها، لم تشعر إيمان بحرارة كفه، لم تشعر بشوقه لها أبداً، وكأنها يفعل ذلك مملاً وأن طبيعة الموقف تفرض عليه ذلك . يفعل ذلك لأنه يجب أن يفعله .. فقط !

***
الفصل التاسع عشر

صدعت الفتانات كل منهما إلى حجرتها في الفندق بينما ذهب عبد الرحمن وأيهم لصلاة
العشاء، دخلت إيمان غرفتها، توضأت لصلاة العشاء واختارت جانبا بعيدا نسبيا في غرفتها
ووجهت للصلاة، وعند أول سجدة انهار تماشكا بشكل كامل، ظلت تبكي وتبكي وتحم الله
عذوج، أن يصرف عنها الهم والحزن وأن يقف حبها في قلب زوجها، كانت تبكي وتدعو
بمرارة كبيرة حتى انتهت من صلاتها وقامت لتصلي النوافل وأصبحت لما أصابها مرة أخرى
عند السجود، البكاء والألم.

تذكرت ليلتها الماضية، كيف كانت مثل أي عروس يكسوها الخجل والحياء، تحتاج إلى
زوجها ليطمنها، ولكنها تتعامل مع خجلها منه بالعزوف عنها، هو في الأصل لم يكن مقبلا
عليها، لم يكن شغوفا بها مثل أي زوج ليلة الزفاف، بل كان الأمر وكأنه استغل حياتها ليبت
لئيه بعيدا عنها.

تذكرت كيف استيقظت بكرا لتوظفه بحجة الخروج مع أيهم وفرحه، كانت تتصور أنه فعل
ذلك بالأمس للاجهاد بسبب السفر وحفل الزفاف وسيتغير بمجرد أن ينام ويرتاح، ولكنها
وجدت شيئًا آخر، لم يستجب لها ورد عليها قائلًا:

- لما يجوا خارجين ابقى صحيى

أخذت أفكارها وغفته وهي ساجدة، دخل عبد الرحمن الحجيرة بهدوء ووقع عليها نظره
وهي ساجدة في صحن، بدل ملايسه ودخل إلى فراشها، انتظرها ترفع من سجودها ولكنها
لم تفعل، توقيع أنها أخذت غفوة في سجودها، أقترب منها ليوقفها قائلًا:

- إيمان ..أيمان أنت نايمة؟

انتهت من غفوتها ونهضت مستنده إلى ذراعه وقالت:

- أظاهر أنها نمت وانا ساجدة

عبد الرحمن:
- شكلك تعبان .. تعالى نامي في سيرتك
خلعت أسادل الصلاة واستلقت على الفراش ولم تغمض عينيها ، نظر إليها قائلًا:
- منتمتش ليه
نظرت إليه بانتباه وقالت:
- مش جايلة نوم
قال بجدية:
- لا لازم تنامى بدرى عندنا بكرة فسحة من أول اليوم وأيهاب هيصحينا من الفجر.. تصبحى على خير...

وأغمض عينيه لينام ، نظرت إليه بذهول ، لم تكن تتوقع ردًا كهذا ، ألذ هذه الدرجة لديه عزوفا عنها ، ألم هذه الدرجة لا يحبها ولا يشعر أنها زوجته ، لم يكن هناك إلا تفسير واحد
لتصريحاته ، لقد تزوجها رغما عنه ، لقد أرغمه والده على الزواج منها ، هو لا يريدها
ومن وصلت لهذه النتيجة أغمض عينيها بالدم وقرر أن تزيل عنه الإحراج الذي وقع
فيه ، ستكون هي الرافضة له ، وليس العكس ، حفاظًا على كرامتها
كان يتظاهر بالنوم ، يغمض عينيه ليهرب من نظراتها المتلاحقة ، لا يعلم إلى متى الهروب ، لقد كان يتصور أنه بمجرد أن تكون زوجته سيعتاد على وضعها الجديد في حياته وسيشعر
تجاربها بالحب ، بل حتى أضعف الإيمان أنه كان سيتصرف بشكل طبيعي ، فلقد أصبحت
زوجته ومن المتفرض أن يبدأ حياته معها ، وهل كل رجل يتزوج امرأة لا يحبها يبتعد عنها
هكذا ، تدور الكلمات في عقله لا يجد لها تفسيرًا واضحًا ، قرر أنه في الغد وبعد عودتهم من
الرحلة البحرية أن يحاول إثارة الحواجز الجليلية التي تفصله عنها.

وفي الصباح ذهبوا جميعًا إلى رحلاتهم البحرية ، كانت فرصة جيدة لإيمان أن تستنشق هواء
البحر وترسم في جمال ألوانه الصافية ، كانت تحتاج إلى مثل هذا التغيير ، أنشغلت في عبادة
التفكير في خلق الله وهي ترى هذه المناظر الجميلة لأول مرة ، لم تفارق شفتها كلمة سبحان
الله من جمال ما ترى ، جلست فرحة بجوارها في سعادة وهي تقول:
- أيها يا جميل قاعد لوحدك ليه
قالت إيمان بمزاج:
- أنا باختى مش قاعدة لوحدي السماق قاعد معايا
  ضحكت فرحة وجاء إيهاب بلف ذراعيه حول كتفيها قائلة:
  - وخشستيني الثواني دول
  نظرت لهما إيمان بحنان وقالت:
  - ربا يخليكوا لبعض...
  قبل رأسها قائلة:
  ربا يخاليكي لي يا إيمان.. ولا أقولك يا استي ربا يخاليكي لجوزك لحسن يزعل مني
  رسمت أبتسامة مصطنعة على شفتيها وهي تقول:
  - اه طبعا هيزعل كويس إنه مش سامعك
  قال إيهاب مازحاً:
  - أنت بتطوني بالحوث بتعاكم ماشي يا إيمان
  ثم نادى على عبد الرحمن بصوت مرتفع:
  - انت يااعم الحوته .. سايب الحوته بتاعتك لوحةها ليه
  أقربت عبد الرحمن ضاحكا وهو يقول:
  - حوته... تغتن العربة فوق الوصف يا إيهاب
  قالت فرحة بطفلية وهي تضع يديها في خصرها:
  - لو سمحت متنزقش على جوزى

ظل عبد الرحمن يمارحها في حين اقترب إيهاب من إيمان وهمس في أذنها:
  - بلاشا تتصنع السعادة تاني قدامى .. منتصش أني بحس بيكي

نظرت له في توتر ثم أنزلت نظارتها الشمسية على عينيها وهي تقول بمزاج مصطنع:
  - هتعمل فيها كرومو.. يلا يابنلي روح شوف مراتك
أمسكها إيهامب من ذراعها بقوة وألقاها في اتجاه عبد الرحمن وهو يقول له:

- خذ ياعم مراتك دى من هنا.

تلقى عبد الرحمن إيمان بين ذراعيه وأشار إلى إيهام إشارة تحذيرية وهو يقول بمزاج:

- حذارى اشوفك في المعركة.

أخذ إيمان وهو يلبذ ذراعه حول كتفه واتجه إلى سور القارب الكبير، أزاحت يده بلطف واستندت إلى السور وهي تنثر للمياة، صمت قليلاً ثم التفت إليها متسائلة:

- شيلتي أيدي ليه؟

قالت دون أن تلتفت:

- أبدا كنت عازن على السور سأل وهن يعرف الإجابة:

- آنت زعلاء مني؟

شعرت بجفاف حلقة وهي تقاوم الدموع قائلة بثبات:

- وهزعل منك ليه نظر إلى البحر شاردًا، لا يعرف هل يتذرر الآن عن ما بدر منه، أم ينتظر حتى يعودا إلى الفندق.

***

أنقضت الرحلة وعادوا إلى الفندق مرة أخرى ولكن بمجرد أن دخلوا حتى وجدوا أتصالاً من وليد، رد عبد الرحمن في قلق:

- خير يا وليد في حاجة؟

وليد:

- لا أبدا كنت بطم عليكم بس ثم تصنع التردد والأرباك وهو يقول:
طب أغلق أني بقى
ازداد قلق عبد الرحمن وقال:
- ما تكلم على طول يا وليد في ايه حجتراله حاجة؟
وقد يه:
- انا مش عاوز أغلقك واقطع عليك شهير العسل بس انا عارف يوسف متعلق بيك قد ايه
وجودك جانبه هيساعدك على الشفا
هتف به عبد الرحمن:
- ماله يوسف يا وليد ما تكلم
وليد:
- الدكتور قال عنده حمي جامدة اوى والمشكله انه قالوا كام يوم وحالتها مش بتحسن
خلص بالعكس
أغلق عبد الرحمن الاتصال في ووجود، أقتربت منه إيمان وفرحه التي سالته بقلق:
- في حاجة يا عبد الرحمن.. أنا سمعت اسم يوسف
قال في شروع وقلق:
- وليد بيعقول تعبان وعنده حمي
اضطرت فرحه ولمعت عيناه بالدموع وهي تقول:
- ياالنروحة يا عبد الرحمن عاوزه اشوف يوسف
قال:
- خليكى أنت وانا هرجع مصر أطمین عليه ويبقى أكلمك اطمینك
قال إيهاب رافضاً:
- لا يا عبد الرحمن مينفعش .. دكانا ننزل كلنا نطمین عليه .. هروح اشوف في حجز أمتي

***
كانت عفاف تجلس بجوار مريم تحاول أن تطعمها شيئاً وهي ترفض في ضعف قائلة:

- والله مش قادره أكل حاجة يا طنط.. معدتى وجعاءى أوى من البرد

قالت عفاف بقلق:

- يا بنتى ده انت مسلمة خالص ووشك بقى أصفر من قلة الأكل

تدخلت وفاء قائلة:

- مش معقوله كده يا مريم كل يوم تغليبن ومتّرضيش تأكلى حاجة..مش شايفرة نفسك

أتقدمت خالص أزائ

وضعت عفاف الأطباق على الطاولة أمام وفاء وقالت لها:

- خذى حاولى تأكليها أي حاجة على ما انزل أبص على يوسيف زمان الدكتور جايله دلوقتي

تنهدت وفاء في قلق وهي تقول:

- أنا مش عارفه ايه اللي حصلكوا انتوا الاتنين..هو عنده حمى ومفيش تحسن في صحتوا خالص وانت راضية تأكلى وتشربى بسبب النازلة المعوية..انتوا اتهدتولا ولا إيه يا مريم

نظرت إليها ووجدتها شاردة وكانها في عالم آخر تحسست جبينها وقالت:

- مالك يا مريم انت تعانى؟

قالت في شرود:

- لا أبدا بس محتاجة أمام شوية

تفحصت وفاء و وجهها وقالت:

- نفسى أعرف وشك اتجرح كده ازائى.. ده رينا ستر على عنيكى

وضعت مريم يدها على الجرح بشكل تلقائى وهي تقول بتعلثم:

- أتخبتيت في مرادة الحمام وانا بغسل وشى ومكتش شايفرة...

ثم أردقت في سرعة:

- طب أنا هقوم ارتح شوية يا وفاء
تركتها وفاء لتنام وهبطت لشقة عمها وعندما رأتها والدتها أخذتها بعيدا وقالت:
- أيه يا وفاء مش قلتي هتددى مع العريس... مجيئي قولتلي المعاد ليه

وفاء:

- ياماما عريس أيه في الليلة احتنا فيه دلوقتي.. مش لنا نظمن على يوسف الأول

ضغطت فاطمة على يدها قائلة:

- بابنتي ماهو مسيره هخف.. النهاردة ولا بكره هخف.. نأكل ليه بقى

حاولت وفاء أن تختصر من ذراع أمها وهي تقول:

- يا ماما سيبينى دلوقتي مش وقته الكلام ده

أقتربت عفاف منهما وقالت متسائلاً:

- في أيه يا جماعة مالكوا

قالت فاطمة بسرعة:

- شوفتي يا يا البيت وفاء متقدمها عريس ومستعجل أوى أوى.. والبيت يا عين امها

راضفة انه يجيبي البيت عشان خاطر يوسف.. أقولها يا وفاء ده يوفس راجل انا عارفاته

حمل قاسية وهتلاققى قام زى الحتص النهاردة ولا بكره بالكثير.. تقولى لا يا ماما لما نظمن

عليه الأول

رفعت عفاف حاجبيها بعدم اقتناع وقالت لوفاء:

- ليه يابنتي.. لا أنا ميرضنيش كده أبدا يا وفاء.. كلمه وخليه يجي في أي وقت ومتقليش

بابنتي إن شاء الله يوسف هينحسن قريبه..

أنهت عبارتها وانصرفت على الفور، نظرت فاطمة إلى وفاء فوجدتها تنظر لها باستنكار

شد فقالت:

- أيه يا بابتي تبصيلى كده ليه ماهى كانت لازم تعرف ولا يقولوا جوزوا عيالهم وانا بنتى

قاعدة كده

ضغطت وفاء على أسنانها بغيظ وذهبت ولكنها اصطدمت بوالدها الذي قال:
مالك يا وفاء واخدنه في وشك كده ليه

وفاء:

ابدا يا بابا بس رابحة اذو合计 طنط عفاف لو كانت محتاجة حاجة عن ذك

استغلت فاطمة الموقف واقتربت منه وقالت:

- أصلها زعلانة يا ابو وليد علسان موضوع العريس ده قطب إبراهيم جبيينه متسائلاً:

- ليه يا اللة حصل

فاطمة:

- أبدا أصله كان حدد معاد معاها يجيلك بكرة وهي محرجة ومش عارفة تعمل أيه

قال إبراهيم في تفكير:

- هيجى ازاي بس في الظروف دى

قالت فاطمة محاولة إقناعه:

- هو يعني هيجى نلبس دبل ولا تعمل فرح.. ده هيجى يقد معاك تشوفه بس مش أكثر وتتعرف عليه .. قاعدة عادية كده زى أي ضيف ما بيجى

سمت إبراهيم يفكر في الأمر ثم قال:

- خلاص متخليهاش تلغي المعاد .. يجي ويجد معابا ساعة زمن كده ويمشي.. لما تشوف

ميته أيه

ابتسمت فاطمة بانتصار ونادت على وفاء التي جاءت متبرمة:

- أفندم يا ماما

- خلى العريس يجي بكرة .. أبوي في حد المعاد خلاص

أتسعت عيناه في ذهول وقالت:

- ليه كده بس يا ماما .. مش هينفع طبعا قولى لبابا يأل
قالت فاطمة في مكر:
- عموماً أبوك عارف أن المعاد العريس هو اللذي حدده.. يعني لو ركحت وقلتته أنه لغى المعاد هيفتكر أنه راجل بيرفع في كلمه وهيرفضه من قبل ما يشوفه
- زفَرت وفاء في ضيق وقالت:
  - ليه كده بس يا ماما عملتي كده ليه
  - بكره تعرفى اني عاوزه مصلحتك.. يالا روحى كلميه بسرعة

***

وبعد ظهر اليوم التالي تفاجأ الجميع بعودة عبد الرحمن وإيهاب وإيمان وفرحه، قبل عبد الرحمن كف أمه وأبيه الذي سأله بدهشة:
- أيه اللهى جابكوا دلوقتي يا عبد الرحمن

عبد الرحمن:
- مقدرناش نستنثى لما عرفنا ان يوسف تعبان
قال الحاج حسين باستنكار:
- مين اللي قالكوا انه تعبان
قالت فرحة:
- ولدنا وكلنا وقالنا أنه تعبان أوى وعنده حمي
هتف حسين بضيق:
- وأيه اللهى خلاته يعمل كده.. هو خلاص بقى كل واحد يتصرف من دماحه
قال عبد الرحمن مهدأ:
- أهدي يا بابا.. هو عارف ان يوسف هيحسن لما يشوفن.. يعني أكيد قصده خير
ثم تابع قلنا:
- عن أدنك يا بابا ادخله
دخل ثلاثتهم إلى يوسف وانتظرت إيمان في الخارج قليلاً ثم قالت:

- أنا هطع اشوف مريم

***

أما في الداخل في غرفة يوسف، كان يجلس بصعوبة وهو يضم أخيه بقوة، ابتسمت ابتسامة عفاف وهى تقول:

- اللهم لك الحمد، ده أول مرة يتحرك دلوتى لما شافك يا عبد الرحمن

تحسس عبد الرحمن جبين يوسف وقال:

- الحرارة عالية شوية

تحسسته عفاف وهى تقول بسعادة:

- دى كده نزلت شوية الحمد الله، أيدك فيها البركة يا عبد الرحمن.

تقدم إهاب من يوسف وقال:

- لا بأس طهور أن شاء الله، رينا يقومك بالسلامة يا يوسف

لم يستطيع يوسف أن ينظر إلى عيني إهاب وتمتم بضعف:

- متشكر يا إهاب ..

نظر إلى أخيه قائلاً بخوف:

- انتوا إيه اللي جابكم من شهر العسل

قال إهاب على الفور:

- شهر عسل إيه وانت تعبان كده يا يوسف، أنت أهم من أي حاجة تانية

شعر يوسف بكلمات إهاب تمزق قلبه وتكون عروقه، لعن نفسه وهو يستمع لكلماته الصادقة، كاد أن يهتف "تركتها بيننا لنحنيها فغدت بها في غيابك كأى كلب مسعود يتجول في الطرقات لينهش الأعراض"
طال صمته فشعر إيهاب أنه ربما يريد التحدث مع أخيه على إنفراد فقال:

- طب استاذن اننا بقى. هطلع اشوف مريم
حاول يوسف القيام ولكنه لم يستطع فساعده عبد الرحمن على النوم في الفراش مرة أخرى
وهو يهتف بإيهاب:

- أسنتني يا إيهاب عاوزك في موضوع مهم
أقبل عليه إيهاب وهو يقول بقلقه:
- أستريح بس يا يوسف شكلك تعبان أوى
حاول يوسف الأبتسم وهو يقول:

- الموضوع اللي عاوزك فيه لو وافقت عليه هخف على طول وأستريح
قال إيهاب بأنتباه:

- خير يا يوسف أؤمر اننا عننك ليك
- أنا مش عاوز عننيك أنا عاوز الأغلب من عننك عندك .. عاوز اتجوز مريم
أبتسمر إيهاب في حين قال عبد الرحمن مداعبا:

- تصدق انآ غلطان أني اخضعت عليك .. بقى تعبان كده وعاوز تتجوز

يوسف:

- أصلى بصراحة كنت عاوز أكلم إيهاب في الموضوع ده قبل ما يسافر .. بس قلت أُجل لما
يرفع من شهر العسل بس طالما جه خلاص نأجل ليه
قال إيهاب بتعاطف:

- طب لما تتحسن كده نبقى نتكلم
قال يوسف ب الأحد:

- لا أنا مش هتحسن إلا لما ترد عليا
أطلعت له عبد الرحمن وهو يقول:
رد عليه يا عم خليما نخلص
أبسمر إيهاب وقال:
- أنا مش هلاقي لاختي أحسن منك يا يوسف .. بس لازم أخذ رأيها الأول وكماك عمى لازم
سمع رآيه الأول
قال يوسف على الفور:
- أنا كنت اتكلم معاه قبل كده وهو موافق ومستنوي موافقتك انت ومرير

***
أبدعت مرير بين أحذان إيمان وبكت بشدة وهي تتشبث بها بقوة، شعرت إيمان بالقلق على
اختها فربت على ظهرها ثم أمسك وجهها بين يديها ونظرت في وجهها متفحصة أيه
وقالت بقلق:
- مالك يا مرير.. في حاجة حصلتلك ولا أيه؟ مالك كده لونك مخطوط وأيه الجرح اللي في
وشك ده؟
قالت مرير من بين دموعها:
- مفيش حاجة يا إيمان متقلقيش .. أنت بس وحشيني أوى أنت وإيهاب حسيت من غيركوا
اني ضابعة وماليش حد
أبستهم إيمان وهي تجلس بجوارها وتلف ذراعها حول كتفها وقالت:
- ليه بس .. أومال عمى حسين وعمى إبراهيم وطنط عفاف كل دول مش معاكى
مرير :
- مهما كان مش زيكلوا برضة يا إيمان
تحسس إيمان الجرح في وجه مرير وقالت:
- من أيه ده
قالت مرير بارتباك:
- ابدا اتجرح في مرايا الحمام
وتائعت:
- وبعدين ده حاجة بسيطة يعني بكره يخف

ضمتها إيمان بحب وقالت:
- أحكّيلي بقى عملتي أيه اليومين اللي فاتوا دول..

قاطعها طرقات إيهاب المنغمة على الباب، نهست إيمان وفتحت الباب لبه dhe فدخت مبتسماً
ولكنه بمجرد أن رأى مريم عقد حاجبيه قائلًا:
- أيه ده مالك يا مريم

قالت إيمان على الفور:
- جالها نازلة برد جامدة يوم الفرح .. وطنط عفاف قالته إنها من ساعتها مش عاوزه تاكل

عادا مرحمه تسترخى ثانية وسأّلها نفس السوال عن جرحها فقالت:
- مراعية الحمام الله يسامحها خدتني على خوانه وانا مغمضة عليه

أحتضنها إيهاب وهو يقول:
- وحشتينى أي يا مريم مكتبتي أعرف أنك هتوهشينى أوى كده .. هقولك بقى على خبر

هيفاليكي تاكلى أكل البيت كله

رفعت رأسها من صدره وقالت:
- خير يا إيهاب

قال إيهاب مبتسماً:
- يسوف طلبي مني دلوقتي

أطرقت مريم برأسها وأغمضت عينيها وأضاءت صورته في عقلكها وهو يدفعها للخلف
فانفست بدون وعى منها، نظر لها إيهاب بقلق:
- مالك؟

حاولت مريم السيطرة على مشاعرها وهي تقول متصنعة الخجل:
الفصل العشرون

لا... أنا مش موافقة
نظرة لها إيهاب مندهشة وقال:
-
ليه يا إيمان.. أنت تعرف حاجة عن يوسف تخليكى ترفضى
كانت مريم تنظير إليها بوجه ممتقع وهي تقول:
- لا معرفش حاجة ... أنا بقول وجهة نظرى وخلاص
إيهاب:

طب أيها وجهة نظرك دى يمكن اقتنع بيها أنا كمان
ارتبت إيمان وهي تقول:
- أنا بس خايفة تكون دى رغبة عمى حسين مش رغبة يوسف نفسه
زاد امتعاق وجه مريم وزادت ضربات قلبها بشدة فشكل منهما تفكر بشىء مختلف عن الأخرى
هل رأسه نفيا وقال:
- لا مفتكرش يا إيمان لو كان كده فعلا كان يوسف استنى لما يخف .. وبعدين يوسف قال:
أنت قال لو الده وهو موافق وبعدين احنا كل ده مسمنعاش رأى مريم نفسها
ثم نظر إليها قائلًا:
- ها يا مريم انت أيه رايك؟
قررت مريم حسم الخلاف فجميعهم لا يعلمون ما حدث وهذه الزوجة لن تكون إلا للستر فقط
ويسوف في كل الأحوال مضطر إلى الزواج منها، فوقفت وهي تقول بخفوت:
- أنا موافقة
صاحبت إيمان وهي تلتفت إليها قائلة:
أنت هيلة ولا أيه؟ .. أنتوا شخصيتكم مختلفه تماما عن بعض ومكانش في بينكوا أى عمار أساسا ولا ناسيه .. فجأة كده طاو يتجوزك .. مش تشغلى مخك أكيد عمى هوالي ضغط عليه زي ما عمل معه ..

وبتربت عبارتها وهي تنظر إلى مرهم وايتهاب ثم قالت بعصبية:

- أنتوا حرين .. أنا قلت رأيي وخلاص 

ودخلت غرفتها وتركتهما يتبادلان النظرات الحائرة 

طريق وليد باب غرفة يوسف ودخل مبتسما دون أذن وهو يقول:

- أزيك الظهيرة باب عمى 

ثم وقع بصره على عبد الرحمن فقال مبتهجا وهو يعانقه:

- وأنا أقول البيت نور لى أتاري العرسان رجعوا عانقه عبد الرحمن وهو يقول:

- ما أنت السبب يا خويا 

وليد:

- طبعا ياعم مين قدك لازم تبقى مضايف أنتك رجعت 

أقترب وليد من فراش يوسف وجلس على طرفه قالا:

- ها عامل أبي الظهيرة 

أشاح يوسف برأسه بعيدا وقال بافتراض:

- الحمد لله 

نظر لهما عبد الرحمن وقال:

- طب أروح أنا بقي أشوف حالى 

قال يوسف رافضا:

- لا استنى يا عبد الرحمن عاوزك في موضوع مهم 

وقف وليد متحرجا وقال:

- طب استذن أنا بقى يا جماعة .. حمد الله على سلامتك يا صاحبي 

ثم خرج وأغلق الباب خلفه .. قال عبد الرحمن بعتاب:

- ليه كده يا يوسف أحرجته جامد 

أشاح يوسف بوجهه:

- مبقتش طايقه يا عبد الرحمن بقى عامل زي الكابوس على صدرى 

قال عبد الرحمن مستفهما:

- ليه هو عمل حاجة ضايقتك 

قال يوسف بافتراض:

- تصرفاته كلها بضايقتنى .. أنا مش عارف كنت مصاحبه الزاي 

غير عبد الرحمن مسار الحديث وقال بجدية:
طبق قولها بقى انت عاوز تتجوز مريض بجد ولا ابوك هو اللّي ضغط عليك

أمتقع وجهه وهو يقول:

- وبابا هيضغط عليها في حاجة زى كده

عبد الرحمن:

- طب الحمد اللّه.. عموما أنا كنت عارف أنك بتحبها بس كنت عاوز أتأكد

نظرله يوسف بانتباه قالت:

- وعرفت ازاي

غمز عبد الرحمن له وهو يقول:

- ابوك هو اللّي قالى ..اه يا ندل بقى ابوك يعرف وانا لاء

قال يوسف منهشة:

- بابا قالك أى كده انتى

عبد الرحمن:

- واحنا راجعين من العمره ..قالى أنه حاسس أنك بتحبها

صمت يوسف في شرود فقال عبد الرحمن:

- بس انت الحمد اللّه حاسس أنك بقيت أحسن من أول ما شفتك بكتير.. ما تحاول تقوم كده

معايا تأخذ دش وتنزل الجنينة شوية

خرجت فرحة من شرفة غرفة يوسف وهي تقول:

- هو مين اللّي خرج دلوقتى

عبد الرحمن:

- أنت لسه فاكره يا هانم.. حبك الكلام في التليفونات دلوقتى

قالت فرحة وهي تجلس بجوار يوسف:

- بكلم صاحباتي بقى مش خلاص اطمنا على يوسف الحمد اللّه

رتب يوسف على يد فرحة وقال:

- قوليلى إيهاب عامل إيه معاكى

أبتسمت فرحة في خجل وقالت:

- الحمد اللّه يا يوسف إيهاب أنسان جميل أوى وببحنني جدا

أومأ يوسف في حزن وهو يقول:

- ربة يسعدكوا
يا إيمان متخبيش علينا.. أنت في حاجة بينك وبين عبد الرحمن يابنتى ده أنا أخوكي وعارفك كوس.. أنت من أنتى يعني عصبية كده زفرت إيمان بقوة وقالت باقتضاب:
- لو سمحت يا إيهاب كفاية وبعدين حتى لو في حاجة بيني وبين جوزي مش هقولها لأي حد أبدا ولا حتى لأخواتي قال إيهاب بقلق:
- يا إيمان يا حبيبتي أكيد اللي زعلك منه حاجة كبيرة.. ده أنتوا لسه مكمتوش أسبوع مع بعض.. قولليه أنا ليه طريقة معاه ومتقلقيمش مش هتحق عليه

هتفت إيمان بضيق:
- سبني يا إيهاب لو سمحت عاوزه انام تعبانة من السفر أوى وضع قبله على رأسها وقال بحنان:
- كمان هتنامي هنا.. وتحسيبف شفتكم؟ عموما خلاص أنا مش عاوز أعرف براحتك خالص بس لو احتاجي تتكلمي أنا موجود.. أنا هروح شفتى مش عاوزة حاجة؟

غادر إيهاب إلى شقته الخاصة وهو في حيرة من أمرها، حاول الاتصال بفرحة ولكن هاتفها مشغول داينما، هبط إلى شقته عمه طرق الباب ففتحت له عفاف. قالت مرحبة:

- تعاليا يا إيهاب ادخل
وعند دخوله وجد يوسف يخرج من حجرته وهو متكاً على كتف أخيه ويمشي ببطء قال إيهاب في سعادة:
- أيوه كده يا راجل قوم ورخم علينا تاني أبتسما عبد الرحمن ويوسف وقال إيهاب:
- ها كنتوا رايحين فين عبد الرحمن:
- يوسف هيدخل ياخذ دشم ونزل الجنينة شوية يغير جو.. تيجي معانا؟ إيهاب:
- اجي وانا بيهمني يعني قالت عفاف متسائلة:
- أومال فرحة فين عبد الرحمن:
- في البلكونية جوه بتكلم صاحباتها أوما إيهاب قالا:
دéné يوسف الحمام وجلس عبد الرحمن بجوار إيهاب واستنده إلى ظهر مقعده الوثير وأغض عينيه بحث الأستخرا،، تصنع إيهاب الأمبالة وقال:
- مش عرف يا اخي إيمان بقت عصبية كده ليه
انتبه عبد الرحمن وفتح عينيه والتقت إلى إيهاب قابلًا بابهام:
- ليه حصل إيه؟
مط إيهاب شفتية وقال:
- لما قلت لمرريم على طلب يوسف لفيتها كده اتعصبت وقالت الأتنين طباعهم مختلفة
ثم نظر إلى عبد الرحمن وتفحص في عينيه وهو يتابع:
- وقالت إن ممكن يكون حمبو حسن هو اللي ضغط عليه
هرب عبد الرحمن ببصره وقال بحذر:
- وأيه اللي خلاها تفكر كده
عقد إيهاب يده أمام صدره وتنهد بقوة قائلًا:
- مش عرف أنا أول مرة أشوفها منفعة كده
خرجت فرة من غرفة يوسف فرأتهما يجلسان بجوار بعضهما والصمت هو سيد الموقف
قالت:
- وحدوو
أتلنت إيهاب إليها ونظر لها نظرة شوق طويلة أخفضت بصرها في خجل وهي تقول:
- أومال فين يوسف
قام إيهاب وهو يقول:
- بياخذ دش يا برنسيسة
رفعت حاجيبها وهو تقول:
- بتتردق حضرتك
قال بعثاب:
- لا وتهريج ليه .. هو لا سمح إيهاب أن بتصلك بيكي من بدرى وانت تليفونك مشغول ولا فكرتي تعبيرين من ساعتها .. لالللاا محصلش طبعًا
قالت بعند:
- بكلم أصحابي يا إيهاب بلاشي يعني
- لا بلاشي لىه كملهم بس ابقى أتكرهنا بكلمتين أنا كمان
قالت بدلال:
- طب خلاص متر علش هفتكرك بثلاث كلمات
 أمسكها من يدها وقال لعبد الرحمن:
- طب يا عبد الرحمن عاوز حاجة أهنا ماشين
رفع عبد الرحمن حاجيبه قائلًا:
- أنت مش قلت هتيجي معانا تحت يابنی
قال إهاب بدهشة مصطنعة:

- أنا قلت كده. مش فاكر أصلانا ساعات بتكلم وانا واقف .. أدعيلى ربنا يشفينى
وسار بخطوات سريعة وهو يجر فرحة من يدها وهي تكاد تكون تعدو خلفه لتلحق بخطواته
الكبيرة

***

وفي المساء بينما كانت إيمان لاتزال نائمة، انتبهت على صوت مريم وهي توقفها بهدوء
أعدلت وهي تسس وجهها لترشل آثار النوم عليها فقامت مريم بخفوت:
- كل ده نوم .. أنت مش هتروح شفتكي ولا ايه
قالت إيمان بجدية:

- لا مش هروح
نظرت لها مريم بحيرة وقالت:

- ازاي يعني يابنتى مينفعش
إيمان:

- مش هينفع أسيبك وانت تعبانة كده
مريم:

- لا متنتكليك بيا أنا بقيت كويسة من ساعة ما شفتكوا .. يالا بقى روحي شفتكي
قالت إيمان بسخرية:

- من ساعة ما شوفنتى ولا من ساعة ما عرفتى ان يوسف عازم يتجوزك
أطرقت مريم رأسها بحزن فرعت إيمان رأسها بيدها وقالت:
- أنت مخبة عليها حاجة .. أنت مش مريم اللي اعرفها
صممت مريم فتثبتت إيمان:

- موافقة عليه ليه .. بتحبه ولا ماما اقتعت
هزت رأسها نفياً وهي تقول:

- ماما ماهاش دعوة بالموضوع ولسه أصلا متعرفش أنه طالبى للجواز
قالت إيمان برفق:

- طب حبيتي أمتى ده .. ده أنتوا مكشوش طايقين بعض
شعرت مريم بجفاف حلقها ونغز شديد في صدرها وهي تقول بتماسك:
- حبيته لما عرفت انه يبحبى
تابعت إيمان متسائلة:
- هو قالك أنه بحبيك؟
- أجابتها مريم بجمود:
- ايوه قالى
- ثم شردت وهي تقول:
- قالى يوم فرحك أنت وأيهاب
- سمعت صوتك يدوى في عقلها يزلزلها وهو يقول"أنت متساهليش الحب اللي حبتهوك يا حقيرة".
- فوضعت كفها على ذنبيها بانتفاض بشكل لأرادي ، أمسكى إيمان يديها وهي تقول بقلق :
- مالك يا مريم
- رفعت عينيها وهي تقول بجهاد وكانها كانت تحارب :
- لا مفهك أظهر أن ودنى ملتته شوياً .. أنا هقوم ارتح في أوضيتي
- قضت إيمان ليلتها تصلى وتبتكي بين يدي الله عزوجل وقلبها تعتصره الألماً ، هو حتى لم يسأل عنها ولو لمرة واحدة منذ أن تركته في الأسفل وصدعت إلى أختها، شعرت بكبرياء
- أنوثتها يتحطم على صخرة هذه الزناها غير مرغوب فيها ، وأخذت تدعو و تدعو و ظلت
- على حالها هكذا حتى غفت مرة أخرى وهي ساجدة ، فرأى رؤية أطلقت قلبها كثيرا
- رأت نفسها ساجدة وهي باكية العيون والقلب ثم رأت من بعيد حماماتى في غاية الروعة
- والجمال شفايفها كالثلج من شدة بياضهما يحملان صدفة كبيرة بينهما فوقفنا أمامها ووجدت
- نفسها تهض وتعتى الصدفة المصفولة بالحرير ، طارت بها الحماماتان بعيدا حتى أنت على
- أرض خضراء واسعة مليئة بالزهور والربيعان ، ظلت تشعر وتستشق عبئها وشذاها حتى
- استفاقت من سجودها ووجدت نفسها كما هي لازالت ساجدة، فابتسمت لتلك الرؤية الرائعة
- وشعرت بسعادة قلبية ورضى لم تشعر بهما من قلب.
- خرجت إلى الشرفة لنستند الهواء الطويل وتستنشقه بقوة حتى امتلأت رنتيها بالهواء النقى
- فزفرت في بطق شديد وهي تنظر إلى الأسفل ، وجدت الهواء تحت المظللة في الحديقة واضعا
- يديه تحت رأسه وينظر إلى السماء في شرود

****

تلقى الحاج حسين أتصالاً من أخيه وهو في مكتبته في الشركة فأجابه :
السلام عليكم

الحاج إبراهيم:

عليكم السلام .. أياً يا حسين أنا هروح اتغدى في البيت علنان في ضيف جايلى واحتمال مرجع الشهيرة تاني .. وعموماً وليد مش جا مع سيد هيفض هذا في مكتبى لو احتجت حاجة منه

قال حسين بانتباه:

خير يا أبو وليد مين اللي جايلك

إبراهيم:

.. ده واحد معيد كان في كلية وفاء وجاي يتعرف علينا هو ووالدته وأخوه علنان طالبها

للحجور:

أبتسم حسين قائلاً:

طب مش كنت تقولوا يا إبراهيم واجب ابيق موجود علنان اشوفه أنا كمان ولا هي وفاء

بنتك لوحدك

إبراهيم:

.. أنا مرضت什 اعتكل الشهيرة انت كنت مشغول من ساعة ما يوفس تعب وفي شغك كثير

بقى فوق راسك وخصوصاً أن عبد الرحمن هو كمان أجازة

حسين :

- تعطلى أيه يس يا إبراهيم .. أسمع أنا نص ساعة وإحصلك

أنهى حسين المكالمة ثم أتصل على عبد الرحمن يخبره بأمر الضيف وأمره أن يستعد لاستقباله مع عميه إبراهيم حتى يلحق بهم

صدقت فاطمة إلى عفاف التي رحبت بها فقالت فاطمة:

- والله يا عفاف أنا تعبت من كتر الناس اللي بتيجي لوفاء يارب بقي توافق على ده وتريحنا

أبتسمت عفاف وقالت:

.. طالما جاي عن طريقها يبقى هتوافق....

ثم تابعت :

- هو الحاج حسين وصل عندكوا ولا لسه

فاطمة :

- إياها ياختتي لسه داخل حالا .. يالا بقي هاتى فرحة وإيمان ومرير وتعالوا علنان الست

والدته جاية معاه

عفاف:

طب نواسين حكيم إيمان ومرير ينزلوا

حاولت إيمان أن تأخذ مريم معها ولكنها رفضت وقالت :
- معلش يا إمّان انزلوا انتوا، أنا أصلى تعبانة شوية

إمّان:

- خلاص وانا كمان مش هنزل
قالت مرهم بسرعة:

لا أنزلوا طنط عفاف كميتنا بنفسها كده هترفع وبعدين كمان عيشان وفاء متزعلش توجحت إمّان إلى الطابق الأول حيث شقة عمها إبراهيم الذي نادرا ما توجه إليها، طرقت الباب ففتح عبد الرحمن ووقف ينظر إليها وقالت وهي تتحاشى النظر إليه:

- السلام عليكم
أبتسم قائلة:

- عليكم السلام . تعالي ادخلي

دخلت وألقت التحية على أعمامها وزوجاتهم وفرحة ووفاء التي جلست بجوارها وقالت مداعبة:

- مش كنتي بتنقل على فيونكة أديكي هتلبيسه
ضحكت الفنانة فنّظر عبد الرحمن لإمّان منهشة، كان يتوقع أن تكون خزيئة ومغولي على أمرها ولكنه وجدها تتحدث وتمزح وتضحك، ظل ينظر إليها بتعجب وهو يحادث نفسه:

- أنا كنت فاكرها هتبقى زلاقة ومضاربة مالها كده كانها مصقت أبعد عنها

بعد قليل حضر العريس بصحبة والدته وأخيه وبعد التعارف جلس الجميع في غرفة الصالون الكبيرة ولم يكن يبدو على وفاء أنها هي العروس فكانت كعادتها دائماً تمزح وتركل بسلامة مع الجميع، قال عبد الرحمن للعريس:

- طبعاً أنت بقى يا أستاذ عمّاد .. وفاء كانت مجنن فن الكلية والسكاشن مش كده...

مبتسم حلقها أبدا

قال عمّاد وهو ينظر لوفاء:

- الآنسة وفاء مثال رائع للطالب اللي بيبه بفهم مش يحفظ وبس
ثم تابع بمزاج:

- ومن ناحية بتحب تأخذ حقها فهي بتحا حقها تالت ومتلت وفاء:

- بس بالعدل كده .. مش أنا أول واحدة فتحت موضوع اننا تعمل مقارنة بين الشريعة والقانون الوضع في غير وقت السكاشن للطلبة ضغطت أمها على يديها وقالت لها هامسة وهي تتصنع الأبتسامة:

- هو ده وقتها يا بتهجيلي نقطة وفاء:
- يه يا ماما هو انا قلت حاجه غلط

عفاف:
- دى كانت بابني داوشانا بال موضوع ده كل جمعه لازم تاخذ وقت الغدا كله كلام على الحكاية

قالت وفاء وكانها قد انتهت فجأة:
- ١٠ صحیح

ثم أشارت ايامان وقالت:
- دى بقى ايامان اللي كنت قلتك أنها هتساعدني في الدراسة دي

نظر لها عداد قائل:
- ايه دي بجد ... أشرفت بيك جدا هو حضترتك خريجة أيه

قالت ايامان بجدية:
- كلية شريعة جامعة الأزهر

لفتت عبارتها الأخيرة نظر محمد أخر عماد فقال:
- ماضية الله ... أنا كمان جامعة الأزهر بس أنا كنت قسم تفسير

قالت ايامان بهدوء:
- اهلا وسهلا

محمد:
- اهلا بحضرتك

أقتربت والدة عماد ومحمد بالقرب من ايامان وربت على ظهرها وهي تقول بابتسامة:
- هو أنت عندك كان سنها يا ايامان

٣٢ إلى طنط

قالت والدتها وهي تنظر لابنها محمد:
- ماضية الله ... ماضية الله

أبسم محمد وهو يلقي نظرة أخرى على ايامان قائل:
- بصراحة عماداً خوياً كانت لي وجهة نظر معينة كده في الحكاية دي ... ومكنتش عرف

اقتهع لها ما النفس وفاء أبدعت تتناقش معاه وتفتت بالحجة المناسبة لزماناً ودوقتي

قالت وفاء:

الحق يتبنا يا أستاذ محمد كل اللي كنت يقوله في مناقشاتي مجموش من عندي ده كلام

ايامان بنت عمى هي اللي أقتعتني وحسنتني أني أوصله للطلبة عندنا في حقوق

قال عماد شارحاً:
- وانا كمان أتحمست وقرننا نعمل ندوات ثقافية للطلبة وهيبقى حقوق وغيرها .. الندوة

هتبقى مفتوحة ... ياريت لو تساعديننا في تجميع المادة اللي هنتكته وتتوزع على الطلبة

تحدثت ايامان بطلالة وأريجية وقالت:
- أنا معنيش مانع خالص.. أنا كان نفسي من زمان أساعد في الموضوع ده.. هبقى إن شاء الله ابعث الورق مع وفاء وانتوا بقى راجعوه واكتبوه على الكمبيوتر علشان آنا بحب
  اكتب بخط يدي بحس بالكلام أكثر
  قال محمد وهو ينظر لها بإعجاب:
  - وبعد اذنك يعني لو ممكن حضرتكم تحضري معانا الندوات دى وتشرحى بعض الأجزاء
بونفسك ثم قال وهو ينظر إليها:
  - اصلك عنك طاقة في الكلام ماذآه الله وبتقدر توصلى المعلومة
نظرة محمد الأخيرة وتصرفات ولدته استفست عبد الرحمن جدا فنهض وأخذ مقعده ووضعه
بجوار مقعد إيمان ووضع ذراعه على ظهر مقعدها وممال عليها وقال وهو يضغط حروف
كلماته بضيق موجها حديث ل - محمد:
  - إيمان.. مرأتي .. معنهاش وقت تروح تشرح كفاية عليها هتساعد بالكتابة بس يدوب كده
علشان وقت بينها
وأشار إلى صدره وهو يتابع:
  - ووجوها

تجهم وجه محمد أخو عماد وهو يقول بتيتعمث:
  - أه طبعا مفشي مشكلة
تجهم وجه محمد استفست عبد الرحمن أكثر، إذن فهو صدم عندما علم أنها متزوجة
لم تغل تلك التصرفات عن عينين الحاج حسين الذي كان يتبع بصمت ويراقب ردود الأفعال
قالت فاطمة بنفاذ صبر:
- منور يا عريس.. منوره يا ام عماد مش نتكلم في التفاصيل بقى ولا أيه
أنتهت الزيارة بالأنفاق على ميعاد الخطوبة بعد أسبوع وبعد انصرف الضيوف قال الحاج
حسين وهو ينهض:
- خلاص يا جماعة بقى نتوكل على الله ونعم الخطوبة مع كتب كتاب يوسف ومريم
تفاجأ الجميع بالأمر ماعدا عبد الرحمن وامانة فقالت فرحة بسعادة:
- إنه ده يوسف ومرميم امتى حصل ده
أتسمت أبتسامة عفاف وهي تقول:
  - هو كلمك امتى يا حسين
- كلمني يوم فرح عبد الرحمن وطلبها من أخوها امبارك وإييهاب بلغني موافقتها
ثم نظر إلى إيمان نظرة ذات معنى وقال:
- وفرحهم الأسبوع اللي جاءت خطوبة وفاء إن شاء الله
قالت فاطمة وهي مندهشة:
- فرح كده على طول ولا قصدك كتب كتاب يا حاج
تدخلت عفاف فائلة:
مش هينفع فرح أبدا بعد أسبوع .. مريم لسه متشت نفسه من نازلة البرد اللي كانت

عندها
وقف إبراهيم وقال:
خلاص يا جماعة يكتبوا الكتاب مع خطوبة وفاء وبعدين نبقى نحدد معاد الفرح مفيش
مشكلة
قاطعتهم وفاء بشغف:
- أنا ماليش دعوة بكل الحوارات دى .. أنا اخطبت يا جماعة انتوا مش واحدين بالكوا مني

ليه مسمعتش حد بيزغرت يعني
أنطلقت زغريب فاطمة وعاف مع تصفيق فرحة وضحكات إيمان ووفاء السعيدة

اقترب حسين من إيمان قائلا:
- تعالى معايا عاوزك أنت ومعوك
وانصرف وهو يشير لعبد الرحمن بأن يلحقهما، دخل الثلاثةم غرفة المكتب وأغلق عبد
الرحمن الباب خلفه ، أشار لهما بالجلس في مقابلته ثم نظر لإيمان بصمت فقال عبد
الرحمن:
- خير يابابا
ألتفت له والده وقال بهدوء:
- أنا كان ممكن مدخلش .. وكان ممكن أخذ كل واحد فيكم على جنب واكلمه لوحده .. بس أنا
عازف أنى قاعد قادم اتنين كبار بما فيه الكفاية ثم نظر إلى إيمان قائلًا:
- ولا أيها يا إيمان؟
- أومات برأيسها موافقة فالتفت إلى عبد الرحمن وقال:
- أنت نتم امبارح في الجنية ليه لحد صلاة الفجر وبعدين روحت كملت نومك في أوضة
اخوك؟
نظر له عبد الرحمن بدهشة فهو كان يظن أن أحدا لم يره وارتباك وهو يفكر في رد مناسب
قالت إيمان بسرعة:
- أصل أنا امبارح يا عمي نتم مع مريم علشان زي ما حضرتلك عازف إنها لسه مخفتش
فمحبتهم اسبسها لوحدها وهي كده .. وحضرتك عازف بقى عبد الرحمن بيبه يعقد مع
حوض الورد بتعاته كثر فتلاقيه النوم عليه هناك
أخفص عبد الرحمن نظره ولم يعلق ولكنه في داخله أعجب بكتمانها أسرار حياتهما
الشخصية، هز الحاج حسين رأسه بابتسامة وقال:
- لا براقو .. كان المفروض تخلي كلية حقوق .. خلاص طالما انت قلتي كده أنا مش
هدخل في اللي بيتكوا إلا لو الأمر احتاج لتدخل
دلوقتي بقى أنا عاوزك في موضوع مريم اختك .. وأعتقد إنه مش بعيد عن موضوعك كثير
قالت بصمود:
موضوع إيه يا عمي

حسن:

- أيهام قالت أنك رفضت جوازها من يوسف ولمها ضغطت عليه علشان أعرف أسباب رفضك قالت أنك قلقنت أنه يكون يوسف معندوش رغبة حقيقة فيها. وأنا أعرف أنك أبا للرحمين.

- قال جملته الأخيرة وهو ينظر لعبد الرحمن بعثاب وقال:

- أنت أيهام يا عبد الرحمن؟

نهض عبد الرحمن وهو ينظر لآمان وقال بثقة:

- مفيش حد بيتصب على الجوائز دلوقتي يا بابا واعتقد أنك غلطانة في حكمك يا آمان.

نهضت وهي تنظر إليه وقالت:

- أنت متآكد

هذا ما كان يريد الحاج حسن تمامًا، فتح لهما مجال الحديث عن الأمر بدون حرج وبشكل تلقائي.

ثم قال:

- ها يا آمان لسه مستميفة على الجوائز ولا غير ت'aiike.

ايمان:

- يا عمدي دى حياة مريم وهي اللي تقرر. أنا قلت رأيي وخلاص وهي حرة بعد كده.

حسن:

- بس أنا عاوزك انت كمان تبقى راضية.

ايمان:

- طالما مريم شايفة كده وراضية خلاص. أنا مش عاوزه غير سعادتها.

أبنتم قالن:

- خلاص تقدروا تتفضلو.

خرجت آمان من المكتب، فتحت باب الشقية في سرعة وتوجهت إلى المصعد دون أن تلتفت لنداءات عبد الرحمن الذي فتح باب المصعد ودخل خلفها، ضغط على الأزرار وهو يقول:

- مش بنادي عليكي مبترديش عليها ليه.

صارت حتى توقف المصعد خرجت منه مسرعة وقبل أن تضغط جرس الباب أمسك يدها.

ليمنعها قالن:

- انت خلاص هتعيش هنا ولا أية.

قالت دون أن تلتفت إليه:

- أنا مش عاوزه اككم دلوقتي لو سمحت.

طريقتها استفزته جدا فشعر بالغضب وجدبها من يدها إلى شقتهم الخاصة وهو يقول بحنق:
الفصل الحادي عشر

بمجرد أن أغلق الباب أفلتت يدها من قبضته وهي تتأوه وتقول:

- أيه اللٍى! انعَّم عِلمه ده وجايبني هنا ليه

تغيرت ملامحه في لحظة وعقد يديه أمام صدره قائلاً بهدوء:

- أعمل أيه عاوز اتكم معاكي وانت مش مدياني فرصة

نظرت له باندهاش فلقد كانت تتوقع أن معركة ستبدأ بينهما بعد صفعه للباب بكل هذا العنف لم تكن تتوقع هذا الهدوء، وقد كانت متحفزة ومستعدة للدفاع عن موقفها ولكن طريقته وهدوء المفاجئ ألهمها وأربكها.

ظلت تنتظر له في صمت تحاول استيعاب حديثه الهادئ، أستدار وأغلق الباب بالمفتاح ووضع المفتاح في جيبه ثم التفت إليها مبتسمًا وقال:

- من ساعة ما جيِّنا وانت بتهرب في حاولت اتصل بيكي.. مريم قالتلي نايمة ومишь راضية تصحى .. عرفت أنك مش طاقةني وبحنفة معاكي حق.. بس لو كنت أعرف أنك صحية وشيافني وانا نايم في الجنينة كنت طعتلك أرتبكت أكثر ومازالت علامات الدخيلة على وجهها ووجدت نفسها تقول:
بس مريم مجيبية سيرة أنك اتصلت بيا
قال عبد الرحمن مؤكدًا:
- لا أتصلت بالأمارة مريم قالتلها انها حاولت تصحيحى وانت شديتى الصحدة على راك
ومرديش عليها
وجدت نفسها تنفع قائلة:
- لو كنت عاوز تتكلم معايا كنت طلعت وصحنتى بنفسك لكن انت مصدقت
وضع يديه في جيبه وهو مازال محتمة بابتسامته وقال:
- يغنى أطلع وادخلك الأوضه وانت نايمة ومريم قاعدة برها. بصراحة حسبت انها ممكن تتحرج وكمان مكنش أضمن نتيجة كلامنا هتبقي ايه.. نفرض بقى صوتنا علي ولا حاجة البنت تتعقد من الجواب يعني
قالت وهي تحاول استيعاب الموقف:
- طب ومجتش نمت في بيتنا له لو اللي يقوله ده حقيقي
اتسعت ابتسامته وقال:
- محبتى أدخل الشقية من غيرك.. نزلت الجنينة وقعدت مع نفسى شوية وقعت عينى على حوض الورد وافتخرتك وانت بتنقص الوردة مني.. فضلت قاعد شوية لجيبتك بفكر كل كلمة دارت بيننا ، وكل موقف عجبتني فيه.. محستش بالوقت لقيت الفجر أذن صليت وطلعت
انام في أوضتى لقيت يوسف سهران قعدت معاه لحد ما النوم غلبني جنبيه
كانت أن تنثر تحت وقع كلماته الهدنة ولكنها تماسكت فهي تعلم جيدا أنه لا يحبها ولكنه ربما يكون يفعل ذلك من أجل أرضاء والده الذي شعر بالمشكلة التي بينهما فقالت بجدية:
- خلصت قولتك اللالي عندك.. افتحل الباب بقي خليى أمشى
اقرب منها وهو يقول:
- ومين قالتك أني خلصت كلمى
ثم نظر لها باعتداز قايلًا:
- أنا آسف سامحيني
- ثم لمعت عيناه بمرح قائلًا:

- فكرة لما جيت اعتذر لك قدام المدرسة وقلتلك المسامح كريم
قالت بسخرية:

- ًاه طبعاً فاكهة المسامح كريم أو مهند على حسب يعني مش كده؟

ضحك ضحكات عابثة وقال:

- الله.. ده أنت فاكهة كل كلامي أهو حتى هزارى فاكرى
حاولت أن تخفي ابتسامتها بصعوبة وقالت:

- طب سبني امشي بقى لو سمحت

وقف أمامها قائلًا:

- تمشي فنان هو ده مش بيتكن.. وانا جوزك ..وبعدين أنا اعتذرتك وانت مرديش
قالت بتردد وهي تتنمنى أن يكتب كلماتها:

- انت معملتش حاجة اعتذر وتأسف عليها.. أنت اتصرفت بتلقائية.. واحد مبعرش يتكلم أو
يتعامل مع الناس غير من قلبه.. أبوه غصب عليه بنت عمه.. هنكون أيه النتيجة يعني غير
كده

قبط جبينه بأسى وقال:

- ياه ده أنت شايلة في قللك مني جامد
قالت بضيق:

- لاء أنا مش شايلة في قللك ولا حاجة بالعكس .. أنا تفهمت موقفك وعذرنا .. أنا بس
عبائي الوحيد عليك انك مرفضتش الجوازة اللي أنت مش عايزها دى وآدى النتيجة
حاول الاقتراح منها أكثر وهو يقول:
يا إيمان انت كده بتأسست عليا وعليكي جامد بالطريقة دى.. أنا أبوي مغصبنيش على ولا حاجة وبعدين هو في حذ بيتغصب على الجواز.. دى حتى البنات دلوئتي محدش يقدر يغصبها

جلست إيمان وهي تقول بحزن:

- الغصب هنا أنك تسمع كلامه علسان بتحبه ومش عاوز تزعه مش علسان هو جوزك بالعافية .. بس أنت باستسلامك ده ظلمتني معاك

ثم رفعت رأسها إليه وقد تجمعت دموعها في عنيها قائمة:

- كنت قالتلي وانا اللي كنت رفضت نهائي.. وساعتها مكشش هيزعل منك

جلس بجوارها وحاول مسمح دموها بأنامله فابدعت عنه فقال:

- يا إيمان بالله عليكي بلاش كده.. أنا والله كنت معجب بيكي وبالخلاصك وعلسان كده اتجوزتك

نهضت وقافت بأصرار:

- مفيش داعي انك تقعد تكدب علسان تجبر خاطريلي بالكلام ده.. أنا خلاص قررت انى احتفظ بالشوية اللي باقين من كرامتي وعزة نفسي

قطب جبينه بتساول وهو يقول:

- مش فاهم

إيمان بثقة:

- هنيش زي ما احنا كده فترة وبعدين .. وبعدين نتفصل

نهض قالا بحده:

- نتفصل .. انت فاهمة بتقولى ايه

قالت بأصرار:

- أيوه فاهمة يقول ايه .. وفاهمة أكثر اني مقدرش أعيش مع راجل قلبه لسه متعلق بخطيبته

السابقة

قال بذهول:
انت تقولي أبي! هند دى إنا نسيتها من زمان .. كرهتها وطلعتها من عقلى وقلي ورمتها على طول دراعي .. حتى الوردة اللي كانت عريزة عليا قطعتها و كنت هدوس عليها لمجرد أنها كانت شايلة أسمها

ابتسمت إيمان بألم وقالت:

- لو كنت فعلًا طلعتها من دماغك ونستها مكان قطعت الوردة ورمتها علشان تخفيها من قدماك يا عبد الرحمن .. أنا قلتلك قرارك الأخير .. عن اذنك

ثم توجهت لغرفتها وأغلقت بابها ووقفت خلفه تبكي بصمت، بعد فترة هدأت توضأت وقضت ليلتها في الصلاة والدعاء تشكو بتها وحزنها إلى الله وقضى هو ليلته على الأريكة ينام تارة ويتقلب تارة ويفكر طويلا ويقرر ثم يتردد

صلت إيمان صلاة الفجر وبدلت ملبسها لتنام ، ففتحت الشرفة تستنشق نسيم الصباح قبل أن تنام قليلًا ولكنها سمعت صوت باب غرفتها يفتح فالتفتت فوجدت عبد الرحمن مقبل عليها في تلك، أتفلتت مرة أخرى تنظر للخارج تستنشق النسيم الذي داعب غزتها وبعض من خصالات شعرها برقة ، شعرت بأنامل عبد الرحمن تتنخل خصالات شعرها المتظايرة وتمر خلالها ببطء ، وسعته يقول بحنان:

- ممكن أقولك على حاجة ملهاش علاقة بقرارك ده

قالت بتردد:

- اتفضل

عبد الرحمن:

- ممكن متقعديش تاني قدم حد غريب وتتكلم معاه كده .. أنا محبيش راجل يقدع يبص لمراه كده ويتكلم معاه

ثم تابع بنفس الهدوء:

- وبعدين هو مش المفروض انك متقعديش مع رجالة غير أخوكى وجوزك واعمامك ولا أنا غلطان
أنتهيت ايمان لكلماته، بالفعل تعايشت مع هذه العائلة الكبيره واتبعت عاداتهم وتناست أمر
الاختلاف بين الرجال والنساء ولكنها كان من الواجب عليها أن تفعل غير ذلك بحكم معرفتها
بأمان دينها.
ألفتته إليها قائلة:

- معاك حق متشكره أرى انك نبهني للحكاية دى..حاضر هبقى اخد بالى بعد كده
أزاه غرتها التي حركها النسيم عن عينيها بآنامه وقال بنبرة حانية:

- أصل أنا بصراحة وغير محبش حد يعجب بيكى غيرى والواد الفيونكة ده هو واخوه كان
فاضلهم شوية ويخطبوكي انت

لم تستطيع ايمان أفكاء ابتسامتها عندما استخدم عبد الرحمن نفس تعبير وفاء عن عماد
فقالت وكأنها تدافع عن أبتسامتها:

- هي وفاء نشرت الاسم ده في العيلة كلها
مسج ذراعها بظهر كله وهو يقول:

- متحاوليش ..أنا شفت ابتسامتك خلاص

شعرت بقشعريرة تسرى بجسدها على أثر لمسته الحانية فقالت بخجل:

- طب لو سمحت أنا عاوزه أتام ممكن تنفست بقى
عبد الرحمن:

- أنفست أيه ماتحددى كلمك ..أنفست اقعد ..ولا أنفست أتام

ثم أقترب منها أكثر وقال:

- ولا أنفست أقعد البلكونة

تحركت من مكانها مبتدعة ووقفت عند باب غرفتها قائلة بخجل تحاول أن تصبعه بنبرة
جدية:

- لا أنفست امشى

وأشارت للخارج وهي تقول:
- أنفض روح نام في الأوضاع الثانية

***

أجرى وليد اتصالًا داخليًا من مكتبه قائلًا:
- لو سمحتي يا آنسه علا هاتى البوسطة وتعللى علا;
- حاضر يا فندم طرقت علا الباب ودخلت بخفة، وضعت البوسطة أمام وليد على مكتبه وهويتباعها بنظراته الجريئة وقالت:
- البوسطة يا فندم خدمة تانية وليد:
- ومستعجلة ليه تعالى أقعدى شوية.. عاوزك في موضوع مهم جلست علا أمامه قائلة:
- خير يا وليد بيه وليد باستنكار:
- مش انا قلتك قبل كده بلاش وليد بيه دى تصنعت علا الخجل وقالت:
- آنا آسفة.. مش هقدر أنفذ طلب حضرتك وانادي من غير آلابك كده نهض وليد وجلس أمامها وقال بتشجيع:
- مش هنقدرى ليه يا ستى ..آنا اللي بقولك.. أهنا بنشتغل مع بعض ولازم نرفع التكلفة ببنا ثم مال إلى الأمام قائلًا:
ولا أيه يا علا

نهضت علا وهي تتصنع الأرتباك من اقترابه منها قائلة:

- من فضلك يا أستاذ وليد... أنا محبش كده... عن أذنك

أستدارت لتخرج من المكتب وعلى شفتيها أبتسامه ماركة وهو يزرع بقوة من طريقة صدها
له دائمًا.

وفي المساء كانت علا تجلس بجوار أختها هند التي كانت تسألها بشغف:

- ها وبعدين حصل ايه

نهضت علا وسارت في الغرفة وعلامات الخبث على وجهها وقالت:

- بس ياستى... ونفح نفخة كان هيطر المكتب باللي عليه

أطلقت هند ضحكات عالية وهي تصفع بديها وتقول بإعجاب:

- أنت أستاذة ورئيسة قسم يابنتي

جلست علا يغورر وقالت لأختها:

- طبعا يابنتي... هو احنا بنلعب... ولا أنا حاربت الحرب دي كلها عشان اعرف أشبط في

الشغله ده بسهولة... وبعدين منا لو عملته اللي هو عاوزه هيزه مني ويرميه بعد

شوية... الصنف ده عشان يحب ويفكر في الارتباط لازم يتعذب الأول وريقه ينشف

قالت هند بتفكير:

- أومال يعني كنت بتنصحيني بحاجات ثانية اعملها مع عبد الرحمن ليه؟

أبستمت علا قائلة:

- عشان عبد الرحمن علياته مالووش في الستات... والحاجات دي كانت هتخليه يقدم معاد

الجواز... لكن وليد ده مصيبة... عاوز اللي تديله على دماغه عشان ياخذ طريق الجواز

فهمتي

- بس تفكير وليد ممكن يفكر بتجوزك يا علا

قالت علا بتحديد:
- بكرة تشوفى .. هو صحيح هيتعبنى بس في الآخر اللي انا عايزة هايحصل
قالت هند بغل واضح:

- من ساعة ما عرفت ان عبد الرحمن اتجوز واذا باكل في نفسى .. الراجل الكبير عرف
يضحك عليها لكن انا هدخل العيلة دى يعني هدخلها .. سامعناي يا علاء
ظهرت ابتسامة ماهرة في عيني علا وهي تقول:

- هتدخليها يا هند .. وهتقصى معاهم على ترابيزة واحدة .. وهتبقى خالة ولادهم غصب عنهم
كلهم

****

استيقظت إيمان بعد أذان الظهر، خرجت من غرقتها مترقبة تلتفت يمينا ويسارًا بحثًا عنه
فلم تجد، تنحشت بارتياح توضات وأخذت سجادة الصلاة فوقعت منها ورقية مطوية أخذتها
ويتعمب وفتحتها وقرأت فيها "متنسي صدى تعلو وانت بصلي .. ادعى مراتي تعبت زى
ما بحبها " ، ظلت تقرأها مرات ومرات لا تصدق اهتمامها بها ولا تصدق أنه يحبها،
بالضرورة هو يفعل ذلك من أجل إنجاح علاقتهما الزوجية فقط وليس من أجلها هي
ذهبت لتطمنى على مرير التي تركتها وحدها منذ أمس ، ففتحت الباب بهدوء وأغلقته بهدوء
حتى لا تزعجها إن كانت مازالت نائمة، أقتربت من غرفة نومها قسعت نحيب وهممات،
لم تشعر بها مرير وهي جائسة على سجادة الصلاة وترتدى الإسادة وهي تقرأ في المصحف
وتردد تلك الآية من سورة مرير " فأجابها المخاض إلى جدّ عذبة النثالة قالت ان ليتيتي مثت قبل
هذا كنتُ نسياً منسياً " وظلت تردد " يا ليتيتي مثت قبل هذا وكنت نسياً منسياً " ترددها
وتتبكي كثيراً حتى يه صوتها ..

طرقت إيمان على باب الغرفة حتى لا تفزعها، التفتت مرير إلى إيمان وجهها وكأنه بركة
من الدموع، أقتربت منها واحتمضتها بقوة وهي تقول:

- مالك يا مرير بتعطى كده ليه
مسحت دموعها وهي تقول بابتسامة واهنة

- تصدقى يا إيمان .. أول مرة احس بالآيات كده وانا بقرأها ..

ثم تابعت :
- تصدقى برسى انى اول مرة احس بالسيدة مريم كده وبالللى مرت بيه

جلست إيمان بقربها ومسحت على وجنتيها بحنان وقالت:

- هو ده اللي مخليكى بتعطي يا مريم.. ولا في حاجة تانية؟

هزمت مريم رأسها نفيا ثم قالت بتساؤل:

- هو مين اللي سمانى مريم يا إيمان بابا ولا ماما؟

أبتسنت إيمان وهي تقول:

- عنى كان مرة قالي ان بابا هو اللي كان بيخترننا أسامينا.

ثم تابعت وهي تنظر لمريم بفرح:

- بس انا مبسوطة اوى انك بداتى تحسى بالآيات يا مريم.. ربا يفتحها عليكى بارب اكبر

واكبر

***

دخلت وفاء غرفة ولديد وأستندت على الباب وهو يتحدث في الهاتف، عندما رآها تابع حديث قالتا:

- طب هكلمك بعدين سلام دلوقتي

أغلقت الاتصال والتقت إليها قالتا:

- نعم عاوزه ايه

وفاء:

- مش مكسوف من نفسك.. بقى عبد الرحمن ينزل وإيمان وفرحة.. يحضروا قاعدة الاتفاق

واخويا مش موجود معايا

ضحك بسخرية وقال:
- وهما كانوا يقدروا مهضروش.. دى كنت امك جرستهم وقالت عليهم مش عازين يشوفوا عريسك علشان ببيروا منك.. وبعدين مانى عارفة النظام في البيت ده.. كله لازم يحضر يعني هما موجود من نفسهم من كتر حبهم فيكى

وفاء:

- ولما انت عارف كده مجتش ليه

قال بنفاد صبر:

- مكنش ينفع انا وابووكي نسب الشركة فهمتى ولا اقول كمان

قالت وفاء بحزن:

- انت ليه يا وليد بعيد عنى.. مش زي عبد الرحمن ويوسف مع فرحه.. مش بحس انك

اخويا كده وهمك مصلحتى

زهر بقوة وقال:

- اطلعى من نفوخى يا وفاء.. بلا عبد الرحمن بلا يوسف بلا زفت.. أنا مش فاضيتك

قالت بحزن:

- اومال فاضي بس للبنات اللي بتعرفهم.. ده انا بحس ان عبد الرحمن بيقف جنبي اكتر منك

قام وهو يدفعها خارج غرفته:

- طب خاليه ينفعك بقى ياختى

***

دخلت عفاف غرفة حسين وهي يبدو عليها الحيرة وجلست بجواره وهي تقول:

- أنا مش فاهمة حاجة يا حسين.. مريم مش عاوزه تستعد لكتب الكتاب خالص.. اقولها يابنتى لنزل نجيب الفستان تقولى هلبس فستان إيمان.. اقولها نتفق مع الكوافيرة تجييك انت ووفاء تقولى تيجي لوفاء بس انا مش حظ حاجة في وشي.. معقول دول كتب كتابهم بعد يومين!!.. للاالا ده في حاجة كبيرة ولازم اعرفها.. الحكاية دى مش داخله دماغى أبدًا
شعر الحاج حسن بالقلق فهو يعلم أن زوجته ستظل تضغط على مريم أو يوسف حتى تعلم
سبب واحد لما هم فيه الآن، نظر لها باهتمام وقال:
- أنا هقولك بس منقوليش لرميم انك عرفتي حاجة.. ماشى يا عفاف
أومأت برأسها قائلة:
- طالما عارف قولى ورحنى وانا مش هجيب سيرة
مرم صحيح موافقة على يوسف وصحيح بتحبه وهو كمان.. بس اللي عامل فيها كده انها
قلقانة لتكون بموافقتها دى بتنفذ خطة امها
صممت عفاف بتفكير وقالت بحيرة:
طب وبعدين.. الحلال هيفضل كدة ولا أيه
هذ رأسه نفيا وقال بجديدة:
- لا طبأ.. انا هطلع اكلمها وهقنها.. واشيل من دماغها أحساسها بالذنب اللي هي حاسة
بهد.. وان شاء الله تبقى كويسة.. زيها زى اى عروسة
نهضت عفاف وهي تقول بارتياح :
- ربنا يصلح الحلال بارب

***

جلس بجوارها في شقتهما منفردًا بها وهو يرتب على يدها قائلًا:
- أم عبد الرحمن بتقولى انك مش عاوزه فستان فرح ورافضه الكوارفية تجيلى وفاء
نظرت له بانكسار وقالت:
- معشر ياعمي مش عاوزه فستان ولا حتى عاوزه فرح
قال بحنان:
- أنا فاهمك يا مريم وحاسس بيكي .. بس لازم تأخذي بالك ان أنا بس اللي فاهمك .. لكن
الناس اللي حوالينا مستغربين من اللي بيحصل .. وانا مش عاوز حد يقعد ينكرش ورا
تصرفاتك يا بنتى
قالت بأسى:
- يعني فيه يا عمي .. أعمل ايهم يعني ..
- حاولى تبقى طبيعية وطاعوي مرات عمك .. ولو حتى من ورا قلبك يا ستى .. أنا مش عاوز
حد يقعد يقول ليه ومش ليه .. فاهمانى
قالت باستسلام:
- حاضر يا عمى منا خلاص مبقيش املك حاجة غير كده .. أنا بس ليا عندك رجاء .. يوم
كتب الكتاب الله يخاليك مش عاوزه اشوفه .. إيهاب يبقى يطلق على الدفتر وأنا همضي عليه
وخلاص
أرسل تنهيدة قوية وقال:
- يا بنتى مينفعش .. حتى لو المآذن وافق هنقول للناس أيه .. العروسة مش عاوزه تشوغ
العريس ليه ..
ثم تابع بتفهم:
- أنا عارف انك مش طايقه ولا طايقة تشوفي وشه .. وانا كمان والله مبقيش طايقه في
البيت .. بس هتعمل أيه بس لازم كل واحد فيها يجيى على نفسه شوية عشن الأمور تعدى .. ده
انا كمان مش هألفب منك هتشوفه وبس لا .. ده أنا كمان هطالب منك تضحكي في وشه وترسمى السعادة على وشك ومتنسيش انكم هتقدعوا لوحدكوا شوية بعد كتب الكتاب
أنتفضت قائلة برجفة سرت ف طول جسدها:
- لا يأ عمى .. لا أنا مش ممكن اقعد معاك لوحدي أبدا .. حتى لو قلتونى
قال مطمنا:
- هو انت مش بتنقص في عمك ولا أيه ؟
قالت مريم بخفوت:
- العفو يا عمي طبعا بنت في حضرتك بس...

قاطعها:

- مفيش بس .. أحسنا مش عاوزين فاطمة مرات عمك تاخذ بالها من حاجة.. حاكم دى لما بتاخذ بالها من حاجة بتفضل تحرك وراها لحد ما تجيب قرارها .. أنت هتقعدي معاه في الجنية مش فثك مقفول .. وعلشان تطمئني أنا هبقى وافقت في بلكونة أوضتي وشاييف كل حاجة .. ده غير أن وفاء وخطيبها هيبقوا قريبين منكوا .. يعني مفيش حاجة تخليك تقلقى

شعرت مريم أن حمل من الجبال وضع على صدرها تكاد تتنفس بصعوبة كلما تخيلت نفسها تجلس معه بمفردها فقائلت بصوت أشبه بالبكاء:

- حاضر يا عمي بس بعد أذنك قول لطنط عفافاً عاوزه بعد ألبس فستان إيمان .. مش هعرف اجيب فستان محترم زيه .. إيمان ساعتها لقيته بالعافية

ابتسم قائلًا:

- أتفقنا .. بس اسمعى كلامها في حكابة الكوافيرة دى .. وارسمى الضحكة على وشك يابنتي

قالت مريم باستسلام:

- حاضر

***

وفي المساء عادت إيمان إلى شقتها .. أغتلست وصلت العشاء ونقلت ملبس عبد الرحمن كاملة إلى الغرفة الأخرى التي نام بها بالأمس ، جانتها رسالة منه على هاتفها النقال ففتحتها وابتسمت رمغًا عنها وهي تقرأها "يا إيمانى انا كلي حيرة .. ونار .. وحيرة .. وشوق ليك .. نفسي أهرب من عذابي نفسى أرتاح بين أيديك 

أعدت طعام العشاء لـ عبد الرحمن وبمجرد أن سمعت صوت سيارته هرولت إلى غرفتها وأغلقتها وأطفأت المصباح وتدثرت جيدا وتصنعت النوم.

دخل عبد الرحمن المنزل فوجد الطعام معد على المائدة والجو يسوده الصمت والهدوء ، بدل ملبسه وطرق باب غرفة إيمان طرقات خفيفة لم ترد عليها ، فزادها بتصميمه ، نهضت فوقفت خلف الباب وقالت:
- نعم في حاجة

عبد الرحمن:

- ممكن تفتحي.. في حاجة مهمة عاوز أخدها من جوه

- أنا نقلتكم كل حاجتكم في الأوضاع التانية

قال وهو يصنع الجدية:

- لاء في فردة شراب مش لاقيه.. أكيد في الدولاب عندك

صدقته وذهبت تنظر في خزانة الملابس للتأكد ولكنها لم تجد شيء، عادت مجدداً قائلة:

- ملقش حاجة

تحدث بنفس النبرة قائلاً:

- أزاي يعني.. أنا متأكد انها جوه.. أنا محتاجها بكرة ضروري .. لو سمحتي افتحي

وقفت إيمان مترددة ثم ارتدت إسдал الصلاة وفتحت الباب ببطء، رسم على ملامحه علامات الحنق وهو يدخل الغرفة ويقول:

- مش معقول كده.. أقف ساعة برة علشان شراب .. أومال لو كانت فائنة كنت وقفتيني قد

أيه !

قالت على الفور:

- أنا دوريت كؤس وملقش حاجة ولو مش مصدقتي شوف بنفسك

وقف أمام خزانة الملابس ينظر بعدب ثم قال:

- مش موجودة .. وديتها فين

قالت بدهشة:

- منا قلتلك مش هنا مصدقتنيش

عبد الرحمن:

- طبعا مش مصدقك.. شكلك كده طمعتني فيها.. طب كنت قوليلى وانا كنت هجبلك
شعرت بنيرة المزاح بدأت تتسلل في صوته فعلما أنه اخترع قصة الجواب ليسدخل ويتحدث معها فقالت بجدية:

- لو سمحت افضل عاوزه اتام

كنت ذراعيه فوق صدره وقال بابتسامة:

على فكرة لو بقتي على طبيعتك هيبقي احسن وانا يا ستى مش هادخل الأوضة من غير ما استاذن.. لكن تقلعي الباب والحركات دى مش حلوة.. بحس كدة اتك خايفة مني

لم ترد عليه فقف أمامها قالت:

طب بلاش كل ده دعتيلي زي ما طلبت منك

قالت وهي تشيح بوجهها:

أيوه دعتلك ربياً يرزقك بزوجة تحبها

اقترب وهو يقول:

طب ماهو ربياً يرزقني بيعيها خلاص الحمد الله

أبسمت بسخرية مريرة وقالت بجدية:

كل اللي يتحمله ده مالوش لازمة وفر على نفسك مجهود انك تحاول تقنعنى بحاجة مش موجودة.. أنا قلتلك ان قررت ومش هرجع في قرارى .. ولعلك انا من بكره هلم حاجاتك كلها وارفع اقعد مع مريم أنا مش هقبل على نفسي ولا على كرامتي اكتر من كده

وقف ينظر إليها بصمت للحظات قبل أن يقول بهدوء:

بس انا مش مصدق.. أنا متأكد انك بتحبينى وعازى تعليشى معايا.. زي ما انا متأكد أنى

عايز اكمل حياتي معاكى

سيطر عليها الإفعال وهي تقول انعداد:

أنا قررت وخلاص.. وكلاً مى ده مفيهوش راجعة يا عبد الرحمن

بادلها نفس النبرة العنيفة قالتاً:

كارك دى تليه وتشربى ميته
قالت بدهشة:

- يعني أيه

اقترب أكثر وأمسك وجهها بين كفيه قائلاً:

- يعني انت مراتي وتهفضي مراتي لحد ما اموت .. أنتي هنا

قالت بانفعال:

- يعني أيه هو بالعافية

أغلق الباب وهو يقول:

- أيه بالعافية .. أنا مش هصر عليكي أكثر من كده .. أنت دماغك ناشئة .. وبعدين أنا عاوز أفهم انت لى بتبليسي اسدال الصلاة قدامي .. هو أنا مش جوزك ولا أيه ..

أتجه إلى خزانة ملبسها واخرج منامة قصيرة تخصها ومده يده به أمامها وهو يقول:

- ده بيعل أيه في الدولاب .. مبشوفش يعني الحاجات دى ..

ثم تابع بلهجه أمره:

- اتفضلي البسي ده حالاً

لم تصدق إيمان ما يحدث .. لم تكن تتوقع بأنه سيثور لهذه الدرجة وينفعل هكذا حتى يخرج عن أطار هدوءه المعتاد بهذه الطريقة .. ظلت تنظر في ذهول ووصمت فوضع المنامة على المقعد وأمسكها من يدها وأوقفها أمام المقعد وأشار إليها محرزاً:

- أنا هخرج بره خمس دقائق .. لو رجعت لقيتك مش لابساه هلبسهوك أنا نظرت له وهو يغلق الباب خلفه ولا تكاد تصدق ما يحدث .. لم تمضى ثوان حتى طرق الباب بقوة أفزعتها:

- ها خلصتى ولا آجي اساعده

قالت بخوف:

- حاضر حاضر .. هخلص اهو
تناولت المنامة ونظرت إليها بارتعاش وتقول:

- لا مش ممكن البس ده ..مش ممكن ..أعمل ايه بس ياربيَ

هوت إلى المقعد وهي تنظر لصورتها في المرأة بحيرة وخوف ..حاولت أن تبكي لعله يرآف بحالها ويتركها ..ولكنها تعجبت من نفسها وهي تقول:

- هو مفيش دموع بتنزل ليه

اعتصرت عينها كالأطفال دون جدوى ..حاولت أن تتذكر اسوء ذكري في حياتها لعلها تبكي ولكن لا دموع أيضا ..خفق قلبيها على صوت طرقاته القوية وصوته الجهورى من الخارج صاحبا:

- الخمس دقائق خلصوا يا آسه !

انتفضت وهي تبدل ملبسها بسرعة وتقول:

- حاضر حاضر

****

الفصل الثاني والعشرون

أنتهت في سرعة من أرتداءه ونظرت مرة أخرى في المرآه وقالت:

- ينهر مش فايت .. أنا مش ممكن اطلع كده أبداً

فتح الباب فجأة وهو يقول بحنق:

- بقالك ربع ساعة بتلبسي

أخذت اسدل الصلاة واحتضنته على صدرها لتخفي جسدها .. تضرج وجهها بحمرة الخجل في ثواني ولم تستطع أن تنظر إليه مباشرة وهي تقول بتلثم:
- أنا لسه مخلصتش لو سمحت اطلع على ما أخلص
اقرب منها قابلأ:
- لا شكلك خلصتي والله...
قالها وهو يجذب الإسدى من بين يديها فشذهت ، نظر لها يتفحصها بإعجاب وقال بمزاح
وهو ينظر لعلامات الخجل والخوف البادية عليها ثم قال بمزاح :
- متخافش انا هتجوزك مش هتخلى عنك أبدا
قالت بحق دون أن تنظر إليه:
- حرام عليك عامل فيها كل ده وواقف تهز
تصنع الدهشة قانتلا:
- أنتِ هاتتبلي عليها ولا أيه...هو انا لسه عملت حاجة
وأخذ يدور حولها وهو يقول:
- بس انا مكتنش اعرف انك حلوة أي كده
تحقق قلبها بشدة عندما شعرت بيده توضع على كتفها وهو يقول:
- تعالى
تصورت انه سيأخذها في اتجاه ولكنه خيب ظنها وأخذها خارج الغرفة حتى وصل للمائدة
التي وضعت عليها طعام العشاء وقال بلجنة آمره:
- اقعدى
جلست وهي تنظر له بدهشة وقالت :
- جايبني هنا لىه
جلس أمامها على طاولة الطعام وبدأ في تناول طعامه وهو يقول :
- جايبك تاكلي معايا.. أصلى نفسى بتنفتح وانت قاعدة قدامي وانا باكل
تملكتها الدهشة وهي تقول:
يعني رعبتي كل الرعب ده علشان آجى اقعد معاك وانت بتناك
قال مداعباً وهو يتناول طعامه:
وانا اللي فاكرك مودبة.. اومال انت افكرتى أيه
تحركت لتنهض في انفعال ولكنه أمسك يده وهو يضحك وجذبها لتجلس مرة أخرى وهو
يحاول السيطرة على ضحكاتها
وهي تشيح بوجهها عنه في غضب ، فوضع كفه على وجنتها وأدار وجهها نحوه وقال
بابتسامة واسعة:
- أسمعى بس.. بلاش الانفعال الزائد ده..
جلست وهي تنظر له بعدم فهم فقال وقد استعاد جديته وهدوءه:
- لو كنت عرفتى كويس كنت هتعرفي انى مش ممكن اجبرك على حائزة زي كده.. أنا
عملت كده علشان اصفي الجو بينا.. وكل اللي انا عملته ده كان هزار.. لكن انا عمري ما
المسك غصب عنك أبداً
زادت نظرات الحيرة في عينيها فقال برقة شارحاً:
- صممت تلبسى كده علشان تاخذي عليا وتقعدى قدامي براحةك وتحسي انى جوزك.. متبقيش خايفة مني ولا خايفة من دخولى عليك فجأة
همست بحيرة:
- بس كده؟
- أوما برأسنه في مداعبة قائلاً:
- أوعى تفهمينى صح
أرادات إيمان النهوض مرة أخرى ولكنها وجدت نفسها تقول:
طب اتفصل كل وخلصنى خلينى اقوم انا بردانه
اقترب بمقعدها منها وقال بهمس:
- طب ما انا ممكن ادفيك
أبعتذت وهي تقول محذرة:

- عبد الرحمن

قال على الفور:

أيه يا إيمان في أيه.. أنا قصدت أقوم اجيبلك الدفاعة.. انت كل شوية تفهميني صح كده وضعت يدها على خدها وتصنعت أنها تحرك شعرها بيدها لتحفي ابتسامتها

***

مضي اليومين ووقف يوسف أمام مرتآه يرتدى حلته السوداء وهو شارد الذهن مشت الأفكار، يشعر برهبة خفية من لقائها، كيف سينظر إلى عينيها، كيف سيواجهها عندما يخلو بها، ماذا سيقول، وكيف سيبدأ، هل يبدأ بالإعتذار، أم يقبل يديها ورأسها لتسامحه، نفسه لم تتركه ظلت تحدثه: "لم تكن آنت المذنب الوحيد .. هي التي دفعتك لذلك دفعا .. ولم تكن آنت الوحيد .. هناك ولد والشابان الذي استقلت سيارة سلمي بصحبتهم والمكان الذي ذهبوا إليه .. هل نسيت كل هذا".

جلس على المقعد وهو ينظر لصورته بالمرآة وكأنه يحادثها قائلا بحيرة:

- بس إذا أتاكذت .. أنا كنت أول واحد

حادثته نفسها مرة أخرى "نعم كنت آنت الوحيد .. ولكن كنت الوحيد الذي انفع هكذا.. أما البقية فكانوا حذرلا.. وهي استطاعت أن تفعل كل شيء دون أن تؤذى نفسها"

وضع يديه فوق رأسه، شعر بأنه سيذهب عقله، خرج للشرفة ووقف ينظر للسماء وقد تجمعت الدموع في عينيه قالتا:

- يااااادرب .. يارب بصرني بالحقيقة .. هتجنن

****

أبعتذت وفاء بقصتها المميز الرقيق بلونه الوردي بينما ارتدت مريم فستان العقد الذي ارتدته إيمان في يوم عقد قرانها .. كان في غاية الروعة علي جسدها وبساطته واحتشامه وبساطة زينتها أعطتها مظهرًا ملائكًا، تحركت بصحبة إيهاب وهي ممسكة يده كالطفلة
التي تتشبث بأنبيها في الزحام مخافة الضياع، أنتجت لها إهاب مداوعًا وقد شعر بأصابعها تقبض على يده بقوة وترتعش:

- مالك مرعوبة كده ليه؟

هزت رأسها بشكل عشوائي، لم تجد كلمات ترد بها على دعابته، لأول مرة تستقل المصعد وتشعر أنها يأخذها للجحيم لا إلى الطابق السفلي، ارتفعت قلوبها بشدة عندما توقف المصعد معنا انتهاء رحلته، تحرك إهاب خطوته للخارج وهي تتابع ومازالت ممسكة بيده وبمجرد أن وقع بصرها على الشقة مكان الحادث تجمد قدمها واصفر وجهها وصادت بها الأرض، أسندها إهاب ولحقت به إيمان التي كانت تنتظرها بالأسفل وهو يقول في قلق:

- مالك يا مريم؟

أشاحت بوجهها بعيدًا عن أكثر مكان تكرره على ظهر هذا الكوكب وهي تقول في اضطراب شديد:

- مفيش حاجة.. بقالى كثير بس منزلتش في الأساسير .. دوخت شوية تقدم حسين منهم وقال لإهاب وهو يرسم ابتسامة مبهجة على شفتيه:

- عن انذك بقى العروسة دى تخصصى ..

أخذ يدي مريم وأسندها إلى يديه ورتب عليها بحنان، كان يعلم أنها المرة الأولى التي تتحرك فيها مريم وتهبط إلى الأسفل، كان يعلم بأنها لن تمر على مكان الحادث مرور الكرام، كانت الخطوات بطيئة وهي تبتكر كل صوت وكل حركة مرت بهما في هذا المكان الذي لم يعد يحمل إلا الألم.

أتجه بها حسين إلى حيث ينتظرها المأذون تحت مظلتهم ورأته لأول مرة منذ الحادث، في البداية لم تعرف عليه لأول وهله، كان وجهه شاحب للغاية وكان الأيام مرت عليه سنوات طويلة، تفرست ملامسوماً بلغ واضح وكادت أن تتحرك من مكانها تجاهه دون وعي، ولكن حسين قبض على يديها بقوة، كانت يدها باردة كالثلج وترتجف من الأفعال.. همس في أذنها:

- الناس كلها مركزة معاكى اقعدى هنا ومتبصيلوش..
جلست بجانبه وهو مازال ممسك بيدها وبدأ المأذون في إجراء مراسم الزواج، نهض يوسف ليمضي على الأوراق فخفف نظرة سريعة إليها حتى انتهى ووضع القلم مكانه، وأشار لها العريف أن تأتي لتدلي الأوراق بتوقيعها ففعلت ثم وضعت القلم وعادت بجانب عمها، أنتهى المأذون قائلاً:

- زواج مبارك إن شاء الله

أنطلقت الزغاب محمد معلنة ارتباط جديد في الأسرة ولكنه من نوع خاص جداً

ربت عبد الرحمن وإيهماب على كتف يوسف وعانقه واحدًا بعد الآخر ومهنيين له زواجه وكذلك فعلت فرحة ووالدته وعمه إبراهيم وهناته إيمان ووفاء بابتسامة، ثم أقبلوا على مريم يعانقونه وينقلنها وهي تجميلهم بابتسامة خاوة ضائعة .. مرتعشة

أقرب ولد من يوسف ليعانقه ولكنه ابتعد عنه واكتفى بالمصافحة فقط، نظر له ولد بحنق ثم أقرب من عبد الرحمن قائلًا:

- هو أخوك بيعملني ناشف كده ليه هو أنا دوستله على طرف

ربت عبد الرحمن على كتفه قائلًا بمزاج:

- معرض بقي عريس لازم نستحمله

كان عبد الرحمن يحادثه وعينيه لم تفارق إيمان وهي تجلس بين مريم ووفاء وتداعيها بينما جلس عماد بجوار وفاء وشرع في وضع خلخ الخطيئة في أصابعها فهمست لها إيمان

- مينفعش يمسك أيدك دلوقتي ده لسه خطيب مش زوج

همست لها وفاء:

- طب والعمل

قاطعهم صوت عماد:

- هاتى أيدك يا وفاء علشان البسك شبكك

نهضت إيمان وهي مبتسمة وقالت له:
ثانية واحدة يا عريس

واتجهت إلى والدة عمام وقالت لها:

- تعالى يا طنط طسمحتي

أخذتها وأجلستها بجوار وفَاء وتناولت الطلب القطيفة التي تحوى خاتم الخطبة وأعطتها لوالدة عمام وهي تقول لها بمرح:

- لو سمحتي يا طنط لبسيها حضرتك .. مُعَش بقى معندنش بنات بتسبيه يمسكها يا فوزية

ضحك الجميع ونظر لها محمد أخو عمام بإعجاب شديد يكسوه الحزن وهو لا يشعر بنظرات عبد الرحمن الذي كان يتابعها عن بعد، شرعت والدة عمام في وضع الخاتم في أصبع وفَاء وانطلقت الزخارف مرة أخرى.

تقدم عبد الرحمن من إيمان وجذبها بعيدا ولكن برفق، وقف بجوارها قائلاً بعتاب:

- ممكن تقعدى على جنب وتبطلي تتمشي قدم كل الناس كده

قالت إيمان بتلقائة:

- أنا مش بتمشي أنا كنت ...

قاطعها بحراق:

- ولا كنت ولا مكانتش .. خالى الفرح ده يعدى على خير متخالنيش ارتكب جريمة

ثم نظر إلى محمد بطرف عينيه وقال لها:

- أنت مش شايفة اللي عمال يبصل ده

نظرت إيمان إلى حيث ينظر، حاولت أن تخفي ابتسامتها وهي تقول بلا مبالاة:

- ينص ولا مبصص وانا مالي

وقف أمامها ليَجب عنها الرؤية قائلاً بغضب:

- متخالنيش أطلوك فوق وافقل عليكي .. أنت تفضلي في أيدي لحد ما يغور من هنا
وضعت يدها في خصرها وقالت بلا مبالاة:

- زى ما تحب

عاد بها مرة أخرى ولكنك لم تترك يدها، ظل ممسكا بها بتملك وأجلسها بجواره وهو ينظر لـ محمد نظرة حادة جعلته يصرف بصرا عنها طوال الحفل.

لم يترك حسین يد مریم أيضاً، ظل بجوارها يرتب على يدها ويطمئنها، وكان يوسف يجلس بجوارها من الطرف الآخر ولكن بعيد عنها نسبيا دون أي تلمس، لم تنظر له أبدًا.

ومازالت ترسم إبتسامة باردة على شفتيها كأنها صورة مجسمة بلا روح.

تفاجأت مریم بحضور سلمى التي اقتربت منها وقبلتها ببرود قائلة:

- مبروك يا عروسة .. زعلاته منك يا وحشة كده متعممنيش

بادلتها مریم القبلة الباردة دون أجبابة فاعتدلت سلمى ومدت يدها لتصافح يوسف قائلة:

- مبروك يا عريس

نظر لها باحتقار دون أن يمد يده فأعادت يدها مع احتقان وجهها ونظر الناس إليها واتخذت مكانًا بجوار ولد الذي أشار لها أن تأتي بجانبه .. همس لها:

- متزعليش .. بكرة هطلعه على جنته

قالت ببرود:

- أهو كلام .. قلتلي كده المرة اللي فاتت ومعملتش حاجة

قال بخفوق:

- ومين قالك انى معملتش .. هى بس مظلمتش معايا بس اوعده هتتعرض

وقفت فرحة بجوار إيهاب وقالت بطفولية:

- أنا متغاظة .. عازوهي البس فستان فرح تاني ماليش دعوة عازوته نتجوز تاني

قال إيهاب موافقًا:

- من عنيا يا حبيبتي أوعده هتجوز تاني واعزمك
ضربته على كتفه فوضع يده على كتفه متألماً وهو يضحك:
- أهاليه على مفترض أن تجلس بس الوقت مع خطيبها في الحديقة قريب من مريم ويوسف، بينما كان حسين آخر من ينصرف ويترك مريم ولكنها أطلقت على ذراعه:
- قال يجوز عليها قال، أنا كنت أدحك لف ذراعه حول كتفها وقال ضاحكا:
- احبك يا مجنونة.

***

أنتهى الحفل وسمح إبراهيم لوفاء أن تجلس بعض الوقت مع خطيبها في الحديقة قريب من مريم ويوسف، بينما كان حسين آخر من ينصرف ويترك مريم ولكنها أطلقت على ذراعه:
- ماتميشيش يا عمي أطرق يوسف برأسه وسمع والده يقول لمريم مطمئنا:
- متخافيش

ثم التفت إلى يوسف ناظراً إليه بحدة وهو لا يزال يوجه حديث لمريم وقال:
- أنا واقف في البلكونة وعينيا عليك لحد ما تطلعي شقتك.

ثم انصرف وتركهما بعد أن سمحت له على مضض، لم تعد تحملها قدماها فجلس قبل أن تسقط، شعرت بأطرافها المتجمدة وألم فى معدتها وهو يجلس أمامها وينظر إلى الفراغ وطال الصمت، تملك جسدها قشعريرة فلفت ذراعيها حول جسدها وكأنها تحتضن قلبيها وتطمئنه كعصفور طويلاً تحت رخات المطر ووقع على ذراعيها في أجهاد شديد يخفق.

في ألم ووحدة

ظف يوسف أنها تشعر بالبرد فأخذ سترته التي وضعها من قبل على المائدة أمامه ومد يده به إليها قائلًا بصوت مرتفع:
- خدى ألبسي ده، شكلك بردانة.
نظرت لصبرته ثم نظرت إليه باشمنزاز قائلة بتغرف:

- أخاف المسه ينحني

كلمتها كانت ثقيلة على ذنيه، ولكنه لم يرد، وضع السترة بجواره متممماً:

- استغفر الله العظيم

قالت على الفور وقد يد وجهها يشتعل بغل:

- يتعرف ربنا أو يا ندل؟

أتلعت ريقه في صعوبة وشعر بجفاف حلقه، وضع رأسه بين يديه وهو يزفر بقوة.. فقالت:

- ياريت لما تنفس تائي تودى وشك الناحية الثانية علسان متوهش الهوا اللذي بنفسه

شعر باستفزازها له فقال وهو يضغط على أسنانه:

شعر بالكلام ده مالوش لزوم

قالت بحقد:

- إن شاء الله ربنا هينتقم لي منك يا حقير

أشار لها يحذرها قائلًا:

- شوفى .. أنا كنت ناوي أتأسفلك واستسمحك .. بلأش تستفزئنى علسان متضطرنى أرد

عليك رذ مش هيعجبك

قالت باستهزاء:

- كمان ليك عين تتكلم ..أما بجح صحيح

لم تكن تعلم مريم ما هذه الجراحة التي تملكتها وهي تتحدث معه، ولكن كل ما تعلمه أنها

بمجرد ما خلت به شعرت بكمية حقد وغل لا مثيل لهما ، بل وبحثت بنظرها على الطاولة

لعلها تجد سكين أو مشبه ولكنها لم تجد فقرر دحبه بكلماتها، كانت مطمئنة بأن عمها

يرافقهما من بعيد ووفاء وخطيبهما بالقرب أمنهما فشجعها ذلك على الإسترخال في أهاته

وأشباع حاجتها في تمزقته وقتله بعبادتها.
أشاع بوجه بعيداً عنها وهو يحاول كتم غيظة وسيطرة على انفعالاته، فهو يلمس لها العذر في كل ما تقول وتفعل، ما فعله ليس بهيناً، فما جذور الإعتذار في مقابل الجريمة التي أرتكبها قرر أن لا يرد عليها مهما قالت، صمتها استقرها كثيراً فهى لم تنتهى بعد من أخرج ما داخلها من لعنات عليه، ولم يشفى صدرها مما يعمر بداخله من حق وغل تجاهه فكانت بسخريه:
- لا واصحاً بباركلك...
ثم نظرت له باحتقار وقالت:
- فاكرك بنى آدم
ضرب الماندة بقبضته في غضب والتفت إليها قائلًا:
- يابنت الناس بطلى تستفزني. أذا ماسك أعصابى بالعافية
قالت بسخريه:
- ده على أساس أنك عندم زى البنى آدمين
قال بلحظة حادة:
- أوعى تفتكري أن أنا علشان ساكت ومش عاوز اتكلم أنك هتستضعفين وتهزى فيا براحتك لاء. أنا ساكت علشان خايف علىك. أذا لو اتكلمت هاجر هك. أنا مش غلطان لوحدة يا هامه. ومتعمليش عليا طاهرة. أنا كنت بشكوكك بعيني وانت واقفه مع راجل واتنين كل واحد فيهم ببيصلك كأنك كنت في حضنه من شوية. قدام باب الكلية وفي فرح اختك .. كل ده كوم والسفالة اللي كنت بتعمليها مع وليد كوم تائي
قالت بانفعال مكتموم:
- أخرس يا ندل .. كمان بتشوه سمعتى. مش كفاية اللي عملتها فيا
فبض على يدها بقوة قائله:
- أنا لو كنت ندل كنت مشبت من البيت وسافرت أى مكان ومكنتش اتجوزتك. مكنش هايهمين غضب ابوي على مانا ندل بقى .. لكن إنا ندمت على اللي عملته وتو بت لربنا وكان لازم استر عليك علشان ربا يقبل توبتي .. الدور والباقي عليك .. شوفي نفسك قبل ما
تتهمينى بالحقارية.. على الأقل أنا عملت كده وانا شارب مخدرات تغيب عقل بلد.. لكن انت
كنت بتعمل اللي بتعمليه مع وليد ومع غيره وانت عارفة بتعملى أيه كوي.. لا وتعلقي
شاطرة وحافظتي على نفسك لآخر لحظة رغم كل اللي كنت بتعمليه
قالت بكره شديد :
- منك الله يا .. مصمم تشوه سمعتي ماكفاش اللي عملته فيها

نهض وهو يقول:

- اقعدى مع نفسك وانت تعرفى ان سمعتك كانت متشفهة لوحدها ..! إاه صحيح أنا نسيت
اولى انك كنت مشى وراكى بالعربيه انت وصاحبتك السفالة وشفتوكا .. شفت كنتوا رايحين
في ومع مين

وقبل أن ينصرف سمعها تقول بحقد:

- ربنا ياخذك ويرحى منك

عاد مرة أخرى وقال لها بالمهم :

- أهي دى أجل دعوة سمعتها من ساعتها .. أيوه كده ادعيهالي دايمًا وان شاء الله رنا
هيستجيب منك ويريحه مني ويرحى أنا كمان.

***

قبل قليل كانت إيمان تقف في الشرفة تنتظر إلى نفس المشهد الذي تكرر من قبل ، ولكن مع
أختها التي ترتدي نفس الفستان وتجلس مع زوجها وكل منهما ينظر في اتجاه ، تذكرت كيف
كانت تجلس هكذا يوم عقدها على عبد الرحمن واسترجعت نفس المشاعر المؤلمة ، كان
عبد الرحمن قد بدأ ملبسه ثم دخل إليها غرفتها فوجدها تقف شاردة أمام شرفتها تنظر إلى
مرم ويوسف في وجوه، شعر فورًا بما يعتمد في نفسها وانها تذكرت يوم عقدها ، حاول
أن يطفئي جو من المرح على الموقف فاقترب منها وهو ينظر إلى منامتها القطينة الوردية
قائلاً بمرح :

- يتعلمى أيه عندي يا باربي ..

أنتشثوا كلماه من أعماق ذكرياتها فالتفتت إليه ثم نظرت إلى رسوم باربي المطبوعة على
ملابسها وقالت ببرود :
- عاوز حاجة؟

أقرب منها أكثر ووضع كفه على وجنتها قائلًا برقة:

- مش عاوز حاجة غيرك

دفعته بخفة في صدره وابتعدت عنه ، دخلت الفراش وتدثرت وهي تقول:

- لو سمحت اطفئ النور وانت خارج

جلس بجوارها على طرف الفراش وأوّل الغطاء قليلا وهو يقول بعذوبة:

- طب أنا مشخارج .. أه رأيك نفضل في السرير ونجيب حد يطفلنا النور

ابتسمت وهي تضع الوسادة على رأسها واكتسب صوتها نبرة جدية وهي تقول:

- من فضلك إننا تعبانة وعاوزه انام روح نام في وضنك

طبع قبالة صغيرة على رأسها وقال:

- تساهبى على خير ..

أطفأ المصباح وخرج لينام في الغرفة الأخرى ، دخل فراشة ووضع يديه تحت رأسه وهو ينظر للأعلى شاردًا في حاله "معقول اكون حبيتها بسرعة كده! .. هو أنا لحقت .. ده أنا لسه من كام يوم كنت حاسس أنها زى احتى! .. لا .. بس أنا لما زعلتها وسابت البيت ومشيت مكنش عارف ارتاح .. ومرتحش غير لما رجعت البيت .. ومكنش عارف ليه .. معقول كنت بحبها وانا معرفش؟! .. اعتدل جالسًا في فراشة وقال كأنه يحدث شخص آخر:

- الله .. طب لما هو كده ليا واحنا مسافرين مكنش حاسس بحاجة ناحيتها ومكنش عاوز

حتى المسها .. يمكن علنكان كنت حاسس أن بابا هو اللي كان عاوزنى اتجوزها!؟

نهض من فراشة وسار قليلاً يتكلم مع نفسه ويذكر يوم زفافه وكيف تركها ونام ، وقفت
عينيه على صورته في المرآة وقفف أمامها قائلًا:

- ماهو حاجة من الاثنين .. أنت يا أما عبيط يا أما اهبل .. والاحتمال الأكبر انك الاثنين مع بعض.

***
وقف وليد سبارته أمام منزل سلمى وقال بضجر:

- أديني وصلتك اهو زى ماكنتى عاوزه .. يالا اتفضلى
- أستدرت بجسدها كله قصيدة: 
- داوقتي بقيت توصلنى غصب عنك الله يرحم...

ثم تابعت بغيظ:

- مش كفاية الكسفة الللى اكستتها فى الفرح وهي بتسلم عليها ببرود والناس شايفا
- يا إستقلت قلتك اصبرى هذلكل حقك

قالت بصبرية:

- كله بسبيك .. قدعت توعدني اناك هتاخذلى حقى من القلم اللوى يوسف ضرعبهى قدامك ..
- وانا صدقتلك لما قلتلى هلضحبى في كل حكى ونفدت اللوى لانت عاوزه .. وادي النتيجة مفيش حاجه حصلت .. لا وفي الاخر اتجوزها كمان

قال بشرود:

- ومين قالك ان مفيش حاجه حصلت .. انا بس لسه مش متاكد

قالت بسريرية:

- ما أنت قلتى قبل كده الكلام ده .. واهو راح اتجوزها

قال بنفاذ صبر:

- يا غبيه افهمى .. الجواد السريع ده حصل نتيجة لحاجة من الانتين .. يا أصى بعد ما شافها
- طالعة معاى انت وولد خالتك وقرر يواجهها وفعلاً واجهة وهى قدرت تضحك عليه ..
- ودى حاجه يستعدها لأنه كان شارب مخدرات تخليه تلاجة مشابه على رجلين .. يا أصى
- حصل عكس اللي كنت مخططه واضطر يستر عليها.

عقدت سلمى حاجيبيها وقالت بعدم فهم:
- عكس اللي كنت مخططله ازاي.. أنت مش كان هدفك انه يحاول معاها وهو شارب وهي تروح تفضحه عند ابوك وتبقى كده ردتله اللي عمله معاك لما هدلك انه يفضحك.. وفي نفس الوقت ابوك ميصقوقش بعد كده لو قال عليك حاجة؟!

- بالظبط.. بس واضح ان اللي حصل اكبر من كده.. واضح ان الحكاية تحدث المحاولة بمراحل.. والا مكانش شكلهم بقى زى ما شفتي كده كانهم بيتجوزوا غصب عنهم .. ومنش طاقين بعض

أستدار فجأة إليها قائلًا بضيق:

- يالا انزل بقى وجعتيلى دماغي .. عاوز اروح امخمخ كده مع نفسي .. الحكاية دى لازم اتأكد منها بأى شكل بس مش عارف ازاي

***

الفصل الثالث والعشرون

دخل يوسف مكتب أبيه مطرقا وقال:

- حضرتك بعتلى يا بابا؟

نظر له والده في حدة وهو يقول:
- أنت أيها اللي جاكي الشركة النهاردة؟
- نظر له يوسف بدهة قائلًا:
- جاى اشوف شغلى
- نهض والده وقال بلجنة صارمة:
- ملكش شغل عندى
- ثم تابع بنفس نبرته الحادة:
- تروج دلوقتي تلم حاجتك من مكتبك وتروج بيتكوا ولا تشوفك لمصيبه تانية تروحها
- شعر بعثرة في حلقة وهو يقول بخفوت:
- يعنى أيه؟
- قال حسين بنفس النبرة الجامدة:
- زى ما سمعت.. مشوفش وشوك في الشركة تاني وكفاحي أي مطردتكش من البيت.. وإمع
مش عايز اشوف خيالك في البيت طول مانى هناك .. تغور في أى حطة من قدامى .. فاهم ولا
مش فاهم

***

خرج يوسف من مكتب والده والدنيا تميد به، لماذا لا يدافع عن نفسه ولو بكلمة واحدة!! ..
لماذا لا يعطيه فرصة ليتحدث ، لماذا لا يتكلم معه ليعرف لماذا فعل ذلك؟

استقل سيارته وقادها بلى هدف حتى وجد نفسه يمر بكورنيش الفيل، ركن سيارته جانبا
وترجل منها، وقف أمام سور الكورنيش ينظر إلى الماء في وجوه، يتذكر الليلة المشؤومة
، تذكر عندما قاد سيارته مراقبًا لسيارة سلمى، ظل خلفها متتابعًا لها بتركيز والغيرة تفكك
بقلبه ، وبعدين سابق أنذار توقفت سلمى تحت أدى البناء ، خرجت سلمى من سيارتها ثم
الرجلين ، وفما يحدثان قليلاً ثم صعد الرجلين لفترة من الزمن قصيره وهبطا إليها مرة
أخرى ، ثم خرجت مريم من السيارة وصعدت معهما هي وسلمى ، توجه إلى حارس العقار
وتحوج بأنه يسأل عن شقة مفروشة خالية في البناءة فقال له الحارس بتأ指纹:
بلا مفروش بلا قرف
ثم أشار إلى سيارة سلمى قائلًا:
- آدي اللي بناخده من المفروش بلا هم.. بنات عايزه قطم رقبتها ملهمش أهل يلوهم توقفت ذكرياته عند هذه النقطة عندما شعر بأن مريد في عضلات قلبه، عاد إلى السيارة وقادها مرة أخرى عائدة إلى المنزل، بمجرد أن دخل من بوابة المنزل الداخلية تفتاقاً بخروج فرحة ومرير من المصعد وما أن رأته فرحة حتى تعلقت في ذراعه قائلة:
- جيت في وقتك يا اخويا يا حبيبي
ثم طبعت قبلة على كتفه تداعب وقالت:
- ممكن توصلنا الكلية وهمالك يا فاعلك الخير والثواب
لم تعد مريم تحتتمل رؤيته أكثر من هذا، أشاحت بوجهها بعيداً وهو يقول لأخته:
- مش معي يا فرحة خلي إيهاب يوصلكوا
فرحه:
- إيهاب مش هنا ويهيأر النهاردة، واعنا كنا هناخد تاكسي بس دينا بعتلك لينا يرضيك نروح ندور على تاكسي أنا ومراتك وانت موجود نظر يوسف لمرير ولكنه تفتاحاً بشكل الجيد، ملابسها مختلفة كثيراً، فضفاضة ومحتشمة، نظر إلى وجهها، الحجاب طويل يغطي صدرها، لم تصبغ وجهها بآلوان، ظل ينظر إليها حتى قاطعتها فرحة قائلة بمشاعبة:
- أنت يااع الرومانسي.. سيبك من مراتك دلوقتي وركز معايا، أنتبهت مريم أنه ينظر إليها بتمعن فقالت لفرحه:
- أنا هستناك عند باب الجنينة بره تابعها يوسف بعينيه حتى وصلت لباب الحديقة فأدارت فرحة وجهه بيدها قائلة:
- ياعام انت هنتأخر تعالى وصلنا واينقى بحلق براحتك في السكة بس اوعي تعمل بينا حادثة
أضطرت مريم أن تترك بجواره وفرحة في الخلف، وطوال الطريق تتحدث في الهاتف مع صديقتها المقربة كعادتها دائمًا، أخرجت مريم مصحف صغير من حقيبتها وظلت تقرأ فيه طوال الطريق، كان يختلف النظر إليها من حين لآخر وهو لا يصدق ما يرى، تردد قليلا ثم قال:

- رايجين دلوقتي تعملوا أيه.. انتوا مش في أجازة؟

لم تسمعه فرحه وهي تتحدث إلى صديقتها في الهاتف فأعاد السؤال مرة أخرى وهو ينظر لمريم فقالت ببرود:

- عندي تدريب صيفي

وجد نفسه يقول:

- هتخليصي أمتي؟

قالت بصوت أشبه للهمس من بين أسنانها:

- ملكش دعوة

بعد أن انتهت فرحه وأغلقت الهاتف قال يوسف على الفور:

- هتخليصوا أمتي يا فرحة علشان آجي أخدكم

قالت فرحة بسعادة:

- أيه ده بجد !.. أنا هخلص على 3 كده ..

ثم نظرت إلى مريم متسائلة:

- وانت يا مريم هتخلصي أمتي

تصنفت مريم أبتسامة وهي تقول:

- لا متشغلوش بالكو .. أنا لما هخلص هروح

قال يوسف:

- خلصي براحتك .. بس قوللي على أمتي علشان آجي اخدك
صرمت بضيق من محاسرته فكرت فرحة سؤاله قائلة:

- ها يا مريم هتخلصي أمتي؟
قالت بضجر:

- يعني على الساعة 2 أو 3 مش عارفة بالظبط
قال يوسف بحسم:

- الساعة أتتين هتلاقينى واقف مستنكي

****
خرج وليد من مكتبه واقترب من مكتب علا التي لا تعيره اهتماما ، رسم ابتسامة على شفاه
قالا:

- أنا هروح اتغدى تحби تيجي معايا؟
هزم رأسها نفيًا قائلة بجدية:

- متشكرة يا أستاذ وليد.. وعدين لسه معاد الراحة فاضل عليه نص ساعة
أتاكا على المكتب قائلًا:

- ياستاّي أنا صاحب الشغل ولا يهمك.. وبعدين آنا عاوزك في موضوع مهم ومش هينفع هنا
نهضت ونظرة له بجدية وقالت:

- أنا مفيش موضوع بيني وبين حضرتك غير الشغل وبس .. لو في حاجة في الشغل افتكر
هنا مكانها مش في حنة ثانية
أعتدل وهو يتفحصها ببرود وعقد ذراعيه أمام صدره قائلًا:

- آنت بتعاملينى ناشف كده ليه
جلست وهي تتبع عملها:
- أصل حضرتك متصور أنى علشان بشغيل عندك يبقى سهل تاخذني أى مكان بره الشغل ..
- لايفندم أنا مش كده .. وأظن حضرتك تعرف أن ابن عمك كان خاطب احتى يعني لو كانت
- أخلاقيا عليها غبار مكنش فكر يرتبط ببها من الأول.

ثم بالقت عبارتها الأخيرة قاصدة أىها قائلة:
- أحسنا مالناش غير في الجد وبس يا فندم .. ولو سمحت يا أستاذ وليد سببى اكمل شغلى
- أخرج وليد علبة من القطيفة من جيبه ورسم على وجهه علامات الحزن قانلاً:
- أنت فهمتني غلط على فكرة .. أنا بس كنت عازيز علشان اقدملك دى

وضفتها وأدارها إليها، أقبلت عليها نظرة سريعة .. كانت تحوى خاتما ذهبيا مرصعا بفصوص
للامعة براقة .. أعادت نظرها إليه ببرود وقالت:
- ايه دى
- ليد :
- دى هدية بسيطة
- مناسبة ايه ؟
- قال مغازلاً:

- مناسبة جمالك

 تصنعت الانفعال وهي تقول:
- حضرتك ليه مصمم تضايقني .. قلت لحضرتك انى ماليش في الحاجات دى .. انت ليه
- مبتقيش تفرق بين البنات وبعضها
- وأخذت حقيبتها وهي تتصنع البكاء وهروت سريعا من أمامه وهي تخفى ابتسامة خبيثة
- بداخلها لم تتجاوز عقلها !

شعر بحيرة شديدة من تصرفاتها معه .. فهو لم يعتاد على ذلك من أى فتاة أخرى .. هتف
صديقته له وواعده على الغذاء والتقي به في أرى المطاعم القريبة من الشركة:
- ايه يا عم مختصف فين بقالى مدة مش شايفك على الشاشة يعني
أبطال قباً بحذف:
- أسكت يا معتز في بتي مطورة عيني
قال معتز باندهاش:
- أيه ده.. بقى وليد باشا مش قادر على حته بتي.. لا قول كلام غير ده.. مين البت دى
وليد ثانية بضيق قنال:
- بتشتغل معايا في مكتبي في السكرتارية.. بس رخمة رخامة يا أخى.. حتى الابتسامة في وشي بطلع الروح.. أقولها نرفع الألباب تقولي مينفعش .. أعظمها على غدا مترضاش وتقولي أنا مش بتعة الكلام ده .. أجيبها هدية تدهوملي في جنابي وتسيبني وتمشي.. لما خشقتني
ضحك معتز ضحكات عابثة قنال:
- لا ده ده حالتك صعبه أوى .. قولى هي حلوة ؟ .. تستاهل يعني
قال وليد بضجر:
- وانا هعمل أيه بحلاوتها وهي منشفة ريقى كده .. لا وقال أيه تقولى أنا ماليش غير في الجد
ضرب معتز جببهه قنالاً بفهم:
- اوباااااا.. بس يا باشا اننا كده فهمت.. البت دى رسمة على جواز
قال وليد بسرصرة:
- جواز مين يابا هو اننا بتاع جواز .. ما أنت عارفنى كويش.. اننا بس مش متعود ان واحدة
تنضللك كده
أرشف معتز من القهوة الموضوعة أمامه وقال ببساطة:
- طب انا بقى عندى فكرة تخليك تاخذ راحتكم معاها على الآخر
قال وليد ساخرًا:
- منكم تستفيد
- بص يا باشا.. البت اللي تلاقيها معوصلة معاك وماشية في طريق الجواز .. أخطبها

وليد باستهزاء:

- لا والله وده من ايه

أسمع باس لما اكل كلامي.. الحكاية دى ناس اصحابي جربوها كثير قبل كده.. الواحد منهم يختط البت اللي منشفة راسها معاه.. يروح ويتقدم بقلب جامد ويعمل خطوبة ويقدم شبكة متوسطة كده .. ويكع عدد سنة بقى داخل خارج معاه .. عزومات وسهر وسينما والذى منه ..
ولما تحبك معاه او ياخذها تندل جع على شقة المستقبل وهي بتتوضب .. اه طبعا يعني تعيش في شقة من غير ما تقول رأيها فيها

لمعت عينى وليد وهو يقول:

- يابني الليعية.. شقة المستقبل .. ازاي مخططت على بالى الفكره دى قبل كده ..

صمت لثوان في تفكير ثم قال:

- بس يابني ده كده ممكن يتدبس فيها ويضطر يتجوزها

قال معتز بسخرية:

- لا ماهو اللي يعمل كده لازم ياخذ بالله انه ميدبس نفسه .. يعني ياخذ راحته من غير ما يدخل في الغريق علشان في الاختر لما يزهق .. يقولها معلش يا حبيبتي اجنا شكلنا كده متفقاتنا ومعي قادرين نفهم بعض كل شيء نصيب بتمنالك حياة سعيدة

- طب ماهي البت ممكن تروح تقول لأهليها

قال معتز بزهو وهو يرى اللمعة في عيني صديقه:

- هتقدولهم ايه .. كنت بروح معاه شقة بيقول انا هتجوز فيها ؟ .. وحتى لو عملت كده هيتقولهم محصلش دى كدابة واكشوفوا عليها هتلاقوها صاغ سليم .. وهو اتست وعمل كل حاجة بالدليلة اللي لبسهاها وفي الاخر تطلع منها زى الشعرة من العجين ولا حد يقدر يقوله

تلت الثلاثة كام

قال وليد بمكن:
- يابن الأيب.. ده انت حلتهالي على الآخر.. ده على كده الدبلا دى بتحل مشاكل كثير وبتقرب البعيد

***

خرجت سلمى من الكلية ووقفت تبحث عن سياراتها بين السياراتات فرأت قتاة تشبه مريم اقتربت منها ثم قالت بدهشة:
- أيه ده مريم؟

أتفتت لها مريم وقالت ببرود:
- أهلا يا سلمى

أقتربت سلمى أكثر منها وهي تنظر لملابسها قائلة:
- أيه اللي لابساه ده.. من أمتي يعني

ثم قالت بسخرية:
- أيه هو يوسف غصبه تلبسنك كده .. من أولها كده هيتحكم فيكى

نظرت لها مريم بحق قائلة:
- لا يا سلمى انا اللي غبرت لبسني ع نفس عشي بقى محجبة زي ما ربنا عايز مش زي ما

الموضة عاوزه

صفقت سلمى ببطء وغي تقول:

- براوح.. أيه ده ياربي.. واقفة قدام ايمان بذات نفسها

نظرت لها مريم بضيق وهمت بالانصاف تاركة لها المكان ولكن سلمى قبضت على ذراعها وتصنفت التفهم:

- متزليش بس استنني هنا أنا والله مبسوطة انك مرتحلة أنا بهزر معاك مش أكثر.. ده انت

حببتي يا مريم

- خلاص مفيش حاجة .. عن أذنك بقى مش عاوزه اتأخر
استدامت لتلزيم توجدت أحد الشباب مقدم في اتجاههما وهو يشير لسلمي من بعيد بالتحية.

حاولت أن تذهاب ولكن سلمي قبضت على يدها مرة أخرى وهي تقول:

- استن، سنت وحشين كوي ولسه مشبعش منك

ارتقت مريم وتزعت يدها من يد سلمي وقالت:

- معالش مش دلوتى عن ذلتك

التيت لتزيم مرة أخرى توجدت الشباب قد اقترب منهما قائلا وهو يبتسم لمريم:

- ازيك يا مريم وحشتينا

قطبت جبينها وهي تقول:

- أيه وحشتينا دى لو سمحت اتتهلم معايا باحترام

وتركتهم وذهب تمرسة بعيدا، ألتقت السيد إلى سلمي وهو يقول بسريرية:

- دى مالها دى

ما أن خلت مريم خطوات قليلة وكأنها تعود حتى اصطدمت بيوسف، توترت وهي تنظر إليه:

- وهو يقول لها:

- الود ده ضايعك؟

هزت رأسها نفيها فقال لها وهو ينظر إلى سلمي وصديقها شذراً:

- طب يلا.. كويس آني جيت بدرى

استقلت معه السيارة وعندما لم تجد فرحة قالت بتوتر:

- فين فرحة؟

قال بعمليا:

- صاحبها روحوا بدرى وخدوها في سكتهم

توترت أكثر وشعرت باضطراب في جسدها، خفق قلبها بشدة عندما أدار محرك السيارة

وهو يقول:
- كان بيقولك أيه؟
- هو مين؟

نظر لها نظرة جانبية سريعة وهو يقول:

- الواد اللي ضايقك من شوية
قالت بضيق:
- قلتلك مضايقتيش

أوماً أنا ليه شفتك بان عليكي ملامح الضيق أول ما شفتيه وسبتنه ومشيتى على طول

نظرت له بدهشة:
- أنت كنت بتراقبني ولا ايه....
ثم أضافت بحنق:
- وبعدن أنا بطلت أقف مع ولاد

نظر أمامته ولم يرد عليها فقالت باستنكار:
- أظهر انك نسيت نفسك وافتكرت انك جوزي صحيح
قال بهدوء:
- متبأيش في استفزازى تاني من فضلك.. كفاية اللي قولتته قبل كده

كانت تتنمى أن تستفرزه فعلًا وأن توجه إليه اللعنات، ولكن هذه المرة تختلف كثيرًا، أنها وحدها معه فمن الأفضل أن تصر، فتحت مصحفها وظلمت نظراً بعينيها في صمت وهو ينظر إليها بين الحين والآخر حتى وصل إلى المنزل، وعند البوابه تفاجأ بمرور سيارة والده في طريقه للعبور للداخل، لمح والده مرير تجلس بجواره في السيارة.. تراجع يوسف بسيارته ليفسح المجال أمام أبيه للعبور، توالت السيارتان وهبطت مرير في سرعة وتوجهت إلى سيارة عمها وهو يترجل منها في هدوء، وضع يده على كتفها بترحاب قائلًا:

- ازيك يا بنتي .. كنت فين؟
كان عندى تدريب في الكلية وكان المفروض ارجع مع فرحة.. بس هي روثت بدرى مع
صحابها
نظر حسين إلى يوسف الذي يقف أمام والده باحترام شديد، ثم نظر مرة أخرى إلى مريم
وقال لها:
- ضائك؟
هزم رأسها نفياً وهي تقول:
- لا
أعاد حسين نظره إلى يوسف قائلًا:
- أنا كنت حسب منك العربية كمان.. بس خلاص خليها.. أبو تبقى توصلهم بدل ما تقعد
عاطل كده.. وأخذ مريم واتجه بها إلى الداخل، أستند يوسف إلى سيارته ومسح على شعره وقد احمر
وجهه مما سمعه من كلمات لزعة أمام مريم.
توقف بهما المصعد في الطابق الثاني فقال حسين بحنان:
- متيجى تقعدى معايا بدل ما تطلعى تقعدى لوحدك فوق.. تلقي إيمان عندنا دلوقتي
أومأت برأسها موافقة فلمح في عينيها التوتر والحيرة فقال:
- عاوزه تسألي على حاجة؟
قالت بخفوت:
- أيوه يا عمى عاوزه اعرف معنى الكلام اللي قلته تحت من شوية
أبتسم وهو يقول متسائلاً:
- يهمك تعرفى؟
زاغت نظرياتها ولم ترد فقال وقد اتسعت أبتسامته أكثر:
طردت من الشركة وقلتلا ما لكش شغل عندي وكدت ناوي اسحب منه العربية بس خلاص
طالما ممكن ينفعك بيا خليها معاه
شعرت مريم بشيء من الارتياح عندما تخيلته وهو يطرد من عمله ويتكلم مع أبيه بهذه الطريقة المهينة، وأمامها أيضاً، طرق الباب وفتحت له إيمان بابتسامتها المشرقة:

- حمد الله على السلامة .. أيه كان عندكوا رائد فو ولا أيه؟

قال حسين مداعب:

- هزرى براحتك علشان جايبلك خبر هفرحك أوى
- خبر أيه؟

قال بلامبالة:

- عبد الرحمن سافر بور سعيد وهيقعد كام يوم هناك

شعرت إيمان بصدمة وهي تقول:

- سافر امتى.. ومقاليش ليه؟

ابتسم وهو يقول:

- أنا كنت فاكرك هاتفرحى اكمنه كان كابس على نفسك

أنطفأت أشراقتها وقالت:

- مكلمنيش يغني .. للدرجة دى مش فاضي

- كان لازم يسافر بسرعة مع العملاء.. في مشكلة في الميناء ومفتش حد غيره يعرف يحلها

وتلاقيه مش عارف يكلمك وهو راكب معاهم

قالت بذهول وهي تنصرف للمطبخ:

- طب ياعمى متشركة انك قولتلي .. أروح اكمل الغدا مع طنط عفاف

جلس بجوار مريم بعد انصرف إيمان وقال لها:

- يقولك أيه يا مريم أنا شايف ان مفتش داعي نستنى كثير.. أيه رايك تعمل الفرح أول ما

عبد الرحمن يرجع

أنتفضت وهي تلتفت إليه قائلة:
لا يا عمى كده بدرى أوى
قال بجدية:
- بدرى على أيه؟.. أنت ناسية أنتوا هتعيشوا مع بعض ازاء؟.. يعني مش هتفرق بقى
نعمل الفرح دلوقتي ولا بعدين.. كده ولا كده مش هيبقى في بينكوا تعاملات
قالت مريم بتوتر:
- بس أنا اخاف اقعد معاه في مكان واحد .. ده انا كنت مرعوبة وانا راكبة معاه العربية
لوحدة
قال بثقة:
- متخافيش .. ميقدرش يأذيكى بأى شكل من الأشكال .. هو عارفني قوي وعارف انا ممكن
أعمل فيه أيه
حاولت أن تعترض بكلمات مبعثرة متعثمة ولكنه قاطعها قائلاً:
- خلاص بقى يا مريم خلنيا نخلص من الحكاية دى بدل مانتي كده على ذمة واحد بتكرهية ..
خليكي تدخل وتقعى معاه شوية وبعدين تطلقى وتبدأ حياتك من جديد .. عاوز أطمئن
عليكي يا بنتي .. ها قولتي أيه ؟
قالت بخففوت:
- معاك حق يا عمي التأجيل مالوش لازمة .. خلنيا نخلص

***

جلس وليد أمام أبيه وهو يقول:
- يابابا الكلام ده مالوش لازمة .. البنت عاجباتى وهاخطبها خلاص
قال إبراهيم بانفعال:
- أنت ناسى دى تبقى مين .. دى اخد هند اللي ابن عمك فسخ خطوبته منها والله أعلم عمل
كده ليه
قال وليد ببرود:

مهميش.. وبعدين انا قلت هاخطبها هو انا قلت هتجوزها

نظر له والده بتسائل:

- نعم.. يعني ايه

قال وليد بارتباك:

لا انا قصدى يعني اني هخطبها واشوف أخلاقها.. لو طلعت كويسة نكمل ..طلعت غير كده

يبقى خاص

يابني مش عاوزين حاجة تفرق بينا وبين عمك وولاده.. ازاي بس هتيجي بينا كده هي

واختتها اللي كانت مخطوبة لابن عمك

قال وليد في تصميم:

يابابا انت مكبر الموضوع اوى .. دى مجرد خطوبة وخلاص .. وبعدين يعني هو عبد الرحمن ومشاعره أهم عندك مني انا

قال إبراهيم في استنكار:

الله الأمر من قبل ومن بعد.. أنا عارفك لما بتحط حاجة في دماغك .. خلينى اقول لعمك

واشوف هيتصرف ازاي

وليد بلا مبالاة :

يتصرف في ايه بس .. أنا خاصا دخلت بيتهم وقعدت مع امها وحددنا معاً كيفه كمان يومين ..

ولا يرضيكم ابتك يخلف وعده ويطلع عيل

***

ربت حسين على كتف أخيه إبراهيم وقال بابتسامة:

- هدى نفسك يا إبراهيم خاصا سببه يعمل اللي هو عاوزه

- ازاي بس .. الواد ده مخه طويل عمره تاعبني يا حسين ومش قادر عليه

قال حسين مهدنا:
خلاص يا إبراهيم يخطبها هو حـر .. هو اللـي اخـتار.. سبـبه على راحته عشـان ميجـيش بعد
كـده يقولك انت غـصبـت عـليا
- تدخل العـيلة ازاي دـى هي واختـها... طـب وعـبد الـرحـمن
أبتسـم حـسين وقـال بـتفهم:
- عبد الـرحـمن بـيحب مراهـته يا إبراهـيم.. ووـجد هـند مـن عـدهـم مش هـيفرض معاـه.. بـلاـش
نعـاند مع وليم وـانا مـتأكد انة هـيسيـبها لـوحة
***
جلس وليم بجوـوار عـلا وأمسك يـدها وألبسـها خاتم الخـطبة الذهـبي وـالذي حـرست عـلا عـليا أن
تـنتقى بـسيط لـتعطى انتباع لـوـيد عـنها أنـها قـنوعـة وـلا تـضع فيـموـالـه واتـما وافقت عـلـى
الخطبة من أجل مشاعـرها تـاجـهـه .. فـقط لا غـير !
ジェست هـند فـي بـهـجة بـجانـبها وطـبعت قـبلة عـلى وـجـنـتها قـاـئلة بـسـعادـة كـبيرة:
- مبـروـك يا لوـلى
كـانت هـند تـشـعر بأنـها اقتـربت خـطوة كـبيرة مـن عـبد الـرحـمن ، ولـابد أن تـلحـقها بـخـطوة أخـرى
سـريـعة وـلكـنها سـتنـظـر عـودـته أولاً، كـانت فـاطمـة تجـلس بـجوار زوجـها وتهـمس لـه:
- ابـنك اـتجـنـ بـاـين عـليه .. بـقـي دول نـاس نـناسـبهم
وـخـزها بـلـطف قـاـئلة:
- مـلـانـانش دعـوا يـا فـاطمـة .. أـحـنا جـينا بـس عـشـان منـسيـبوـش لـوحة .. لـكن كـده وـلا كـده كـان
هينـذـ في دـمـاغـه
مـلت وـفاء عـليها قـاـئلة:
- بـس يـا مـاما .. النـاس بـتبـص اسـكتـى
نظرت عـلا لوـليـد بـدلـل وقـالت:
- اـوـمـال عـمـك مـيـاش ليـه وـولـادـه .. حـما مـواـفـقـين عـلي خـطوـبـتـنا؟
طبع قـبـلـة عـلى يـديها قـاـئلة:
مش بابا وماما واختي موجودين عاوزه عمى فآيه بس .. وبعدين يا حبيبي ملكيش دعوة غير بيا أنا بس .. أنت في قلبي .. واللى مش عاجبه بخط دماغه في الحيطة ضحكت بدلال وهي تقول:

- ربنا يغليك يا حبيبي

***

دخلت عفاف مندفعة إلى زوجها في غرفته هاتفه:

- أنا عاوزه أعرف في آيه بينك وبين ابنك رفع وجهه من بين أوراقه وقال بهدوء:
- مالك يا عفاف في آيه وابنٍ مين فيهم؟

قالت عفاف بانفعال:

- أبنك يوسف .. أنا عاوزه أعرف في آيه .. تشوبه في مكان تسبيبه وتمشي .. وهو مباعد معاك في مكان واحد .. ودايما قاعد في الجنينة وامبارك نام فيها .. أنا عاوزه افهم!

نظر لها بضيق قائلة:

- وأنا مالى متساليه يا عفاف

قالت بحنق:

- أنا عارفوا كوبس .. مش ده يوسف اللي كان بينقى الكرسي اللي جنبك ويقعد فيه .. قولي في آيه يا أبو يوسف

نظر لها نظرة جانببة وقال:

- مفيش .. هو بس غلط غلطة كبيرة أوى في شغله .. حملنا بيه خساير كتيرة وكان لازم يتعاقب .. أصله مش صغير يعني عشان يغلف غلطة زى دى ميغلفهاش موظف لسه جديد

قالت بصوت أشبه بالبكاء تعاطفاً مع ولدها:

- كلنا بنغلف يا أبو يوسف .. مش معقول عشان حاجة حصلت غصب عنه يتعامل بالشكل ده .. ده بقى لا بياكل ولا يشرب لحد ما خس وعدم
رسم ابتسامة رضا على محياه قائلًا:

- خلص يا عفاف .. عشان خاطرك انت هسامحه .. عشان تعرفى بس غلاوتك عندي لو

انى مبسامحش فى الشغل أبدا

أبتسمت برضا قائلة:

- ربنا يخاليك لينا يا حسين ..

وخرجت بغير الوجه الذي دخلت به منذ قليل .

***

كانت مرير تمسك بجهاز التحكم وهي تشاهد التلفاز وتتقلب بين قنواته في ملل شديد، أطفأتنه ونهضت لتذهبت للشرفة لتجلس فيها قليلا .. رأتى يتجول في الحديقة ويدور حول نفسه، يدور كالنمر المحبوب بين قضبانه لا يجد مخرجًا ، ظلت تنظّر إليه بشروود وهي تتذكر كلماته " اقعدى مع نفسك وانت تعرفى أن سمعتك كانت متشوهة لوحدها .. اه صحيح أنا نسيت أقولك انى كنت مشى وراكى بالعربية انت وصاحبك السفلة وشفتك وشفت كنتوا رايحين فين ومع مين ".

جلست على المقعد في وجوه وهي تقول:

- كنت مشى ورايا ليه يا يوسف .. ولمى شفتى وانا طالعة معاهم ليه مجتش تأخدنى .. كنت همشى معاك والله

***

في نفس اللحظة كانت إيمان تتقلب في فراشها يجافيها النوم، لقد تعودت على وجوده في المنزل كيف تتام بدونه، نهضت ودخلت الغرفة التي ينام فيها، دست جسدها تحت غطاءه وتدثرت به وأغفست عينيها وهي تستنشق عبره الذي يملأ فراشها ووسادته .. وبدأت بالفعل في الاسترخاء حتى سمعت صوت هاتفها ألقتى الهاتف ونظرت فيه وابتسمت عندما وجدت أسمه تضيء به شاشته ردت بلهفة :

- السلام عليكم
أنا أسمع صوتك عبر الهاتف بشوق كبير:
- وعليكم السلام.. وحشتني يا حبيبي.. وحشتني أوى
لستطيع كلماتها إن تعبع عما تحمله قلتها فصمتها في خجل وشوق، أناها صوته مرة أخرى بشوق أكب:
- هل أنا كل ما أقولك حاجة تنكسفي كده.. أنا قلت وحشتني يا حبيبي.. يعني مش قصدي حاجة عيب.. انت دايمة كده تفهميني صح
أبستمغت ابتسامة كبيرة فتتابع وكأنه قد رآها:
- أبستماتك وحشتني أوى
نظرت للهاتف في دهشة ثم قالت بصوت هادئ:
- هتيجي أمتي؟ قال مشاكسا:
- وحشت؟
حاولت أن تصبغ صوتها بصبعة جدية وهي تقول:
- أخبارك أيه؟ قال مدعبا:
- لا يا شيخه.. عليا انا الحركات دى؟
أحمر وجهها بشدة وهو يتبع حديثه:
- أنا دلومت في الفندق وليس قدامي يومين.. مش عارف هبات يومين كمان بعيد عنك ازاي يا حبيبي
وأكمل مدعبا:
- كل ما تتقلب على السرير اشوف صورتك على الوضادة الخالية اللي جانب
أبستمغت رغمها عنها وهي تقول:
- هو بنتك، مشجعك، أبدًا

ظهر الشوق في صوته بوضوح، وهو يقول:

- ما هو أنا لو اكتملت جد معاكى دلوقتي مش عارف هيحصلى أيه، مش بعيد أقوم إنث في

أي عربية واجبلك

قالت محاولة أن تغيير مجرى الحديث:

- عمى حدود معاذ فرح مريم ويوسف

قال عبد الرحمن وهو يضع ذراعه خلف رأسه ويتمدد على الفراش باسترخاء:

- قديمة، عارفها من ساعة، كنت بكلم بابا وقالى احاول اخلص واجي في أقرب وقت.

ثم همس لها وهو يقول:

- معرفة اني عاوز اطير واجي بسرعة

قالت معاتية:

- يعني كنت فاضى اهو من ساعة ويتكلم عمى اومال مكلمنيش ليه

تنهد بقوة قائلاً:

- كنت بكلمك وكنا محل مع الناس كنت مستنث لما اقعد لوحدى علشان اكلمك. أول ما دخلت

واضتى في الفندق كلمتك على طويل

ثم قال مداعبا مرة أخرى:

- بصراحة باربي وحشتنتى أوى

ضحكت برقة وهي تقول:

- مكتشف اعرف انك بتحبها أوى كده

قال بخفوت:

- أعمل ايه بس من ساعة ما شفتها وكنا نمسى اروح معاه للرذيلة وهي اللي مش موافقة
ظل يحادثها ويبثها حبه ولا ينتظر منها ردًا، فهو يعلم أنها مازالت تخجل منه ولن تستطيع أن تجربته في الحديث الآن
أنهى اتصاله وهو يضع قبلة على هاتفه لتصل إلى قلبه، بل لأعمق قلبه بحديثه الهام.
احتضنت الهاتف وهي تغمض عينيها لتتنام، تفاجأت بصوت رسالة جديدة، ففتحتها لقرأ:
كلماته لها وقلبها يختلط بشدة بين ضلوعها
سمع صوتك أشهد وجهك .. أشعر أنك بين جفوني
وأذوب حنان وحنينا .. للقائك يا ضوء عيوني

***
الفصل الرابع والعشرون

- أنت بتصول أيه يا وليد معقول الكلام ده .. بقى عبد الرحمن فسخ خطوبته من هند علشن
عرف أنها جاسوسة لأحلام!
قال وليد بنظرة انتصار:
- علشن تعرفى بس أن مفيش حاجة تستخبي عليها
قالت فاطمة بتفكير:
- الموضوع ده لازم ولاد حسين يعرفوه حالا .. مش لازم يستخبي أبدا
ضحك وليد بسخرية وهو يقول:
- عبد الرحمن هو اللي سمعها ومفطرش انه قال ليوسف أو فرحة
ألتفتت له بتصميم قائلة:
لازم تقول ليوسف

حرك رأسه نفسيًا قائلاً:

- يوسف مش طايقتي اليومين دول .. أنت قولى لفرحة بصنعة لطافة كده وهي أكيد هتقول ليوسف

نظرت له أمه بتساؤل:

- ويوسف مش طايقتك ليه يا واد ولد:  

- أبدًا يا ستي كله من تحت رأس البت اللي اسمها مريم دى .. كل ده عشان نبهته ان مشيها مش كويس .. طلع فيا ومن يومها وهو زعلان

قالت بتفكير:

- وانت عرفت عنها حاجة .. متأكد يعني يا ويد قال بمكر:

- هو أنا لو مكنتش متأكد كنت اتكلمت يا ماما شردت فاطمة في تفكير وهو تقول:

- سبلة الحكاية دى

صدت فاطمة إلى شقة فرحه وطرقت الباب، فتحت لها فرحه مرحبة بها وأدخلتها وهي متعجبة، جلست فاطمة وبدأت في سرد ما جاءت لأجله وعندما وجدت علامات الذهول على وجه فرحه قالت:

- ايه ده هو انت مكنتش تعرفى .. ده انا فاكراى عارفة.

نهضت فرحه وهي مصدومة وقالت:

- حضرتك متأكدة يا مرات عمى تصنع فاطمة الأرتبك وهي تقول:
لا لا يا بنتي مش متاكدة .. بصي كأنك مسمتعيش حاجة
وذهبت سريعا وهي تقول بصوت مسموع:

- يقطعني يا بريتي ما كنت اكتملت

هوت فرحة إلى مقعدها مرة أخرى وجلس ففكر في كلام زوجة عمها "معقوله .. معقوله
إيهاب اتجوزنى عشان أمه هو الي خططت لكده مش عشان بيجبني .. يعني إيهاب
ميبحنيش وبيخدعني"

تناولت الهاتف وهي مازالت مصدومة وقالت:

- إيهاب لو سمحت تعالى دلوقتي
- طب قولي وحشتني وانا اجي
- جاءه صوتها متصدما وهي تقول:
- لو سمحت تعالى حالا متناخرش

***

لم تكن صدمة إيهاب أقل من صدمة فرحة حينما قست عليه حديث فاطمة زوجة عمها وقال:
- أنت بتقولي أيه يا فرحة .. أنا أمي خططت لكل ده
- وأنت لبا حنط

- وانت مصدقة اني اتجوزتك عشان أمي هي الي قالتلي اعمل كده؟
- زاغ نظرها اضاًرا `ولم ترد فاًما برأسه قاتلا بعصبية :`
- أجابت زا هام .. وعشان ابتلاك بقي انك لسه معرفتنيش .. جوازت مريم ويوسف
مش هتكمك وكده ولا كده إيمان مش مبسوطة مع اخوكي وهاخد اخواتي وامشي من هنا
وورفتك هتوصلك قريب
- تعلقت فرحة بذراعه وهي تبكي :
- أرجوك يا إيهاب استني أنا مش قصدى انا ..
قاطعها بانفعال:

- خلاص يافرحة عنيكى جاوبت قبل لسانک مفیش داعی تقولی اکتر من کده
ونزع ذراعه منها وانطلق مغادرا کالسهم والغضب يتأکله ويلتهم حلمه عليها وشغفه بها

تناولت فرحه الهاتف واتصلت على أخيها يوسف تستنجد به فی بكاء:

- ألحقتني ي يوسف إيهاب هیطلقتنى وهیاخد اخواتى ویمشی من البيت
انتفض يوسف فزعًا وهو يهتف بها:

- ليه ایه اللی حصل.انطلق

سردت له ما حدث فی عجالة ، أغلقت الیاهات وصعد إليها فی سرعة ولكنه تفاجأ بزوجة عمه
فی طريقها للحدیقة ، أوقفته ویهی تقطع الطريق أمامه :

- مالک يأ يوسف بتجری کده ليه ياخویا

يوسف وهو يحاول أن يتخطاها:

- معلش عن اذنک بس علشان فرحه عاوزانی ضروری

وضعت يدها على فمها وهي تقول:

- يلهوی هي قالتلك ولا ایه

- أستدار لها قائلة:

- قالتلی على ایه

قالت بحزن مصطنع:

- أبدا ياخویا أنا أصلی حکتلها على سبب فسخ خطوای عبد الرحمن لخطبته هند

نظر إليها ساخرًا وقال:

- كتر خیرک يا مرات عمي
تركها وصدت الدرج في سرعة، كانت فرحة قد لحقت بمريم في شقته وأخذت تبكي ومريم تحاول تهدئتها، سمع يوسف ضجيج يخرج من شقة إيمان وعبد الرحمن ومن الواضح أن إيهاب يتكلم مع إيمان بشكل أفعالى طرق الباب وتراجع خطوات للخلف:
- فتح الباب وأطل منه وجه إيهاب غاضبا. فقال بسرعة:
- عاوزك شوية لو سمحت يا إيهاب
قال إيهاب في غضب:
- أنا اللي كنت عاوزك
خرجت إيمان بعد أن ارتدت حجابها وهي تقول لإيهاب بترجي:
- أرجوك يا إيهاب أهدى شوية ففي نفس اللحظة فتحت مريم الباب ووقفت ونظر لهم بتساؤل فقال يوسف:
- لو سمحت يا إيهاب نقبل نتكلم طيب...
وبعد عدة محاولات دخل الأربعة عند مريم جلس إيهاب في حنف وتعمد عدم النظر إلى زوجته التي كانت تبكي بشدة، وجلس بجواره يوسف قائلا بهدوء:
- ممكن نسمع بعض علشان نعرف نفهم
- أستنشق إيهاب غضبا وهو يصيح:
- خلاص كل حاجة بانت نسمع أيه ونفهم أيه
ونهض قائلا بغضب:
- آسمع يا يوسف .. أحنًا من هنا ورايح ولاد عم وبس وأنا هاخ اخواتي ونمشى من هنا
نهض يوسف ووقف أمامه قالا:
- إيهاب الطريقة دى متنفس .. نتكلم طيب
قالت إيمان على الفور:
- وبعدن فرحة مقالتش حاجة غلط .. الكلام ده حصل فعلا.. ماما كانت بتكلم هند وعلشان
كده عبد الرحمن فسخ الخطوبة
قاطعها يوسف:
- عبد الرحمن هو اللي قالك
هذ رأسها نفيا وقالت:
- لا طنف عفاف قالته وهي فاكريه عارفة .. لأنه كنت في اليوم ده راجعة من عند عمى في
الشركة .. كتنت بسألها على موضوع بخص ماما فهي افتكرت أنى قصدى موضوع هند
أبتسم يوسف بهدوء وقال لإيهاب:
- ماهو بالعقل كده .. عبد الرحمن هو اللي سمع هند وهو اللي فسخ الخطوبة ..لو كان بقى
متأكد أن حذ فيكوا موافق على الكلام ده .. أيه اللي هيخليه يتجز إيمان ..
قال إيهاب بعصبية:
- ما كنت لو كنت شوفته ببيعامل مع إيمان ازاي بعد يوم واحد جواز .. مكنتش قلت غير أنه
مكنتش عاوز الجوازه دى
أشاحت إيمان وجهها بضيق ولمعت عيونها بالدموع ثم قالت بألغ:
- لا يا إيهاب الحكاية مش زى ما كنت فاك.. عبد الرحمن ببحبنا وانا الوحيدة اللي أقدر
احكم عليه اذا كان اتجوزني يصب عنه ولا بأرادته
تابع يوسف:
- ولو كان كده حتي .. أيه اللي يخلية يقول على جوازتك من فرحة هو وبابا .. وبعدن لو
بابا عرف ان انتوا موافقين على كده أيه اللي هيخليه يقول على ده ويكمل .. مفيش حاجة
تخل بابا يقول انا إذا أتتأكد انكوا مالكوش دعوة بالحكاية دى وأظن انت اتعاملت معاه
وعرفته.
والمق نظرة على مريم واقترب منها ووقف بجوارها ثم تناول يدها بين يديه وهو ينظر
لإيهاب قالتا بتفكه:
بعدين يا جدع انت ايه اللذي خلاك تفكر انت هوافق تأخذ مراتي وتمشى.. هي سابقة ولا
أيه؟
حاولت مريم سحب يدها بهدوء من بين يديه ولكنه قبض عليها بقوة وهو يتابع حديثه مع
إيهاب:
- فرحة بتحبك يا إيهاب.. تلاقيتها بسن اتصدمت من الكلام اللذي سمعتها.. علّشت اعذرها لسه
 صغيرة
قالت فرحة ببكاء:
- والله هو كده يا يوسف
زفر إيهاب بضيق وهو يقول:
- لا مش صغيرة يا يوسف ... بس هي معاها حق.. أمي هي اللذي حطتنا في الموقف ده
وخلت الناس توصلنا على أننا طمعانين فيهم ونعمل عليهم خطط عشان نوصل لفلوسهم
ونظر إلى إيمان بضيق وقال:
- وانت غلطك أكبر أنتز عرفتي حاجة زي دى ومقولتيش في ساعتها ..انا ماهي رايح شقتنا
القديمة
خرج إيهاب مسرعاً ، هرولت إيمان وفرحه خلفه وهي تناديه:
- أستنى بس يا إيهاب أستنى ...
كان يوسف يستعد للنزول خلفهم ولكنه وقف على الباب واستدار على صوت هاتف مريم
وجدها تأخذه وتدخل غرفتها وهي تتكلم بصيبة واضحة:
- ياوا يا ماما .. خير عاوزه ايه مني تاني
تتبعها يوسف إلى غرفتها في فضول ووقف يستمع لها من خلف الباب المفتوح ، لم يبذل
جهدًا لستمع لأنها كانت تصيح وهي تتحدث:
- أدب أية اللذي أكلك بيه .. مش كفاية اللذي عملته فيه .. إيهاب هيطلق مراته .. فاطمة مرات
عمى قالتلها على اللذي عملته مع هند .. وإيمان مش مرتحلة مع جوزها وقاعدة معايا على
طول .. وانا جوازتي مش هتكمل .. إيهاب ساب البيت وانا أول واحدة همشي وراه .. أهه
اتهمت .. حرام عليكي بقى .. ولعله حتى لو يوسف قبل يكمل الجوازه أنا مش هكملها ..

تختيطك كله حطم حياتي .. عارفة يعني أيه حطم حياتي .. أوعي تتبسطي وتفكرى أن
الجوازات دى كلها جات على هواكي لا يا مدام أحلام .. يوسف قبل يتجوزنى علنها يتصر
عليا عارفة معنى الكلمة دى ولا مش عارفها ..

قالت آخر كلمة وهي تصرخ ثم سقطت مغشيا عليها ، وقع الهاتف من يده ودخل يوسف
عليها وهي ممددة على الأرض وقد سمع ما قالت ، حملها بين يديه ووضعها على الفراش
وجذ بهنل إليها بتمعن وإلى ملامح الام التي بدت على وجهها ، أضاءت صور مشاهد
الإغتصاب في عقله ؛ صورة تلو الأخرى ، تذكرها وهي مغشيا عليها في المرة الأولى بين
يديه ، تذكر وهو يحاول خلع ملبسها وتمزيقها وهي فاقدة الوعى ، ثم تذكر صفعة أبيه
فارتبت رأسه إلى الخلف.

***

فتحت عفاف باب شقتها على صوت فرحه وهي تهرول خلف إيهاب وتناديه وتبعتها إيمان
أوقفت عفاف إيمان في خوف وقلق ؛
- في أيه يا إيمان ؛ فالفرحة وإيهاب ؟

وبدون مقدمات أرتمت إيمان على صدر عفاف وهي تبكي بشدة ، لم تستطع عفاف أن تفهم
شيئا من كلام إيمان ، أدخلتها للداخل وتركب الباب مفتوحا ؛ جلست بجوائها ولكن إيمان
ظهرت متشبئة بحضن عفاف وتواصل بكلماتها مما جعل قلبها يخفق بشدة وهي تقول :
- مالک يا بنتي احتكفي أيضا اللئ حصل مالكمس يا ولاد
عذت فرحه ودخلت عند أمها عندما وجدت الباب مفتوحا وسمعت صوت بكاء إيمان ، دخلت
وانتهرت على أول مقعد وجدته وهي تقول بنفس مقطع :
- ملحوتش خلاص يا ماما إيهاب هيطلقت 
تركت إيمان ونهضت في فزع وهي تضرب على صدرها :
- يطلقلي ليه عملى إيه
لتمكان إيمان تبكي لما فعله أخيها وحسب ، ولكن لأنها لأول مرة تلتقت للسبب الذي ظنته
حقيقى في جفاء عبد الرحمن منها في أول أيام الزواج وجعل عقلها يرد الكلمات تباعا :
- "يعني هو ممكن كمان يكون متصور اني بنفذ تخطيط أمي.. ده غير أنه كان مغصوب علیا أومال ليه قالى انه ببحنی وليه معاملته اتغيرت وكلمه اتغير "

استمعت عفاف لرواية فرحة كاملة وكان ردد فعلها بالنصرة لهم عجيب ، لم تتفوه بكلمة وإنما دخلت غرفتها بدت ملابسها وخرجت بعد ثوانى وفي عينيها صراقة غريبة عليها

قالت إيمان بصوت لم يخلو من البكاء :

- رايحة فین يا طنط ..

لم ترد عليها وهي في طريقها للخارج وقفت فرحة مكانها وهي تنظر إلى أمها بدهة وهي تقول بخففوت :

- رايحة فین يا ماما دلوقتى

لم ترد أيضا وأنا تابعت طريقها ، خرجت وأغلقت الباب خلفها

***

نهضت مريم فزعه عندما فتحت عينيها ببطء ووجدته يجلس على طرف فراشها، وقف في سرعة وأبتعد خطوات عندما رآها تلف ذراعيها حول قدماها وتتنظر له في خوف وفزع وقال :

- متخافيش .. أنا مكتش نسية نزلت لما مامتكم اتصلت بيك وسمعتك وانت بتصرخ ويعي وقعت علي الأرض مكانك ينفع اسميك واخشى

نهضت بخوف وهى تهروال نحو باب الغرفة ومنه إلى باب الشقة التي وقفت عنده وقالت باضطرب :

- أنفعض أطلع برها

أقترب منها ووقف ينظر إليها في صمت فقالت مرة أخرى :

- يقولك اطلع برها

ظل ينظر إليها بصمت وأخيرا تكلم وكان صوته يأتي من بعيد قائلًا :

- مروحتش ليه توصلى اختك واحوى المطار يوم فرحهم
قالت بحنق وتوتر:
- ملكس دعوة بيا مفيش بيني وبينك كلام
- أعاد سؤاله بنفس الطريقة وقال:
- أتكملي.. كنت طالع الشقة المفروشة ليه
حاولت أن تصبغ صوتها بنبرة تحذير قائلة:
- أنا بحذرك تستمر في اللي بتعمله.. آنت مصمم تشوه سمعتي علشان تبرر عملتك السودة ..

أتفضل أطلع بره بقلك

 أمسكها من ذراعيها بقوة قائلان بغضب:
- أنا شفتك بعيني وانت طالع معاها والشابين اللي كانوا معاكوا وروحت سألت الباب وقالى أنها شقة مفروشة وانكوا بنت مش محترمة

نفست ذراعيها بقوة وهي تهتف به:
- كداب .. كداب أنا كنت طالعة شقة سلمى ودول ولاد خالتها

 أمسك ذراعيها مرة أخرى وقال حانقا:
- أنت هتستعبطي .. عاوزه تفهميني انك سبتي اختك واخوكى ورايحة معاها شقتها ولما هى شقتها الباب ليه قايلى كده

تملست منه وخرجت خارج الشقة وقالت بصوت مكتوم من البكاء:
- علشان تعرف انك كداب وبيقترى عليا ..

نظر إليها نظرة باردة وتركها وذهب

***

وقفت فاتمة في ذهول أمام عفاف التي يطل الغضب من عينيها وتتحدث وكأنها امرأة أخرى
امرأة غير التي كانت تتعامل بطريقة وصبر ، وكأنها قطة بريئة تدافع عن صغارها في شراسة
- أنا صبرت عليكم كثيرًا يا فاطمة و كنت بقول معلش دى عشرة عمر .. معلش دى سلفتى.

قبل ما تكون جارتي وليها حق عليا .. لكن يوصل كرهك لي و ولادى انك عاوزه تخبرى عليهم كلهم كده مرة واحدة لا أنا مش هسكتلك تاني يا فاطمة و هووفقك عند حدك.

لأول مرة تشير فاطمة بالقلق من كلمات عفاف وقالت بتوتر:

- أنا مكنش قصدى يا عفاف انا كنت بكلم فرحة و الكلام جاب بعضه

ضحكت عفاف بسخرية لارعة وقالت بصرامة:

- أنا عارفاء كويس و عارفة أنك عمل ماكنشى هنزوري بنتى إلا لما تكونى عاوزه حاجة

أوعي تكونى فكرتك أنى ساكنة عليكمي ضعب .. أنى ساكنة راحة بحالك عسانى عارفة الغل اللي جواكي واللى مخلبوكي تاكلى في نفسك .. طلعتي الغل ده زمان و خليتي أحلام تأخد عيالى و تهرب و دلوقتى جاية تكملى فى ولادي يا فاطمة لا أنا مش هقف ساكنة تاني و اسبيلك تهدي بيوتهم زى ما هديتى زمان

صرخت فيها فاطمة:

- أوملأ كنت عاوزاني اعمل أنه .. كنت عاوزاني اعمل أنه وانا شابية جوزى بيحب مرات

أخوه وعنيه هتطعى عليها .. كنت عاوزاني اعمل أنه وانا شابية نظراتها كلها احتقار ليا و تريقة عليها في الرؤية و الاكية .. طبعاً منا مش مالية عين جوزى

هتفت بها عفاف:

- وعلسانى انت حاسة بالنقش من ناحية جوزى تقومى تدمرى عيلة بحالها و جاية دلوقتى

تكملى يا فاطمة على ولادي

قالت فاطمة بانهيار مفاجئ:

- ولادى .. ولادى اللي طول عمرهم بيعاملوا أحسن معاملة .. حتى إبراهيم كان حاطتهم فوق ولادوا و بيعدمهم على ولادوا .. أنا حقى مش هيفضل طول عمره مهضوم بينك شوية و بين أحلام شوية

هوت إلى المقعد وقالت وكأنها مغيبة عن الواقع:

- طول عمرى بسمع جوزى بيشكر فيكي و بيقولى اتعلمي من عفاف طول عمرى حاسة انى أقل منك .. أطلع عندك اشوف جوزى يريدك ولحد ما كبر في السن وهو يحبك و طلباتك
أوامر وعيائل ممتعين على الآخر وواخدين حقهم تالت ومتل.. أصب على نفسى الأقينى
مش عاجبة جوزى ابدا مهما عملت .. وحتى ولادى مش عاجبينوا وعلى طول يقولهم
عوازوكما تبعوا لوات حسین .. ليه انتوا أحسن مننا فاي؟ .. لاه انا ولادى مش هنفضل
ملطفة ليكي انت وولدات أحلام .. ولو جوزى حطنة تحت رجلكم ابني هيحتني فوق رأسك
وبكره تشوفوا.
قالت عفاف بحسب وكأنها لم تسمعها:
- أنا مش هديد كلامي يا فاطمة .. أبابى تقربى من ولادى ولا من حياتهم .. ولو حصل ده
ساعتها ماتلواش غير نفسك.
خرجت عفاف وصفعت الباب خلفها بقوة ، أسندت فاطمة ظهرها للمقعد وهي تغمض عينيها
بقوة وتتنفس بصعوبة ، ولم تكن هي الوحيدة التي تنفس بصعوبة ، بل كانت وفاء أيضا
التي استمعت إلى الحوار بكلمة وهي تقف خلف باب غرفتها، جلست على فراشها وبدأت
دموعها بالإنهيار

***

- أنتِ أيه اللّى خلاكى تحكيلوا يا غبيه؟

هتفت علا بهذه العبارة وهي تجلس بجوار هند مؤننة لها فقالت هند في ارتباك:
- معرفش بقى .. أنا لما ملقتكش وهو عزمنى على حاجة في مكتبه قد بجريرى في الكلام
واتكل بطريقة كأنه عارف كل حاجة .. وبعدين يعني أيه المشكلة إنه يعرف

زفرت علا في ضيق وقالت:
- أنتِ هتفضلى طول عمرك كده .. ماتشغلى عقلك شوية .. دلوقتي أحسنا استفدنا أيه لما هو

عرف
- هو احنا لازم نستفيد يعني

زفرت مجدداً بنفاد صبر قائلة:
- هفضل أفهم فيكي لحد أنتى .. لما تكونى عارفة معلومة تخليكى محتفظة بيه..
متعلقيهاش إلا إذا كنتى هتستفيدى .. لو مش هتستفيدى يبقى تخاليها معاكى لحد ما تلقي
فرصة تخليكى تتقدمى خطوة ساعتها تقوليها
واستدارات في شرود قائلة:

- وبعدين احنا لازم نلحق الموقف لازم نستفيد من اللي حصل
قالت هند متسائلة:

- أزاي يعني.. ما خلاص ده خذ المعلومات مني وطار..
ألتفتت إليها علا:

- أنا متأكد انه زمانه قال لامي.. الفترة اللي عرفته فيها عرفت انه بتاع امه.. وانه ميبخبيش عليها حاجة.. لازم نشوف حاجه تطلع بيها من الحكاية دي بسرعة
ثم لمعت عينيها بقوة وقالت ل- هند:

- أسمع اللي هقولك عليه ده ونفيزي بالحرف الواحد
لو عمليته صح هترجع مهمه تاني عند الحاج حسين وهيثق فيكي وهمبقى خطوة مهمه
أو علشان ترجع تفقتهم فيكي تاني

***

وقفت هند على باب مكتب الحاج حسين تنتظر الإذن بالدخول، خرجت إليها السكرتيره قائلة:

- أنفضلي

دخلت في ارتباط مصطنع وقالت بصوت خفيض:

- أنا آسفة يا حاج اني هعطل حضرتك

أشار لها بالجلوس أمامه قالت:

- خير يا هند ايه الحاجة المهمه اللي عازنان فيها
قالت في توتر:

- أنا آسفة بس في حاجه حصلت غصب عنى وانا قلت اجى الحق اقول لحضرتك قبل ما حاجه تحصل من تحت راسي
أسمع لها الحاج حسين في اهتمام ثم تصنع الا مبالاة وهو يقول:

- خلاص يا هند متشكر أوى تقدر تتفضلي

وقفت وهي تطرق برأسها للأسفل وقالت:

- أنا آسفة تأتي مرة يا حاج حقيقي كنت فاكرة أنه عارف لكن لما بان علي وشبه أنه أول مرة يسمع الكلام ده افتخست وافتكرت مى كده ممكن أتسب في مشكلة ثانية .. أصل اننا

اتعلمت من اللي حصلى أول مرة لما افتكرت يعني انكوا قرابب مع بعض ومفيش ضرر

هيجحل لحد من تحت راسى .. علشان كده جيت بسرعة المرة دي علشان اقول لحضرتك

ثم نظرت له بضعف قائلة:

- أنا اتعلمت من غلطى يا حاج حسين واخدت عهد على نفسى اني مكرروش تاني والله

أومأ برأسه متفهما وقال:

- خلاص يا هند .. وعموما مفيش مشكلة ولا حاجة متفقيش بالا تفضلي على شغلك

خرجت من مكتب وعلش تحت ابتسامة نصر وأغلقت الباب خلفها بهدوء .. بمجرد أن

أغلقت الباب تناول حسين الهاتف وأجرى أتصالاً بالمنزل .. في البداية لم يتم الرد في المرة

الثانية أجابته فرحة وهي تبكي:

- ألحقيتي يا بابا....

روت له ما حدث وظل يستمع حتى قال:

- ومرهم وإيمان فين دلوقتي

بكت مرة أخرى وهي تقول:

- لسه ماشين رايحين يقعدوا مع ايهاب

تناولت عفاف سماعة الهاتف وقالت:

متفقيش يا حسين أنا هاخدها هي يوسف دلوقتي ونروحلهم

- قاطعها قائلاً:

لا خليكى انت .. خالى يوسف باخد فرحة ويروح وانا هحصلهم
بمجرد أن أنهى الاتصال وجد عبد الرحمن يتصلى به ردا قالا:
- السلام عليكم .. أزيك يا عبد الرحمن يابني
أتاه صوت عبد الرحمن قلقا وهو يقول:
- وعليكم السلام يابابا .. الحمد لله أنا كويس .. بس أنا بتصل بإيمان بقالى كثير أوى وتليفونها مفقولا ومش بترد على تليفون البيت .. وبكلم البيت عند ماما تليفونهم يا أما مش بيرد يا أما مشغول طمنى يا بابا في حاجة عندنا في البيت؟
قال حسين بهدوء:
- انت جأي أمتى
- بكره بالليل ان شاء الله

***

الفصل الخامس والعشرون

جلس الحاج حسين بجوار زوجته وهو يعتبها :
- ليه كده يا عفاف .. أنا مش قلت محدش يفتح في القديم تانى
حاولت أن تسيطر على انفعالها وهو تقول:
- يعني أقف اتفج عليها وهي بتهد بيوت عيالي يا حاج .. لا والله ده لاييمكن يمر بسهولة أبدا .. كله إلا ولادى .. أنا صبرت عليها كثير لكن توصل لخرب البيوت
تابع حسين حديثه معاً:
- من أمتي يا عفاف وانت بتردلى كلمة
قالت عفاف بلوم:

- يا حاج أنا سمعت كلامك كثير وتعاملت بالحسنى مع فاطمة.. ياها كنت بتقولي ملش غيرتنه خديها على قد عقلها لكن الغيرة توصل لكدك ومع ولادك وتقولي مفتشح القديم

نظر لها بحده قالا:

- واستفدنا ايه بقى... كل اللي اتقال مش هايصلح حاجة وادينى اتصلت بإيهاب ومريم
قالتلي مش عازوز يتكلم ونايم من ساعة ما رفعوا البيت.. وإيمان كمان شيطانها هيألها ان
عبد الرحمن كان مصديق الكلام ده.. وأنا كمان قلت نأجل زيارتهم لبكرة.. هو يكون عبد
الرحمن رجع وتكون النفس هدبت شوية.

ثم التفت وكأنه تذكر شيئا وقال:

- أومال يعني مشوفتش يوسف من ساعة ما رجعت

أنتبهت هي الأخرى وقالت:

- والله ما اعرف راح فيه .. فجأة كده اختفى
قالت وقد بدا عليها القلق:

- طب والفرح والناس اللي عزمناهم .. دى شقة مريم خلصت وهدومها اترست فيها
هى يوسف
قال في حسم:

- كل كوم والفرح ده كوم ثاني .. الفرح هيتعمل في معاده مش هيتأمل يوم واحد

***

طرقت إيمان باب غرفة إيهاب وهي تقول:

- إيهاب يالا عشان تنغدى

أتها صوته الحزين:

- ماليش نفس يا إيمان اتجدوا انتوا
فتتحت الباب ودخلت إليه فوجدته يجلس على طرف الفراش واضعا رأسه بين يديه، عندما شعر بها قال دون أن يرفع رأسه:
- لو سمحتي يا إيمان سبيئي لوحدي دلوقتي.

جلست بجواره ورمت على كتفه وهي تنتظر ابتسامتها انتزاعا وقالت:
- يا إيهاب انت قاعد لوحدك من امبارح .. لازم تخرج من الحالة دى دلوقتي لازم نتكلم ..
 يوسف عاوز يتكلم معاك كلمتين
رفع رأسه تجاه الباب فوجد يوسف يقف مستندًا إلى حافته وقال:
- ممكن أدخل يا باشمهندس
قال دون أن ينهض:
- أنفصل يا يوسف
قال يوسف متفهما:
- أنا حاسس بيك.. بس الحكاية متناولكش فقش كده .. بطل الحمقة بتاعتك دى .. ده انت مدتهاش فرصة نتطلق.
قالت إيمان على الفور:
- والله فرحة بتحبك أوى يا إيهاب
قال دون أن يتلفته إليها:
- صدمتني يا إيمان .. آخر واحدة كان ممكن اتخيل انها تعمل كده .. كنت فاكرها حافظاتي وفاحمانى وأوى حد هيجيب سيرتي في غيابي هتدافع عنى من غير حتى ما تسألنى حاولت أن تداويه وهي المجروحة وقالت:
- متظلمهاش يا إيهاب .. أى واحدة في مكانها هتتلخيش ومتعرفش تفكر
لم يأتيها منه ردًا فقالت بترجى:
- أديها فرصة تدافع عن نفسها يا إيهاب.. ده ربنا سبحانه و تعالى بعزته وجلالة مش هيدخلنا الجنة أو النار يوم القيامة إلا لما يخلينا نقرأ كتاب أعمالنا "قرأ كتابك كفى
بنفسك اليوم عليك حسبا". حتى العبد المؤمن ربيا سباحته وتعالى هاياعاته زي ما الرسول عليه الصلاة والسلام قال "اما العبد المؤمن يدنى ربه فیضع عليه كنهه فیقرره بذنوبه ڤیقوق أتذکر ذنب كذا وكذا أتذکر ذنب كذا وكذا"، قال : حتى إذا ظن أنه قد هلك قال : أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم: فيعطى كتاب حسانته بيمينه " أوما برأسه وقد هدا قليلا وهو يقول : 
- عليه الصلاة والسلام.ربنا يبارك فيکى يا إيمان أخترقت هذه الكلمات قلب وعقل يوسف الذي كان جالسا في شرود ويستمع لها وهي تتحدث "انا كمان مدتش فرصة لمريم انها تدافع عن نفسها. كنت القاضي والجلاة من غير ما اسمع دفاعها. كنت بسمع عنها أضواء شيء في الدنيا وفي نفس الوقت ماكانش بديها فرصة تتكلم .. أزاء أحکم من غير ما اسمع من الطرفين ده انا كده ابقى سيفه واستاهل كل اللئي جرالي "
أنتبه الجميع على صوت رنين باب المنزل ارتدت مريم أسدال الصلاة وخرجت من غرفتها التي دخلتها بمجرد أن علمت أن يوسف بالخارج ، فتحت الباب وسمعتها الجميع وهي تحتف بدهسة: 
- ماما !!!
خرجت إيمان وتبعها إيهاب ثم يوسف لیجدوا والدتهم تقف على باب المنزل ويظهر عليها القلق والإضطراب وهي تخطو داخل المنزل وتتجه لتعانق أولادها ، قال إيهاب وهو يشير إلى يوسف: 
- يوسف ابن عمى يا ماما
ثم افتتح إليها بتسائل: 
- هو حضرتك جبتي أميتي
قالت وبصرها معلق بمرير: 
- لسه واصله
وقالت موجهة حديثها لمريم :
حدثت أول طيارة نازلة مصر بعد مكالمتك امبارك
قال يوسف بارتباك:
طيب استاؤن أنا بقى
خرج يوسف وجلست أحلام بين أولادها الثلاثة، نظر أيهاب إلى مريم قائها بحقن:
طبعا كلمتها وحكتها التفاصيل
قالت أحلام بغضب:
- لا مكالمتشي يا باشمئدس .. أنا اللي كلمتها ومعرفتش تفاصيل ولا زفت وبعدن يغنى
هي جريمة انها تكلم أمها
نهض بعصبية قآلة:
- لا مش جريمة .. لكن الجريمة اننا نقعد نتجسس على ناس ونخطط علشان في الآخر ناخ
فلوس مش من حقنا أصلا
وقفت أمامه وقالت بغضب:
- أتكلم مع أمك كويس يا ولد .. أنت نسيت نفسك ولا أيه .. وبعدن مين قال ان الفلوس ذي
مش من حقكم أوعي تكونوا صدقوته ونسيتوا كلامي
قالت إيمان بمرارة:
- لا يا ماما أحننا مصدقانهمش أحنا صدقتنا الورق اللي شفناه بعيننا
قالت في تهكم:
- وائيه يعني ..هما يعني هيطلعوا الورق الحقيقي أكيد ورق مزور
وقفت إيمان ونظرت في عينيها وقالت:
- وأعلن الوراثة كمان مزور .. والورق اللي بابا ماسه بخط أبدأ على أنه استلم ميراثه كله
يا ماما .. كل ده مزور .. مفتش داعي للكلام ده يا ماما .. أنا اتآكدت من كل حاجة بنفس ..
ظهر الإضطراب والتوتر على ملامح أحلام ، تابع أيهاب بحقن:
طبعا حضرك مكتشف متخيلا أنهم هيرونا ورق ده أبدا. ما عرف ليه. يمكن
علشان مكتشف متخيلا أن حد فينا يسأل عن الحقيقة. علشان زرعت جوانا الخوف منهم
من واحنا صغيرين. افتكرت أن محدش فينا هتجيله الجرأة وروح يسأل ويدور وبطلع
المستحبى. مش كده

نظرت له أحلام بارتباك وقالت:
- وقالوكوا أيه كمان عنى
قالت إيمان بحفوت:
- الشهادة الله محدش جراح سيرتك قدامنا أبدا
تنهدت بارتباح ثم قالت بغطرسة:
- ومحدش أصلا يقدر يجيب سيرتى بحالة

ويدون مقدمات توجه إيهاب لباب المنزل وفتحه وهو يقول بضيق:
- أنا خارج شوية

جلست أحلام بين مريم وإيمان وقالت لمريم:
- أنا عاوزه افهم أيه الكلام اللي قلتيهولدى في التليفون ده
زاغت نظرات مريم بين والدتها وأختها ففهمت أحلام أنها لا تريد أن تتحدث في وجود إيمان
ألففت إلى إيمان وهي ترت على يدها وهي تقول:
- بغض النظر عن مقابلتك الباردة دى. لكن وحشني طبيبك هتتكلينى ولا إيه

أبتسمت إيمان أبتسامة باردة ونهضة وهي تقول:
- أنا أصلا كنت بخلص في الأكل قبل ما يوسف بجي. عن أذنكم

وذهبت للمطبخ. تناولت أحلام يد مريم وقالت:
- تعالي نقعد في أوضتك...

دخلت وأغلقت الباب واستدارت لمريم بجسدها كله وقالت بحسم:
فهمي معنى الكلام اللي سمعته في التليفون ده .. يعني أبي يوسف وافق يستر علي.. أنتِ أية اللّي حصلك بالظبط .. عمل فيكي أبي ابن حسين

جلست على طرف الفراش وهي تبكي وقالت بصوت متفق:

- مش هو اللّي عمل يا ماما .. أنت اللّي عملتى

نظرت لها بحدة وقالت:

- ينقول أبي يا مريم

مريم:

- يقولك الحقيقة يا ماما .. أنت معلمتيش ازاي احافظ على نفسك فكان من السهل أى حد ينحشى .. من صغيرة وانت بتجبلي لبس مكشوف لما بقى كشف جسمى شيء عادٍ ..

كنت بالبيس قدامك عرّان وضيق وانت بتسيبى اخرج كده من البيت .. مكتش بتحافي على لحمي للناس تنبّش بعيّها .. كل ما كان إيهاب يضايق ويتكلم تقوليلوا دي لسه صغيرة خليها تتمتع بسنين خليها تلبس وتخرج خليتني معرفش أفرق بين الحرام والعبد .. طول ما لوسي في بنت تانية بتلبسه يبقى عادي .. وكل ما إيمان تقوللك اللّبس ده حرام تقوليلها ما أصحابها بيلبسوا كده ولا عاوزاها تبقى نشاز وسط أصحابها .. كنت باحكيك على صحابي الولد في المدرسة وكنت يتضحكي وتتبسطي ان بنتك كبرت وبيقى ليا اصحاب واد وكنت بتكربيها في دماغي وتقوليلي وماله بس حافظي على نفسك .. هو في حد عاقل يقول نحن وردة في وسط كوم زبالة وتفضل الورداء محتفظ بريحتها الجميلة .. طب ازاي .. طب

احافظ على نفسى ازاي وسط كل ده .. أحفظ على نفسى بأنهى مقياس .. بمقياس العيب اللي خلصي أقد أصلح وناول لو كان عيب مكشى كل البنات دى عملته .. ولا بمقياس الحرام اللي لو كنت مشيت وراه زي إيمان كان زماني محترمة ..

أنهارت أحلام على المقعد وهي تقول:

- أنا كنت بحبك وعاوزاكي تبقى مبسوتة وزيك زي أصحابك

قالت مريم بأنفاس متلاشية من كثرة بكائها:

- لو كنت بتجبلي كنت سترتي جسمي ولو غصب عنى .. كنت خفتى عليا اموت وانا كده وادخل قبري اتحاسب .. كنت منعتنيم أكبر ولاد وعلمتنيم أن ده حرام .. كنت علمتنيم ازاي
أنقى أصدقاء وعرفتني أن مفيش حاجة اسمها ابقى كويسة وصاحبتى وحشة وماليش
دعة .. وادي النتيجة سمعتى اتشوهت ولحمى انتهش
أمسكت أحلام ذراعها بقوة وأوقفتها أمامى .. وهي تحاول خفض صوتها:
- قوليلى مين اللي عمل فيكى كده .. يوسف ولا مين

هزم رأسها نفيا وقالت:
- يوسف معمل حاحة .. يوسف هو اللي ستر عليه ووافق يتجوزني

ونظرت لها بتهكم قاتلة:
- شفتى بقي الناس اللي كنت بعتاني انتقم منهم وألحب على ابنهم وقلتى عليهم انهم سرقوا
ابويا وخدوا ميراثنا .. هما دلوتى اللي ستروا بنتك .. وعمى ضغط على يوسف لحد ما
وافق انه يتجوزني وماعرفش أى حد أى حاحة ولا حتى اخواتى .. مفيش غيرى أنا وهو
ويوسف بس .. حتى مراته طنط عفاف مقلهاش حاحة وسترني وستر سيرتي عن كل الناس

قالت أحلام بذهول:
- أنت بتقولى أيه؟ واللى عمل كده متجوزكين ليه وراح فين فهمينى

قالت مريم بسرية لازعة:
- هو اللي عاوز الحلال بيروح للحرام برضة يا ماما ولا حتى بيفضل لحد ما حد يجيبه
يصلح غلطته .. طببا بيخطئى ومحدش بيعرفه طريق .. مشده المهم .. المهم انك تعفري
عمى حسين وفق جنبى اراى هو وابن عشان تعشى بقية عمرك تشكرهم وتحمدى رينا
إنه رزقنا بناس زى دول يستروا عرضنا.

بكت أحلم لأول مرة بحراها بمرارة شديدة وهي تنذكر ماكانت تنوى فعله وما كانت تخطط
له لتأخذ مال ليس من حقها .. وفي نفس الوقت يسبر هو ابنتى بكل شهامه ورجولة
ويخفى الامر عن الجميع ويضغط على وادى ليتزوجها .. ظلت تبكي وتتبكي بمرارة حتى
دخلت عليهم إيمان التي وقفت تنظر إليهما بتساؤل وقالت:
- بتعيطى كده ليه يا ماما

قالت أحلام بضعف:
- مفيش يابنتي...ففيش...
والنتقت إليها قائلة:
- أهلكلي ومتخفيش أخوكي عاوز يطلق مراته ليه
نظرت إيمان إلى مريم التي كانت تنظر إلى امها ودموها تنهمر في صمت شديد ثم أعادت
النظر إلى والدتها وهي تقول:
- هي مريم محتمليكح حاحة
ربنت أحلام على ظهرها وهي تقول:
- يابنتي قالتلي قولي ومتخفيش مني.. أنا خلاص مبقاش ملي قلق .. مش عاوزه حاحة من
الدنيا غير سعادتلي وستركوا وبس

****
أختلت أحلام بنفسها في غرفة إيهاب وهي تبكي على حالها وماوصلت إلىه مريم بسبب سوء
تربيتها وبسبب أهمالها لهم جميعا، لماذا ظلت تلك السنين العجاف تذكرب تنتمي فيهم كره
أعمامهم بالباطل وهي تعلم أن كلامها غير صحيح، هل هو داعى الأنتمام الذي كان يسيطر
عليها أم هو غبانها الذي أوقف عقلها في لحظة من اللحظات وصدقت كلام فاطمة وهربت
بالأولاد.

عادت ذاكرتها سنوات طويلة وتذكرت لحظة دخول فاطمة عليها هى وعفاف ويظهر على
وجههما علامات الفزع الذي كان مسيطر بشكل أكبر على وجه عفاف التي أخبرتها بأن
فاطمة سمعت حوارا بين إبراهيم وحسين وعاملين عندهما في المصنع يخبورهما بأنهما
يعلما أن علاقاتها بعضهم قائمة من قبل أن يتوفى زوجها علي سنوات
وأنه كان يراه بصفة مستمرة يصعد شقتها في وقت غياب زوجها ولا ينزل إلا بعد ساعات
وأنه كان عندها بالأمس وغادر بعد حلول الظلام، وأكدت فاطمة على أن حسين وإبراهيم
صدقا العاملين وبدأ يتشاوران بأمر الأولاد هل هم أولاد علي أم لا .. وقالت فاطمة يرغب
عندنا في الصعيد اللي بيشكو فيها بيعتلوها هى وولادها ومحدش ب يعرفهم طريق ومنتسش
ان علي كان بيشك فيكى في حياته وكان بيقول كده لحسين عشان كده كان سهل ان حسين
وإبراهيم يصدقو العمال دول"
تذكرت وجه عفاف الذي كان يحمل كل معاني الخوف والذعر على زوجها وهي تقول: "انا مش عازوته جوزى يروح في داهية .. ان ماليش غيره في الدنيا. ارجوكي يا أحلام خدى الفلوس دى واختفي شوية زى ما فاطمة اقترحت لحد بس ما براءتك تبان وبعدين ابقى ارجعى هنا تانى".

لو لم تكن فاطمة أعطتها أمارة بأن عصام كان عندها بالأمس فلم تكن لتصدق، ولكنه بالفعل كان عندها بالأمس وغادر بعد حلول الظلام، معنى هذا أنها مراقبة، ولكن هي بريئة، لم تكن هذه العلاقة قائمة قبل وفاة زوجها، كان مجرد شك من زوجها فقط، ربما كانت هي التي زرعت الشك بتصرفاتها لتجعله متعلق بها دائما ولتشعل نار غيرته بشكل دائم، كانت تظن أنه بذلك سيظل يحبها وسيظل يقربها ولكنها لم تخنه أبدا، تعرفت على عصام قبل وفاة علي، ولكن كانت علاقتهما عادية. نعم هو صارحها بحيث ولكنها كانت تصده بطريقة التي تجعله يتبث بالآمر أكثر. نعم لو كانت بريئة مانعة بالمانة لكانت دافعت عن نفسها بكل ما تأتي لها من أدلة فهي بطبيعتها ليست ضعيفة ولا مستكينة، ولكنها هي نفسها تشك ببراءتها الكاملة، فكيف هم سيصدقونها.

وفي الحال جمعت ما لديها من متباع وأموال وهربت مع عصام الذي أخبرته الأمر في عجالة وخوف هو أيضا على حياته وهرب معها، قالت أمام البواب بصوت مسموع "اطلع على المطار يا اسطي" وحجز لها عصام التذكر على بلد لم يفكرا بالذهاب إليها أبدا في يوم من الأيام وكان كل هذا تدبير الخوف لا تدبيرهم هم.

استفقت من ذكرياتها وهي تضرب الفراش بقبضتها وتقول:
- لو كنت سليمة ساعتها وواضحة من تصرفاتي ومن أني ست محترمة بجد مكنتش صدقتها بجبانى.

كانت واجهة وهي تقول:
- مكفاكيش يا فاطمة اللي عملتيه .. كمان جاية تخربى بيت ولادى ... لا ده انت حسابك نقل اوى

***
لم تكن تعلم مريم لماذا برأت يوسف، ولكن ما علمته هو أن أنها أرادت أن تلقن أمها درساً قاسيًا يجعلها تعيد التفكير في حياتها كلما تفتق مما هي فيه، لعلها تصلح نفسها وقد تخطت الخمسين من عمرها وقد بدأ الشيب يتسلل إلى خصلات شعرها ويزحف إليه ببطء.

ولكن الدرس لم يكن لأحلام وحدة فقد لاقت نفسها أيضاً دون أن تقصد نفس الدرس، نعم لم يكن يوسف هو المخطئ وحده، هي أيضاً تتحمل معه الوزير والذنب بل هي صاحبة الذنب الأكبر لأنها هي من دفعته ليشك بها وهي من أعطته انطباع سبي عن سلوكياتها.

هي التي دفعته دفعاً إليها وأخذت نفس سبيل والدتها التي اتخذتها منذ سنوات، لجأت إلى أشعار الغيرة في قلبها ورحت قلبه بعناية وبذرت فيه بدورة الشك وروتها بطريقة الخاصة حتى نبتت فكانت هي أول من اكلت حصاد الماء.

****

وفي المساء وبعد صلاة العشاء بقليل طرق حسين بابهم وبحصلته أبناؤه جميعاً "عبد الرحمن". "يوسف" و "فرحة"، لم يكن إهاب قد عاد من الخارج بعد، استقبلتهم إيماناً ومريم، وكاد عبد الرحمن أن يعانق زوجته ولكنه تمسك أمام أبيه وأخوته وصافحة بحرية ولكنها لم تستطع أن يترك يدها طوعية ولكنها سحبت يدها بهدوء وأقبلت على فرحة وعمها، خرجت أحلام إليهم، وقف حسين وهو ينظر إليها وكأنه قد عادت به السنوات في لحظة واحدة وكان تلك اللحظات لم يمر عليها سوى شهر قليلة، قطعت هي صمتها قائلة بترحاب:

- اهلا وسهلا يا حاج نورت ..

أومأ برأسه في وقار :

- اهلا وسهلا. حمد الله على السلامة

أشارت لهم وهي تقول:

- أنفصلوا يا جماعة البيت بيكم

لم يتحدث حسين معها كثيراً ولكنه شعر بتغير قد طرأ عليها، نظرت إليها الكثير من الأمل، هذه ليست أحلام المتجبرة، وكانت قد كسرت غطرستها فجأة، هل هو تقدم العمر أم شيئاً آخر!
لم يكن عبد الرحمن يجلس بينهم بل كان يغوص في عيون زوجته وكأنه يتحدث معها بلغة
العيون وهنا قالت فرحة بلهفة:
- أومال فين اهباب؟
قالت إيمان وهي تحاول تحاشي نظارات زوجها:
- خرج وله مرجعش
نهضت فرحة وقالت لمريم:
- عاوزاكي شوية يا مريم وهمست لها:
- ممكن تودينى أوضحة اهباب
أومأت لها مريم موافقة وأخذتها وأدخلتها غرفتة، طلبت منها فرحة أن تتركها في غرفته
قليلا وحدها وأغلقت الباب خلفها

***

تحدث الحاج حسين إلى أحلام قائله:
- أخبارك ايها يا أم اهباب؟
احلام:
- الحمد لله يا حاج أحنا كويسين طول ما انتوا كويسين
ثم نظرت إلى يوسف وقالت بانكسار وكأنها ترجوه:
- إن شاء الله الفرح في معاده؟
قال يوسف بحسم:
- إن شاء الله في معاده
نهضت إيمان وهي تقول:
- ثوانى هعمل الشاية يا عمي
توجهت إلى المطبخ تبعتها نظرة عبد الرحمن وتحرك في مكانه في لهفة ولكنه لم يقم
بعد، لاحظت أحلام ذلك فقالت له باختصار:
- أدخل لمراتك يابن
نهض مسرعا خلفها موجها نحو المطبخ، فجأة شعرت إيمان بيد تطويتها من الخلف وقبلة
تتبع على شعرها، حاولت أن تستدير فساعدها على مواجهته وقال وهو ينظر في عينيها:
- وخشتي.. كده برسة تسيبي بيتك من غير ما تقولين
تراجع خطوة للخلف وهي تقول بخجل:
- مكتش ينفع أصيب إيهاب لوحده
اقترب منها مرة أخرى قالت:
- يعني تقول تسيبي أنا
ابتعدت مرة أخرى وهى تقول بعاتب:
- وبعدين يا عبد الرحمن.. ممكن مريم أو ماما يدخلوا فجأة
نظر في عينيها في تمعن قالت:
- لا الحكايحة مش كده .. أنت اللي مش عازفاتي أقرب منك .. طب أنا عملت أيه مزعلي مني
قوليلى
شعرت إيمان بالإحراج من أن تتحدث في الموضوع مرة أخرى فقالت:
- صدقتي مفيش حاجة .. أنا بس مش نفع تبخير أصيب اخواتي لوحدهم
قال عبد الرحمن بضيق:
- يعني مش هترجعى معايا إلا ببهم
أومأت برأسها قالتة:
- متزعلش بس كمان ماما لسه وصلة النهاردة مينفعش أمشى وسببها
أطرق برأسه وقال بحنق:
الفصل السادس والعشرون

- أنا بعفيك من جوازك مني ..

تفحص ملامحها الهادئة في سكون يحاول أن يستشف ما خلفها وقال:

- مش فاهمك

أحتفظت بملامحها الهادئة وهي تقول له:

- زى ما سمعت .. أنت عملت اللي عليك وكتبتك كتابي مش مطلوب منك أكثر من كده .. أنا خلص بقى معايا قسيمة جواز ولم تطلقني هييقي معايا قسيمة طلاق وكل واحد فينا بدأ حياته صح .. اعتقد أنك فهمتني

مسح على رأسه وقال في توتر بالغ:

- يس أنا مش هطلق
نظرت له بذهشة وتساؤل فأردف على الفور بارتباط:

- قصدى يعني مش هطق دلوقتي.. المفروض انا نعمل فرح ونعيش مع بعض قدم الناس
وبعدين نبقى نطلق .. وبعدين في حاجة مهمة عرفتها عن سلمى والبيت اللي قلتى انه بيتها
لازم اقولك عليها

قاطعته رافضة لحديثه:

- لو سمحت ده مش موضوعنا دلوقتي .. ومن فضلوك توافق علشان ..

في هذا اللحظة فتح إيهاب بمفتاحه ودخل ، تفاجأ بيوسف ومرم في ردهة المنزل، حاول
يوسف أن يبتسم وهو يصافحه بحرارة:

- أيه يابني فنكم من بدرى ...

إيهاب:

- معلش كنت مع واحد صاحبي .. أنت هنا من أنتى
قالت مريم بسرعة:

- عمي حسين هنا .. وقاعد جوه مع ماما

طرق الباب المفتوح ودخل إليهما ، رحب به عمه وعانقه وعاتبه قائلاً:

- أنا زعلان منك أوى يا إيهاب .. كده برضة متعليش اعتبار وتخاذ اخواتك وتمشي

خجل إيهاب وهو يقول:

معاك حق يا عمي انا غلطان .. معلش انا أصلى كنت غصبان جدا ساعتها مقدرتش استننى

وبعدين انا مشيت لوحدى وهما جم ورايا

ربت حسين على كتفه قالوا:

- أنا عذرك يابني بس مراتك ملهاش ذنب دى برضة لسه صغيرة واتفاجات زى ما يوسف
قالك كان لازم تديها فرصة تتكلم مش تمشي كده وتسببها

توتر إيهاب قليلا فهو مخطأ فعلا ولكن هذا لا يغير شيء في الأمر فقال:
- ياعمي انا غلطان .. لكن ده مش معناه انها مش غلطانة .. أزاي تصدق كده عليا دى عاشت معايا وعرفتى كويه

وهنا نهضت أحلام واقفة قبالتى وقالت:

- لا يا إيهاب لو اللى بتحكيلها صورتلها الموضوع على أنكم عارفين وعارفة كويه أوى هي يتعمل أى .. الكلام هيخيل على بنت صغيرة ملهاش خبرة زي فرحة مراتك نظر لها حسين متعجبها منها، لقد كان يتوقع أن تدافع عن هذه الزيجة بكل ما تملك ولكن طريقة حديثها هي التي أدهشت، كانت تتكلم كما لو كانت امرأة عاقلة تريد أن تحافظ على بيت ولدها لا لشيء إلا لرئب صدع حياته الزوجية فقط قال إيهاب بحنق:

- الكلام ده لو هي متعرفش طنط فاطمة كويه لكن هي عارفها

قالت والدته بثقة:

- لا يابنى .. إذا كنت انا كنت كبيرة وواعية وعندي خبرة كفاية في الدنيا وصدقت فاطمة من أكثر من عشرين سنة وباشرت للحاج حسين وقالت:

- واسأل عمك نظر لها إيهاب بدهشة قائلة:

- آنى مقلتلناش حاجة عن الموضوع ده نظر لها حسين بحذة قائلة:

- من فضلك يا ام إيهاب مش عاوز كلام في أي حاجة فانت .. ده لا من صالحك ولا من صالح أى حد فيه ولا هيحقق أي نتيجة قالت في سرعة:

لاء يا حاج هيحقق .. وانا متأكد ان إيهاب يعذر فرحة لما يعرف ان اللي ضحتت عليها هي نفسها اللي ضحتت على امه من سنين
أنتفتت إلى إيهاب وقالت بحماس:

- من غير دخول في تفاصيل مالهاش لازمة .. فاطمة حطت السم في ودن مراتك وخلطتها

متمخبطة زى ما حطت السم في ودان من سنين وخلتني اخدكوا واهر

قال في حيرة :

- مش فاهم

كانت نظرات حسين أن تخرقها محدزة إياها من الدخول في تفاصيل فقالت:

- ولا حاجة .. فهمتني ان اعمامك هبندوا وادى مني ومشي هخكون اشوفكم مدى الحياة

وادننا فلوس اهربي منهم وانا صدقتها بمنتهى الغباء

ربت حسين على كتفه بحنان قالن

- مراتك بتحبك يا إيهاب .. حتى يا سيدى لو غلطت سامحها ده رينا بيسامح مش من أول

غطسا كده تسبب البيت وتمشي أطرق برأسه متفهمها " هو يعلم أنها تحبه بل تعشقه " ، لاحظت أحلام بوادر الإقناع على وجهها فقالت بهدوء :

- مراتك في وضنك جوه ادخلها .. عاوزه تتكلم معاك أديها فرصة تتكلم براحتها

خرج إيهاب ونظر إلى يوسف ومريم يقفان أمام بعضهما وكأن على رؤوسهما الطير ..

صمت مطبق

تركها وتوجه إلى غرفته، وقف مترددًا بعض الشيء ثم فتح الباب ودخل ، تعلق بصره بفرحة وهي نائمة على فراشه ، كانت ترتدى ملابس نومه فوق ملابسها وتفت ذراعيها حول نفسها وكأنها تتخيله يعانقها ، تبدو كمهرجين السيرك بالملاصق الكبيرة التي تتديل من فيها لفرق الطول بينهما ووجنتيها وأففها حمراء للغاية من كثرة البكاء ، محياها حرك المشاعر الداخلة نحوها ، أعتدلها هي في فراشه وعقدت ذراعيها أمام صدرها بطفولية .

وهي تقول بعينين لامعتين من أثر الدموع:

- طب أعمل ايه .. كنت واحشني أوى ملقتش غير هديمك قدامى
تمساس إيهاب وهو يحاول أن يرسم ملامح الجدية ولكنه لم ينجح بشكل كبير ، بل لم ينجح على الإطلاق ، فابتسم وفتح ظراعيه لها وهو يقول بحب:

- وانت كمان وخشتيني أوى

هرولت إليه لتتفن نفسها بين أحضانه وبكت من شدة انفعالها واشتياقها لحنان زوجها واحتياجها إليه ، وجعلت تصرخ في صدره بقبضتها الصغيرة وهي تقول ببطفولة:

- زعلانه منك أوى .. زعلانه .. زعلانه زعلانه...

وهو يضحك ويضمها إليه أكثر وأكثر

كان الحاج حسين يقول لأحلام بثقة في تلك اللحظة:
- عارفة لو كنت كالتيني وقولتلي على مكانهم وقولتي جوزهم لولادى كنت هقولك وانا كمان ناوي على كده من غير ما تتعبى نفسى وتدفعى فلوس لهند وتقعدى تتجسي علينا عن طريقها

أشاحت أحلام بوجهها وقالت:
- معيش يا حاج تفكيير كان مختلف ساعتها مكنتش اعرف انك هتستقبلهم كده ولا هتعاملهم المعاملة دى

ضرب حنين الأربكة بجواره بخفة وهو يقول بسخرية:
- ومخفتش بقي لما تقوليلى على مكانهم اني أقتلهم .. ولا قلتي الراجل كبر وعجز

قالت في شرود:
- لا يا حاج أنا متابعة أخبرك كويض متسشارى اني كنت عايشة في مصر لحد ما إيهاب وإيمان خلصوا ثانوى .. و كنت متابعة كل حاجة من بعيد بس مكنتش عارفة أوصل للني كنت بتفكر فيه من ناحية ولادى.. حتى لما اتآكدت انك مش هتفكر تائيهم مقدرتش اقولك على مكانهم .. ولما جوزى جائته سفرية وأضطرنا نسافر والولد مرضايش يسافرو معايا كنت مطمئة انك حتى لو لقينتي مش هتأذىهم .. كل اللي كنت خايفة منه ساعتها انك تشهى سمعى قدمهم وتحكيلهم على عصاص ..

تابع هو بتهكم :
- وكنت عاملة حسابات ساعتها اني حتى لو شوهت صورتك فانت من قبلها وانت مشوها صورتنا وقايله علينا انا سرقتنا ميراث ابوهم .. يعني شيء طبيعي انا نفترى عليك .. مش كده يا أحلام.

أولات برأسها وقالت:
- مش هكدب... الكلام ده حصل لكن دلوقتي الوضع مختلف
حسين:

- وأيه اللي خلأه مختلف
قالت في امتنان:
- موقفك مع مريم انت وابنك يوسف وشهامتوكوا معانا
قال في شك وحذر:
- موقف ايه؟
قالت في ضعف:
- أنا عارفة اني مبتسح ففتح كلم في الحكايات اللي زى دى .. علشان كده انا مش هتكلم أكثر من اني اشكرك انت وابنلك .. اللي عملتوه مع بنتي محدش عمله قاطعهم دخل يوسف وهو يقول حارساً:
- عبد الرحمن نزل من غير ما يقول لحد .. وبكلمه مبيردش خطي الحاج حسين خطوات للخارج وهو يبحث عينيه عن إيمان قابل:
- اومال فين إيمان
قالت مريم وهي تستدير :
- هشوفها في المطبخ
دخلت مريم على اختها فوجدتها تبكي وقد أغورقت عينها بالدموع ، فقالت في قلق:
- كفاية بقى يا إيمان كفاية .. تعالى عمك عايزك ضروري
جفت دموعها وخرجت بجوار مریم وقفت أمام عمها وقالت:
- نعم يا عم حضرتك عازوني
قال في حنان:
- انت كنت بتعيطي؟ ..بس خلاص أنا كده عرفت
رفعت رأسها إليه بتسائل فقال:
- عبد الرحمن خلص كلمته معاكى ومشى .. مش كده؟
أومات برأسها وهي تمنع نفسها من البكاء مرة أخرى فقال:
- خلاص هو تلاقيه روح البيت أصله جا من سفر وزمانه هكآن عاوز يرتاح
قالت أحلام في حسم:
- طيب يالا يا إيمان روحي فيتك مع عفك
والتفتت إلى مریم قائلة :
- ولو عاوزه تروحى معاهما يا مریم روحي
حركت رأسها نفيا وقالت:
- لا يا ماما أنا هدفك معاك شوية .. لو إيمان عاوزه تروح تروح هي إيمان:
- لا أنا كمان عاوزه اقعد مع ماما شوية .. أنا هدف أشوف إيهاب
تحركت إيمان ودخلت إلى غرفة أخيها ونسبت أمر فرحة تماما ، فتحت الباب فجأة ثم أشاحت ووجهها وهي تبتسم في خجل ، فدفع إيهاب فرحة بعيدا عنه وهو يقول بفرح:
- يا دى الفضيحة من دى وأيه اللذي جابها في حضن يا إيمان
أبسمت إيمان رغم ما تعانيه وقالت بمكر:
- ها هتروح مع عمى وفرحة ولا هتقد في حضننا أنا هنا
تصنع إيهاب التفكير وهو يقول:
-
- بصي ياء إيمان أنت اختي وكل حاجة بس بصراحة يعني.. هروح طبعا.. أوقفته فرحة وهي تضحك وتقول:
-
- طب استنخي لما أقطع الهدوم دى بدل ما أنا عاملة زي البلياتشو كده
-
- بعد دقائق خرج إليهم إيهاب وفرحة ويشير على وجوهوهما البهجة ، نظر حسين إلى أحلام قاتلا:
-
- خلص يا إيهاب زي ما اتفقنا الفرح في معاهد يام الخمسة إن شاء الله
-
- تدخلت مريم قاتلة:
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
-
قالت أحلام بتردد:
- تسمحلي يا حاج احتر فرح مريم
قال على الفور:
- طبعا يا ايمان ده فرح بنتك
والتفت إلى ايمان:
- ها يا ايمان لسه مصممة متروحيش بيتتك
أطرقت برأسها وقالت:
- معلش ياعمي سبى على راحتي.. أنا عاوزه اقعد مع ماما اليومين دول قبل ما تسافر

***
كان عبد الرحمن يدور في غرفته حول الأريكة مرة وحول المقعد مرة حتى سمع صوت
رنين باب المنزل، خرج في سرعة على أمل أن يجدها قد عادت معهم ولكن أطرق في حزن
. لم تعد
ما الذي يشقيها مني .. لماذا كلما اقتربت تبتعد ..لماذا كلما غصت في عالمها تسلخ هي من
عالمى .. لماذا أنت كتومة إلى هذه الدرجة .. ليس من السهل أن تبيح بمكون قلبي .. لماذا يا
عذابي ؟
أقبلت عفاف على ايمان وفرحه في سعادة لم تكن تتوقع أن يعود إيهاب ولكنه عاد.
أخذ إيهاب زوجته وصعدا إلى شققتهم الخاصة ودخل يوسف عرفة أخيه ليطمئن عليه

: ..
- إيه يا عبد الرحمن اللئ خلاك تسيينا وتمشى ومكنتش بترد ليه على مكالماتي .. أنت عارف
كلمتك كام مرة ؟
استقبله عبد الرحمن بابتسامة باهتة وقال:
- خلاص يا يوسف معلش سبى لو سمحت دلوقتي
جلس بجوار أخيه قائلا:
- مالك يا عبد الرحمن في إيه

واستدرك قائلًا:

- مراتك كان شكلها مضايق أوى ايه اللئ حصل بينكوا

قال عبد الرحمن بالله:

- مقالتش حاجة بس شكلها مضايق من اللئ حصل ومن اللئ قالته مرات عمى ..هي حساسة

زى إيهاب ويتحب تحافظ على كرامتها

قال يوسف:

- بس إيهاب رجع مع فرحة .. يبقى أتيد بقى عاوزه تقعد مع والدتها زى ما قالت لبابا

ألتفت له عبد الرحمن قائلًا:

- هي قالت كده

أوما برأسه قائلًا:

- ايوه بابا قالها تعالى معانا قالتلو عاوزه اقعد مع ماما يومين قبل ما تسافر

***

خرج يوسف من غرفة عبد الرحمن متوجهًا إلى غرفته فسمع والده يناديه:

- يوسف

ألتفت إليه وأقبل عليه في اهتمام ولهفة وهو غير مصدق أنه سمع اسمه من فم والده اخيراً

قال:

- نعم يا بابا

وقف حسين ينظر إليه وقد لات ملامحه كثيرًا وقال:

- مريم كانت عاوزه ت أجل الفرح ليه؟

نظر له بدهشة قائلًا:

- وحضرتك عرفت ازاي
أعاد حسين سؤاله وكأنه لم يسمع تعليقه:

- مريم كانت عاوزه تأجل لية؟

يוסף:

كانت بتقولي أنا بعفيك من الجواز مني.. وكانت مصممة ومش عاوزه توضح السبب يمكن عشان كنا وافقين في الصالة مش عاوزه حد يسمعنا.. وبعدين ايهاب دخل ومعرفتش اكمل كلامي معاها.

أخرج حسين هاتفه وأعطاه يوسف قائلاً:

- الرساله دى مريم بعتتهاالي واحنا راجعين في السكة.. أقراها

أخذ هاتف والده وقرأ رسالتها " أنا فهمت ماما اللي حصلي .. بس مقولتهاش مين اللي عمل كده فيها .. وفيهمتها انك ضغط على يوسف عشان يستر عليا ويجوزني وهو وافق شهامة منه "

ظل يوسف يقرأها مرات ومرات وهو غير مصدق ما فعلته، نظر إلى أبيه متسانلا وقال:

- طب ليخ؟

قال حسين بخفوت وتثة:

- ده فسرلى سبب تغير أمها وكسرت نفسها قدامى وقال وهو يستدير وكأن الأمر ليس ذو أهمية:

- بس انت اتصرت كويس ودخل غرفته وأغلق الباب ، أبتسم يوسف وقد شعر ببداية لين والده تجاهه ولكنه يعرف والده جيدا، ليس من السهل أن يظهر مشاعره بسهولة

***

دفعت علا وليد بعيدا عنها بجدية وهي تقول:

- عيب كده يا وليد

قال وهو يحاول جذبها مرة أخرى:
- ليه بس يا حبيبتي.. أنت خطيبتي
قالت وهي تدفعه مجدداً:
- أدبك قلت خطيبتك مش مراتك...

أصطنع وليد الحزن ورسمه على ملامحه ببراعة وهو يقول:

- خلص يا علا براحتك.. خليكي كده بعيده عنى.. أنا بصراحة مش قادر اتتأكد من مشاعرك وانت بعيده عنى بالشكل ده..

ونظر لها نظرة جانبية وهو يقول:

- نتجوز ازاى وانا لسه مش متأكد من مشاعرك ناحيتي

جلست بجواره وقالت برقه:

- يعني ماما تدخل ولا هند هييقي المنظر مش لطيف .. وبعدين يعني هو انت لسه هتاكد من مشاعري ما انت عارف اني بحبك أطرق برأسه ثم نظر إليها بعتاب قائله:

- الحب من غير ثقة مالوش لازمة.. وانت مع الأسف مش يثققفي فيا أبدا .. حتى لما بنخرج مع بعض وبمسك ايدك بتحسسني انت بتمنى عليا وانك مش موافقة ونهض وافقا وقال بتبرم:

- بصراحة بقى يا علا أنا راح حامي ومحبش الاست اللي مشاعرها باردة.. كده مش هنفهم بعض .. لو انت يابنت الناس هتفضلى كده يبقى مفيش داعي نضيع وقت مع بعض اكتر من كده

اقتربت منه وامسكت يده قائلة:

- بس انت عارف اني بثق فيك ليه بتقول كده

أومأ برأسه بسخرية قائلة:

- اه صح بأمارة لما قلتلك تعالى اتفرجي على شقتك علشان تقوللي هتتوضب ازاي رفضتي وقلتلي لا ميصش
قالت علاء بهدوء ظاهري:

- يغنى ينفع يا وليد اروح معاك شقة واحنا لسه مخطوبين

قال بسرعة:

- هو انت هتقوحي تعملى ايه .. خلاص بقى متيش تقولينى خلست الشقة ولا لسه وتهتد

معاد الجواز امتى والكلام بتاعك ده .. وبعدين للدجاج دا خايفة مني وبعدين الشقة دى فى بيت عيلة يغنى مش هتبقي لوحدك معايا

ثم قال بنفاذ صبر:

- بصى يا علاء انا كده اتأكدت ان درجة مشاعرنا مش زى ما انا كنت متخيل .. أنت كده مش هتفهمينى .. لما بتعلمي كده وبتردى كلمى وانت لسه خطيبتي اومال هتعلمي ايه لما نتجوز تناول مفاتيح سيارته وهم بالانصرف وهو يقول :

- مستنئ ردك ...

 تركته يذهب وجلس تفكر وتدور كلماته في عقلها .. " أنا كده عرفت انك مش ناوي على جواز وانك خبطتي علشان ابقى سهلة معاك" .. ولمعت عينيها بخبث وهي تقول:

- ماشي يا وليد يابن الأكبر لما نشوف انا ولا انت.

***

اليوم التالى تقابلت مريم بسلمى في الكلية ، صافحتها سلمى وهي تنظر لها بسخرية وتقول:

- أزيك يا حجة مريم

قابلت مريم سخريتها بهدوء وقالت:

- يارب .. ادعيلى ابقى حجة بجد دى حاجة تشرف ان الواحد يزور بيت ربنا

شعرت سلمى بغصة في حلقها من وقع كلمات مريم عليها وقالت :

- اه اه طبعا هو حد يطول

وتتابعت :
- وأخبار العريس ايه
- الحمد لله تمام

أقبلت صديقة أخرى لمريم وعانتها بحرارة وهي تقول:

- وشتينتي أوى يا مريم

نظرت سلمى صديقتها الأخرى بتهكم، فقد كانت هي الأخرى محتشمة في ملابسها فقالت سلمى للفتاة:

- أنت بقى صاحبتها الجيدة

نظرت لها صديقتها بنظرة هادئة وقالت:

- ودي حاجة تزعلك يا سلمى

نظرت لها سلمى بدهجة وقالت:

- ايه ده انت تعرفينى

قالت:

- الكلية كلها عارفأى شباب وبنات ... ده انت اشهر من النار على العلم

ثم نظرت لمريم بابتسامة مشاغبة وقالت:

- ربنا يبعدنا عن النار وجعلنا من أهل الجنة

نظرت لهما سلمى شذرا وقالت:

- ربنا يهنئ سعيد بسعيد

ضحكت الفتاة مرة أخرى وقالت لها:

- لا يا ستي ربنا يهنئ يوسف بمريم

والتفتت إلى مريم قائلة:

- في عروسة تيجى الكلية قبل فرحها بيوم
قالت سلمى مفاجأة:
- أيه د انت فرحك بكره يا مريم.. كده متعزمنيش يا وحشة
قالت مريم ببرود:
- لا ازاي انت معرومة طبعا
كعادة سلمى دائما ما أن يراها الشباب من الصنف الذي ينجذب للحواوي المكشوفة يقبل عليها وعلى من بجوارها دون تردد، أقبل عليهن فجأة أحد الشباب صافح سلمى وقال لمريم وصديقتها :
- هاي يابنات ازيكم
نظرت مريم لصديقتها وقالت:
- يلا نمشى
أخذتها صديقتها وذهبت لمكان آخر بعيد عن سلمى، تابعهما الشباب بعينيه ثم الفتت إلى سلمى قالا بتحبج:
- هي البت دى بقت محترمة كده ازاي
ضربته سلمى على كتفه قائلة بغضب:
- قصدك ايه يعني هو انا مش محترمة
عمز لها وهو يقول:
- آنت باشا يا باشا ..هو آنت في زيك يا قمر !

***
مال الحاج حسين للأمام وقال بتركيز:
- زى ما فهمتكم كده يا عفاف أحلام هتيجى الفرح ولازم تحجزي بينها وبين فاطمة بأي شكل.. أهنا مش عاوزين مشاكل ولا عاوزين حد يعرف عننا حاجة .. الفرح هيبقى فيه ناس غرب كثير
قالت عفاف بتوتر:
الفصل السابع والعشرون

صد عبد الرحمن إلى شقته وأخذ يتجول في أركانها يتلمس عطر زوجته التي فارقته، أخذته قدميه إلى غرفة نومها، ففتح بابها وأضاء مصباحها في شجن. نظر إلى فراشها وياهلها من مفاجئة، لقد كانت نائمة فيه، اختلقت قلبها واقرب منها ببطء وحذر، أزال خصلات من شعرها كانت لا تريد أن تفارق وجنتها، طبع قبلة رقيقة على وجنتها فاستيقظت، نظرت له بحب وشوق وقالت:

- وحشتني أوى

أحاطت رقبته بذراعيها، فاقترب منها أكثر وهو يقول بابتسامة عذبة:

- مش أكثر مني يا حبيبتي..

اقترب أكثر وأكثر ففجأة، تلقي ركزة شديدة في معدته استيقظ على آثارها المؤلمة، أعتدل في جلسته فوجد نفسه في فراشة ويوسف نائمًا بجواره، مسح وجهه وهو يقول:

- استغفر الله العظيم ...
وأمسك بساق يوسف التي ركنته ودفعها بعيدًا وهو يوقظه ويهتف به:
- آيه يا أخي ده. صحتتي من أحلها نومة كنت عاوز أكمل الحلم.
أعتدل يوسف فزعًا وهو يقول:
- آيه في آيه؟
قال عبد الرحمن بسخط:
- الله يقلق منامك يا أخي .. آنت آيه اللي منيمك جانبي.
قال يوسف وهو يثنائب:
- مش عارف .. أنا آخر حاجه فاكرها انا كنا بنغرى مع بعض.
دفعه عبد الرحمن بعيدًا لينهض من فراشه قاتلاً:
- طب امشي روح نام في أوضنك الله يكون في عون مراتك اكيد مش هتتحمل تنام جنبك
ليلة واحدة
خرج يوسف من غرفة أخيه وهو يتمتم بشجن:
- ولا حتى ليلة يا عبد الرحمن

***
وفي الصباح كانت أحلام تنادى مريم وإيمان:
- يالا يا بنات .. إيهاب قال جاي ياخذكوا بعد ربع ساعة خلصتوا ولا لسه؟
خرجت إيمان وهي تجر حقيبتها الصغيرة قائلة:
- خلص يا ماما مريم فاضلها حاجات بسيطة
جلست بجوار أمها حول مائدة الأفطار وهي تقول باهتمام:
- هو حضرتك مش هتيجي معانا فعلاً
ألفتت إليها أحلام قائلة:
آجي فين... أنا هاجى على معاذ الفرح على طول الليل
خرجت مريم ووضعت حقيبتها بجوار حقيبة إيمان وهي تقول:
- ليه يا ماما ما تيحى معاي
ابتسمت أحلام وهي تقول:
- مينفسح يابنتي البيت الكبير ميتجلئيش أنا وفاتمة اليوم كله
ردت إيمان بتفكر:
- والله يا ماما أنا مش مصدقة أن طنط فاطمة يطلع منها كل ده..هي اه صحيح مش ودودة
معانا زي طنط عافبس مكتتش اتخيل انها تطلع كده
أتطلقت لها أحلام وقالت محذرة اياها:
- أسمعى يا إيمان الست دى لازم تخلى بالنق منها كويسي اولي ومتخطئيش بها إلا في
المناسبات اس..دى ست مش سهلة واوعي يخيل عليكي حركات الطيبة اللي بتعملها..دى
ممثلة درجة أولى.. أسرار بيتك أوعي تطلعيها بره أبدا.. وأوعي تصدق حاة على جوزك
إلا لما تسأليه وتسمع منه كويسي .. آنت فهمتى أنت واختك ولا لاء؟
أومات برأسها وقالت مريم:
- آنت كده خوخفينا اكتر
هزم رأسها نفيا وقالت بثقة:
- لا متخافوش طول ما عمكم حسين موجود وفي صفكم متخافوش منها .. لكن محدش فيكوا
يرميلها ودنه أبدا ولا يسمع منها نصيحة
تنهدت إيمان وقالت:
- عموما احنا كده مش بنخلط بيها حتى وفاء مفيش بينا وبينها علاقات قوية زي فرحه
ابتسمت وهي تربت على يدها قائلة:
- أديكي شوقتي وجريبتي بنفسك
قالت مريم متسانة:
- أنت صحيح يا ماما هتسافرى بكره الصبح

أومأت برأسها وهي تقول:

- اياوا مش هينفع اقعد أكثر من كده.. واديئى اهو اطمنت عليكموا

أعلن هاتف أحلم عن اتصال من إيهاب وأخبرها أنه ينتظرهم بالأسفل، ودعت أحلام كل
منهما وانطلقتا عائدين إلى البيت الكبير مرة أخرى

****

وقفت سيارة إيهاب الصغيرة أمام المنزل قانلا بعجلة من أمره:

- يالا انزلوا عندى شغل لازم اخلصه قبل العصر

قالت إيمان بتعجب:

- كمان مش هتدخلنا الشنط ..مش كفایة نزلتنا بيهم من عند ماما لوحدنا

أشار إيهاب إلى باب المنزل قانلا:

- أومال ده وافق بيعمل إيه

ألفنت إيمان فوجدت عبد الرحمن وافقا ينتظرهم عند البوابة الخارجية ،عندما رآهم اقترب
من السيارة وفتح الباب الخلفي وأخرج الحقائب، ترجلت إيمان من السيارة وبعدها مريم
بخطوات متتالية حين قال إيهاب لعبد الرحمن:

- أنا راجع العصر ان شاء الله

أومأ له عبد الرحمن برأسه والتفت إلى إيمان ومريم قانلا بابتسامة:

- حمد الله على السلامة

ظهر يوسف وهو يمر بالبوابة ويتوجه إليهم بابتسامة صغيرة، اقترب منهم وقال مرحبًا وهو
يهم بحمل أحدى الحقائب :

- حمد الله على السلامة.. أتأخرتو أوى

أوقفته يد عبد الرحمن تقطع عليه الطريق قانلا بحزم:
- معلش دى شنطة مراتى شيل التانية


نظر له يوسف بدهشة قانل: 

- وفيها أيه؟

قال بجدية: 

- لا معلش محش حد يمسك شنطة مراتى

أخذ قلب إيمان مرة أخرى ودق بقوة أكثر فهوم الأساس يطرق بشدة منذ أن رآه قادما نحوهم، حمل عبد الرحمن حقيبة إيمان التي سارت خلفه واتجه إلى الداخل، نظر يوسف إلى مريم وهو يحمل حقيبته قايل: 

- أنا عاوز اتكلم معاك ضروري

لم ترد ولم تنظر إليه بل أشاحت بوجهها واستقبته للداخل، وقف عبد الرحمن أمام المصعد 

والتفت إلى إيمان قانل بهدوء وهو ينظر لعينيها: 

- طبعا الشنطة هتطلع شقتنا مش كده

خفضت بصرها وهي تقول: 

- أيوه .. بس هفضل مع مريم علشن الكوفيرة زمانها جاية

 أمسك كفها بحنان قايل: 

- على فكرة أنا منمتش غير ساعة واحدة بس .. من ساعة ما كنت عندكم وانا بافكر فيكى وحتى الساعة دى حلمت بيكى فيها ..مش قادر استحمل الدنيا ولا ليا نفس لحاجة وانت زعلانة مي. 

قاطعه اقترب مريم ووقفها بجوارهما ، صعدوا إلى الطابق الثاني أولا حيث كانت عفاف تنتظرهم ، تهلل وجهها بسعادة غامرة حين رأيتهم وعانقتهم بحب كبير وحنان بالغ

ثم قالت في سرعة:

- يالا بابنات أطلعوا بسرعة جهزوا نفسكم .. فرحة بتقولى الكوفيرة جاية كمان ساعة

ثم التفتت إلى مريم قايلة:
- وانت يا مريم بصي كده في شفتك ولو لقيتي حاجة ناقصة قوليلى على طول

أبتسمت مريم أبتسامة باهته وهي تقول:

- حاضر.

كان عبد الرحمن ويوسف قد صعدا بالحقيبة للطابق العلوي وهم يدعوان عبد الرحمن، أستقلت الفتاتان المصعد، وعندما توقفوا توجهتا إلى شقة مريم ولكنهما وجدتا عبد الرحمن ينتظر إيمان عند باب شقتهما وقال لها على الفور:

- إيمان عاوزك خمس دقائق بس توترت إيمان وهي تنتظر إلى مريم ثم تنتظر إليه ماتبعة:

- معلش أصل يدوب نلحق. مفيش وقت

مالت مريم على أنها قاتلة بهمس:

- روحى شوفيه انا لسه هدخت أخد دوش عن ما اطلع من الحمام تكوني جبتني أومات برأسها موافقة في اضطراب وذهبت إليه، دخلت شقته ودخل خلفها وأغلق بابها بهدوء، نظر إليها نظرة طويلة مغامرة ولكنها مشتاقة، نظرة محبة شغوفة ولكن تغلقها الحيرة وأخيرًا تكلم قانلاً:

ممكن اعرف انا عملت أيه عشان تتغيرى كده معايا

أطرقت برأسها وقالت في خفوت:

- مش وقت الكلام ده دلوتى لازم أروح أجهز مريم

أقترب منها يتفحصها بعمق وقال:

- يا إيمان متسبيبيش كده قوليلى حاجة، ريحيني. أنا معرفش غير موضوعكلم مرات عمى لكن أيه علاقة كلامها بيا أنا وأنت

قالت بابتسامة شاحبة:

- أوعدك بعد الفرح ما يخلص هنقعد معاك ونتكلم زي ما انت عايز

قالحب:
طب ينفع اقولك وحشتينى
قالت بدون تفكير:
- ليه

أبتسام ابتسامة حائرة وقال:
- ليه ؟.. علشان بحبك
قالت دون أن تنظر إليه:
- متأكد ؟

اقترب منها ومسح على وجنتها قائلة:
- طبعا متأكد معقول مش حاسة بيا كل ده

أطرقت برأسها مرة أخرى ولم ترد ، فاقترب منها وأخذها بين ذراعيه وضمها بقوة ،
استسلمت لضمه فلقد كانت تشتبث لرانحته مثلما يشتاق هو إليها، ضمها أكثر وأغمض عينيه وقال:

- والله لو تعرفى لما بتبقي زعلانة مني بيحصلى أيه عملك ما هتزعل مني أبدا. يقول من ساعة ما رجعت من عندكوا وانا حاسس انلئ زعلانة مني وحتى معرفش أيه السبب .. وانا النوم مجافينى منمتش غير ساعة وحتى الساعة دى حلمت بيكي.. كل ما احاول انا افتكر ملامحك وانت مضايقة وعنكى الللى بسملع بالدموح احس وانا بغمض عينى انى بغض على شوك .. وادي النتيجة يقالى يومين منمتش بسبب حضرتك يا هانم.

ابتسمت وهي تدفن رأسها في صدره بهدوء، لقد كانت تشعر بالسكينة والراحة من وقع كلماته الرقيقة الصادقة، ومن أثر ضمه التي تستمع فيها إلى نبضات قلبه المتسارعة وكأنها تهفو إليها شوقا، ظلما هكذا وقت ليس بالقصير لم يشرعا بالوقت ولا بعقارب الساعة التي كلهما قفزت زادت ضمته لها وكأنه يخشى أن تتركه وتضمي.

ققطع هذا الواصل رنين هاتف عبد الرحمن ، رفعت رأسها وقالت وهي تنظر إليه:

- تليفونك
وضع رأسها على صدره مرة أخرى وقال بهمس:
سبيبه يرن

ولكن هاتفه أصر على قطع هذا الوصل الحميمي فقالت بابتسامة:

- هو بقي مش هنسيبك .. شوف كده لتكون حاجة مهمة

نظر إلى عينيها بعمق قالا:

- مفيش أهم منك عندٌ

ابتسمت وهي تضع يدها في سترته وتأخذ ومنها الهاتف ، نظرت إليه وقالت:

- ده عمى

أغمس عينيه مرة أخرى وتنهى تنهيدة طويلة وكأنه يطبع صورتها داخل مقلتة حتى لا تفارقها أبدا ، تناول منها الهاتف وهو يتلمس أطراف أناملها مدعاً، وضع الهاتف على أذنها قالتا:

السلام عليكم ..

استمع إلى والده قليلًا بتركيز وقد ارستمك على وجهه ابتسامة عابثة ثم قال:

- حاضر يا بابا ثوانى واكون عندك

رفع رأسها إليه لتحتى عينيها مرة أخرى قالتا:

- كنا بنقول أيه

أبتدعت وهي تخطو باتجاه الباب وتفتحه قالتا:

- يلا انزل شوف عمى وانا رايحة لمريم

توجهت إلى شقة مريم وأخرجت مفتاحها ودلفت بسرعة للداخل وأغلقت الباب ببطء وهي تعلو وجهها ابتسامة خجلة ، أتجهت إلى غرفة مريم التي كانت انتهت من الإغتسال للتو وتجفف جسدها بالمنشفة ، فتحت إيمان الباب فانتفضت مريم وهي تحتضن منشفتها

وعندما وقفت عينيها على اختها فقررتب بقوة وهي تقول:

- يخبر عفلك يا إيمان رعبتينى
تبادلت الفتاتان الضحكاوات ولكن نظر إيمان وقع على جرح غائر على ساق مريم فاقتربت
منها وهي تنظر إليه في تفحص وتقول:

- أيه الجرح ده يا مريم؟

نظرت مريم إلى حيث تنظر إيمان، ووضعت أطراف أناملها على الجرح تحسسه فتذكرت
لحظة سقوطها وهي يغشي عليها، تذكرت قطع الزجاج التي سقطت على أطرافها المهشمة
قطع ذكرياتها صوت إيمان وهى تقول:

- أنت وقعتي على أيه ولا اخبتتي فائيه .. أرجفت مريم مع تذكرها الحادث وشعرت بالألم
وكان الجرح مازال حديثا وقالت بارتكبها:

- مش فاكرة.

قالت إيمان وهي تضغطه قليلاً:

- مش فاكرة ازاء ... مش بيجعك طيب؟

حركت مريم رأسها نفيا وقالت:

- لا ..

ثم لفت المشنقة جيدا لتخفيفه وهي تنتصنع المرح:

- يالا بقى الست زمانها جاية ، أدخل خدي دش انت كمان

***

أستسلمت مريم للمزينة تمشط شعرها وثزينها بينما جلست إيمان وفرحة يتجاذبان أطراف
الحديث ويتضاهاكان .. قالت إيمان بتساؤل:

- فين وفاء مطلعش ليه ولا حتى سلمت علينا لما رجعنا

مطت فرحة شفتيها وقالت:

- مش عارفة بس شكلها محرجة من اللئي امها عملته

قالت إيمان بتعجب:
أوّل فرحة موافقة:

- سبحة الله وفاء غيرهم خالص
- ده حقيقي.. بس أكيد اللي أمها بتعمله هي مش راضية عنه علشان كده تلاقيها مكسوّة
- تطلع

تناولت إيمان هاتفها وطلبت رقم وفاء وانتظرت ثوان إلى أن آتها صوتها بخفوت:

- السلام عليكم.. ازيك يا إيمان
- وعليكم السلام.. أيه يابنتي مطلعتيش ليه.. الكوافيرة هنا

قالت وفاء بخجل:

- معلش يا إيمان أنا هبقي احِ حِ حاجة خفيفة كده

قالت إيمان باصرار:

- لا مينفعش.. لازم تطلع حتى لو مش هتعمل حاجة.. كفاية انك تقعدي في وسطينا

سيطرت وفاء على دموعها وقالت بتماسك:

- ربنا يخاليكي يا إيمان بس بجد مش هقدر

زاد إصرار إيمان وهي تقول:

- لو مطلعتيش هنزل اخدك بنفسى.. ها قلتي ايه

أبتسمت وفاء من بين دموعها وهي تقول:

- للا خلاص خليكى أنا طالعة اهو

أغلقت إيمان الهاتف في حين قالت لها فرحة:

- والله انت طيبة أوى يا إيمان.. يابخت عبد الرحمن بيكى

***

وفي المساء كانت الحديقة تطلالاً في زينتها الجديدة بمسات جمالية وضعها إيهاب وفرحة
بذوق عالي وأحساس فنان، كان الجو العام يبعث على البهجة وشاركت الطبيعة في تزئنه
بنسمات عليلة وعمير الورود المتسلل إليها ليجعل النسمات تتحول إلى شذى رائع يأخذ بالألباب ويبعث على الإستخفاء فيحول استئصاله ببطء وكأنه سحر.
ويرجس أخرى يتكرر نفس المشهد ويوفس يقف أمام مراته يرتدّ حلته الأثيقة السوداء ولكن كانت تعلو شفقتها ابتسامة لا يستطيع تفسيرها، قطع ابتسامته صوت عبد الرحمن الساخر وهو يقول:

- اضحك أضحك ما انت مش عارف أيه اللي مستنينك

أتلفت إليه يوسف قائلاً:

- أيه ده انت لحقة تتعقد من الجوام

وقف عبد الرحمن بجواره في المرآة وهو يهندم سترته وقال:

- ياعم مش لما اتجوز الأول ابقى اتعقد

نظر له يوسف متعجبًا من كلماته وقال:

- نعم.. اومال إيمان دى تبقى أيه خطيبتك

دفعه عبد الرحمن ليلتقت مرة أخرى إلى المرآة وهو يقول:

- خليك في حالك..

خرج يوسف إلى شرفته ينظر إلى الحديقة التي تزينت كالعروس وهو متعجبًا من السعادة التي يشعر بها برحيم من أنه يعلم أن هذا الزواج ماهو إلا غطاء شرعي لما حدث بينهما، بدأ المدعوين بالحضور وكان أول من حضر هي علا بصحة والدتها وأختها هند التي وقفت تنظير حولها وهي تقول لأختها:

- شايفة اللي اتحمرت منه اختك

قالت علا بصوت هامس:

- ممكن ترجعله انت وشطرتك

ألقت مريم النظرة الأخيرة في مرآتها بينما قالت إيمان:

- ماساء الله.. أنت قمر والله يا مريم اللهم بارك
عانقتها فرحة ووفاء. ألتفت إليهم مريم قائلة:

- أنتوا كم قمرات.
قالت وفاء بمشاكسة وهي تقول:

- أنتوا بقى غيران منهما ولاسنين فساتين كتب الكتاب بتاعتكوا.

ضحكت فرحة قائلة:

- والله يا خانتي مش بزاجنا.. كل واحدة فينا جوزها صمم تلبس كده.
اقتربت إيمان من مريم وقالت مداعبة:

- بس أيها ده يا مريم.. في عروسة تلبس الحجاب يوم فرحها ده أيه العقد دل.

تانهن وجهها خجلا وقالت:

- خلاص بقي بطلي.. مكنش فاهمه واديني فهمت باستى.
طربت عفاف الباب فالتفت الجميع إليها وقالت مريم في سعادة متفاجأة:

- ماما!

كانت أحلام بصحبة عفاف فهرولت مريم إليها وعانقتها.. نظرت أحلام إليها وإلى فستانها.
الأبيض وحجابها الحرير الزى زاد جمالها وقالت:

- عروسة زي القمر يا مريم.. كان حلمي أشوفك انت واختك واخوكي يوم فرحكوا.
قالت إيمان مداعبة:

- ما أنا لابسه فستان كتب كتابي اهو يعني كأنك حضرتي فرحى برضا.

عانقتها والدتها وقالت:

- ربيا يسعدكوا يا ولاد.

ريبت عفاف على ظهرها قائلة:

- ربيا يديكي طولة العمر وتشوفى ولادهم.
نظرت إليها أحلام بمودة وامتنان وقالت:

- متشكِّرة يا عفاف.. طول عمرك طيبة وانا مطمئة على ولادٍ معاكى

أدمعت عيني إيمان ومريم وهما يتبادلان النظارات بينما قالت فرحة:

- وبعدن .. الميكي هببوظ كده

نظرت إليهم عفاف قائلة:

- هو فين الميكي ده انا مش شايفة غير زبدة كاكاو

ضحك الجميع.. وفجأة عم الصمت حينما ارتفع صوت فاطمة بغضب وقسوة وهي تقف على باب الغرفة وتستند إلى حافته بيد ومختصرة باليد الأخرى وذبذبات الشر تتفاف من حولها وتقول:

- أنت أياه اللي جابك يا أحلام

نظر الجميع إليها بينما استدارت أحلام نحو عفاف وقالت بابتسامة هادئة:

- ياها يا ام عبد الرحمن العريس مستنئ تحت خدى البنات وانزلی

قالت عفاف باضطراب:

- أنا هتصل بإبهايب يطلع ياخدهم

ساد الصمت للحظات وصدع إبهايب في الحال وتناول كف مريم وقال لوالدته:

- ياها يا ماما

أومات برأسها وقالت:

- انزلوا انتوا وانا جاية وراكوا

زاغت نظارات الجميع بين أحلام وفاطمة في صمت قطعته أحلام:

- ياااااااتوا اتحركوا الناس تحت

بدأوا في الهبوط للأسفل وتأخرت عفاف عنهم فقالت لها أحلام :

- انزلني انت يا عفاف
حركت رأسها نفيا وقالت بإصرار:
- مينفعش .. والمفروض ننزل كلنا .. مش وقته الكلام ده احنا في فرح ولادنا

أوقفتها فاطمة وهي تصيح بها:
- بقيتي حبيتها يا عفاف .. اه ما انتوا بقيتوا نساب

اقتربت منها أحلام بعينين حادتين قائلة:
- أنت عاوزه أيه يا فاطمة

قالت فاطمة بنظرات تشع حقداً:
- تطلعى حالا من البيت ده ومتوريناش وشك تانى

ضحكت أحلام بطريقة استفرازية وقالت:
- تانى يا فاطمة .. تانى عاوزانى امشى .. مكفكيش أول مرة مشيت فيها من عشرين سنة

قالت فاطمة بحدة وبغض:
- وياريت المردة دى مترجعش تانى لحد ما حد فلنا يموت ماهى الدنيا مستحمناش سوا

أحتفظت أحلام بابتسامتها وقالت:
- لسه بتغيرى منى يا فاطمة؟ معقول .. مع انى كبرت اهو زى ما انتِ شايفة ..واللى بتغيرى عليه كبر هو كمان وقرب هيبقى جد.

اقتربت أكثر وهي تحدق بعينيها قائلة:
- ولا أنتِ لسه بتكرهنى عشان علي الله يرحمه فضلنى علیكى

كادت فاطمة أن تصفعها على وجهها ولكن أحلام أحكمت قبضتها على يدها ونظرت لها 
بتحدى أكبر .. تدخلت عفاف هاتفنة بحنق:
- لا أنا كده هتصل بالحاج حسين يجي مينفعش كده يا جماعة .. يالا يا أحلام انزلى لولادك

في هذه اللحظة كان يوسف ينظر إلى مريم بإعجاب شديد وهو يراها بفستان زفافها الأبيض
وحجابها الذي زادها إشراقا، تتناول يدها من إهاب وهو تتحاشى النظر إليه وسار بها إلى
المكان المخصص لهما بالجلسه بينما أمسك عبد الرحمن يدي زوجته وطبع قبلتين على كل واحدة منهما وعينيه لم تفارق عيناه الخجلتين وكذلك كان حال إيهاب وفرحه

سارة الأربعة خلف العروسين كل منهما يتألّف ذراع عروسه في سعادة

أما في الطابق العلوى فلا تزال المعركة مستمرة وكانت فاطمة تصفق بغضب وتقول:
- مبروك يا أحلام برافو عليكي.. حقيقة كل اللي كنت بتنميه وخدتني حسين وولاده ومراته
- في حضنك
ظرفة عفاف بضيق عاطفة:
- انتيهنا بقي يا فاطمة ...

ثم نظرت إلى الهاتف وتقول:
- يارب يسمع الجرس في الدوحة 
وقفت أحلام أمّة فاطمة وقالت بصرامة:
- أنا بحذرك يا فاطمة لو اتعرضت لحد من ولاده انا ممكن الدمرك
ضحكت فاطمة بجنون قائلة:
- هتعمل أيه يعني .. انت اللي المفروض تخافي على نفسك يا أحلام .. سمعتك مش متسخمة

بادلتها أحلام الضحكه وقالت بهدوء:
- هعمل كثير يا فاطمة .. يعني مثلا هقول لكل الناس وأولهم ولادك وجوزك انا كنت بتحبي علي الله يرحمه ويتجرى وراه بالمشوار وهو كان مطيع وكرد كنت بتسوقى عليه ناس كثير وهو ولا هو هنا لأنه كان بحبي بساعتها .. وفي الآخر يا مسكونة لما رضيت بالأمر الواقع

ووقع فيك ابراهيم الراهل الغلبن وهو م يعرف انك كنت بتحبي اخوه الصغير .. اكتشفت
برعه اننا بيبيصلى من تحت لتحت .. نارك قادت منا وخصوصا لما علي مات خفتي لجوزك
يعملها ويتجوزني بحجة اننا يربى ولاد اخوه .. علقان كده اتتحت وعملت عليا فيلم انهم
هقتسوا ولادى ويقتلوني وادتيني فلولس .. وأشارت إلى عفاف قائلة :
وضحتي على الغلبانة دى وخوافتيها ان جوزها هيروح في داهية وجبتيها معاكى علسان
صدق .. لانك عارفة الى بصدق عفاف ترخت بها فاطمة:

- أخرسي يا أحلام .. أنا عمرى ما جربت ورا حد .. أنا مش زيك .. أنت اللي كنت بتجرى ورا
ابراهيم ولما لقيته شخصيته ضعيفة ومش هيقدر يقف قدم ابوه سبتيه وادورتي على علي
الله يرحمه

ضحكت أحلام قائلة وقد أعجبها اشتغال النار بقلب فاطمة وقالت:

- وهو دى اللي غيظك مني .. أن الاثنين كانوا يبحبونى

كادت فاطمة أن تهم بصفعها .. ولكن عفاف صرخت:

- كفاية .. كفاية .. حرام عليكوا .. ده الزمن بينسى الموت ورغم كده معرفش ينسىكون كرهوا
لبعض

وفجأة دخل إبراهيم وحسين واقرب حسين من عفاف وامسك يدها بقلب قائلة:

- مالك يا عفاف بتصرخي ليه ايه اللي حصل

نظر إبراهيم لزوجته قائلة:

- انتوا ايه اللي مقصدوا هنا سايبين الناس والمعازيم وقاعدين هنا ليه

قالت فاطمة بغل واضح:

- أبدى كنا بنصفى حساب قديم

أشار حسين إلى أحلام وقال بحسب:

- لو سمحتى يا ام إيهاب انزلتى دلوقتي اقعدى جنب بنتك متسيبهاش في لحظة زي دي

***

أما في الأسئلة فكانوا عينيى هند تراقب عبد الرحمن وتبتهه كظل .. وكان ولد يهمس لعل ان
تصعد معه الان ليربيها شقتهما ولم يكن يلاحظ العين التي تراقبه بابتسامة غاضبة كريهة،
بينما لم تكن تعلم إيمان وفرحه المفاجأة التي أعدها لهما عبد الرحمن وإيهاب
الفصل الثامن والعشرون

- أسمعي بس .. أنتِ هتطلعي تشوفيها وتنزل على طول

أبتسمت علا وهي تضغط على يد هند الجالسة بجوارها وقالت:

- أوك مفيش مشكلة علشان تتكدس بس اني بتثق فيهك

انتبهت هند لضغطه علا وكما اتفقت معها سابقًا بأن هذه الضغطة معنها أن تتدخل فورًا

أفلتت علا يد هند وهي تنهد واقفة مع وليد فنهضت هند هي الأخرى ووقفت أمامهما

قائلة:

- أيه يا علا رايحة فين ..

قالت علا بتلقائية مدروسة:

طالعين نص على الشقة بتاعتنا علشان نشوف هتتشطب ازاي

أدت هند دور الشغوفة بامتياز وهي تقول:

- ايه د بجد طب انا جاهية معاكوا

تدخل وليد وهو يلف كتف علا بذراعه قائلًا:

- خليكي مع ماما يا هند لحس تضايق .. أحسنا مش هتتأخر

أدت دورها جيزة مرة أخرى وهي تقول:

- اه صحيح طب ما نجيب ماما تشوفها معانا .. دى برضا ام العروسة

عادت هند خطوتين للخلف لتخبر والدتها في حين قال وليد بضيق:

- أيه بقى الخنفدة دي

نظرت له علا وتظاهرت بعد الفهم وهي تقول:
- مالك يا حبيبي في حاجة؟

عادت هند ومعها والدتها وقد أبدت موافقتها للصعود معهم لرؤية منزل الزوجية

أبتسام لها وليد ابتسامة حانتقة وهو يقول:

- اه طبعا يا طنط اتفضل

استقبلهم للداخل وهو يزفر بقوة في غضب بينما هند وعلا يتبادلان نظرة مكر وانتصار

لم يكثروا كثيرا في الداخل بمجرد أن فتح لهم باب الشقة المخصصة لزواجة ودخلوا
وطالعوها في دقائق وخرجوا سريعا، وما إن خرجوا إلى الحديقة حيث حفل الزفاف حتى
وقعت عيناه على سلمى التي تنتظرهم عند المدخل وعينيها يتطاير منها الشر، لم تنتظر
كثيرا بل أسرعت إليه وصاحته في حدة:

- بقى ذراعها بقوة وهو ينظر إليها بغضب ويضغط أسنانه بقوة وقال:

- عارفة لو ماتخرستيش هاعمل فيكي أيه

تقدمت علا منهما بينما وقفت هند ووالدتها يشاهدان ما يحدث في دهشة، أقتربت علا قائلة:

- في حاجة يا آنسة؟

هتفت سلمى بغضب:

- وانت مالك انت بتدخل ليه بين واحدة وجوزها

نظرت له علا بدهشة وقالت:

- نعم..جوزها

ألفت إلى سلمى بغضب وحنق:

- كنت بتخري ولا أيه.. أنا اتجوزتك اميى ان شاء الله ..في الحلم

قاطعته وهي تصيح بوجهه وتشير إلى الشقة المشنومة بجوار المصعد:
لا يا خويا في الشقة دى
جذبها من يدها وحثها على الخطي السريع خلفه مرغمة حتى وصل بها إلى جراج السيارات
والقفز إليها وصفعها بقوة حتى ارتدت إلى أحدث السيارات وسال الدم من بين شفاها
فصرخت في غضب:
- ماشي يا وليد والله لاروح أحكي ليوسف واقوله أنك كنت بتفترى على مريم وانك مطلعتش
شفقتها ولا حاجة وانك كنت مستنينه وكتبت عافر إنه هيجى وراك وحقوه انك قصدت تديله
حوب عشان يتخد وميحسى وهو بيعمل إيه وانك اتفقت معنا إني اخد مريم شقة مفروشة
واقفهمها ان ده بيتي وكتبت عافر إنه هيرقابها وكان كل هدفك انك تفضحه والرؤوس
تتساوى وميقدرش يفتح بقية معاك تاني
أحكم قضبته على ذراعها حتى آلمتها وصرخ فيها:
- اسمعى بابا انت... مش انا اللي تهدئني
لو عاوزه تروحى تحكي روحى .. ميهمنيش .. أنا كده ولا كده شريك في البيت وشريك في
الشركة يعني اللي هنقوله مش هيردر عليا لاحد هيردقندي ولا حد هيددر بطردنى... ديتها
ابوبى يزعل منى يومين وخلاص .. وانت مش هتطلعى بحاجة من ورا كده إلا اني عمرى ما
هيرص في وشك تاني ومش هتشوفي منى اللي كنت بتشوفي .. لكن لو طلعتى عاقلة وحوله
كده .. هنفشد مع بعض .. فلوس ونفس وكل اللي انت عرفتيني عشانه ..ها قولتي إيه؟
بكت وى تحاول أن تخلصى ذراعها من يده وى تقول:
- سببى بقى أيدى حرام عليك
تركها وهو يدفعها للخلف مجدداً ويشير إلى رأسه قانوناً:
- عقلتك في رأسك تعرفى خلاصك دورى على مصلحتك احسنلك
أشتد بكاها وى تقول:
- كده برضه يا وليد تعمل فيها كده .. يعني اللي خطبتها وحنتجوزها دى فيها أى أحسن منى
أقرب منها ومسح على شعرها وكأنه لم يفعل شيء وقال:
يا عبيطة ده انت اللي في القلب.. وبعدين جواز أيه هو انا بتاع جواز
نظرت له بدهشة وقالت:
- يعني أيه.. اومال خطبت ليه
أقترب منها ولف ذراعيه حول خصرها قائلًا:
- هما وحياتك يومين وهخلع منها وهرجعلك صاغ سليم
قالت وهي تبتعد عنه:
- انت بتضحك عليا بكلمتين.. فاكرني هبلة في حد بيخطب يومين ويخلع
قال وليد ضاحكا:
- أنا
قالت بدهشة وقد تغيرت ملامحه تماما:
- انت بتضحك عليا
قال بنفاذ صبر:
- من الآخر كده.. البت دي منشفة دماغها وانا حبيت ألينها بالدبلة اللي لبستهاا .. فهمتى بقى
- يعني انت بقى عينك فارغة
أومأ برأسه مؤكداً بعث قائلًا:
- بالظبط كده أدييى ورفتى... يالا بقى خديها عن قصيره وامشي دلوقتي
قالت باستفزاز:
- انا لسه مباركتش لمريم
هتف بحنق:
- قال يعني بتحبيها أوى ... يالا اطلعي من باب الجراج وهنتقابل بكرة وه القضى معاكى يا
ستى طول اليوم
خطت هند وعلا خطوات سريعة بخفة ليعود أدراجهما إلى مكانهما قبل أن يعود وليد، جلستا
وهما ينقطان أنفسهما بصعوبة وقالت هند:
- سمعتي يا علا
أومت برأسها ووضعت أصحابها على فمها وهي تقول لهندي:
- ولا كأنك سمعتي حاجة
قالت هند باستنكار:
- يعني أيه يا علا .. هي دى كمان فيها مصالح
قالت علا مؤكدة:
- بالضبط كده زي ما أتفقنا قبل كده أي معلومة تعرفيها تحوشيها لحد ما يجي وقتها
ونتظرت بعيدًا في شرود وهي تقول:
- أما بقى بخصوص هدفه من خطوبتنا .. أنا هخاليه يندم ويعيق في شر أعماله
استقلت سلمى سيارتها الصغيرة وقادتها في شرود والأفكار تتزاحم في عقلها:
- صح .. أنا هستفاد أيه لما أفضح كل حاجة .. كل اللي هيحصل انى هخسره للأبد ومرهم
سمعتها هتتصلح عند يوسف
وابتسمت في سخريه وهي تقول:
- متضحكين على نفسك يا سلمى انت كده ولا كده كنت متأكدة أنه مش هيجوزك ومكنش
هامك حاجة متعلص فيها مصدومة طالما بيصرف عليكي يبقى خلاص خالي الفايدة تكمل
للآخر
عاد وليد إليها قالا بلهفة مصطنعة:
- متزليش يا حبيبتى دى واحدة مجنونة كانت بتشتغل معايا زمان ومشيتها .. وانا طردتها
خلاص
ابتسمت برقة وقالت:
- تصدق فعلا شكلها مش طبيعي خالص .. وبعدين دخلت هنا ازاي دى
رفع كفيفه وقال:
- أنا عرف.. هو كل فرح ولا مناسبة في بيتنا لازم تحصل فيه بلوى شكل.. أستراها علينا

يارب

****

وقفت فاطمة بجوار زوجها ترافق نظراته جيدًا فالتقت إليها وقال بحدة:

- أنتٌ وبعدين معاكى هتفضي تراقبينى كده لحد امتي

قالت فاطمة بحنق:

- لحد ما زفته دى تمشي من هنا وتغور

قال متاففاً:

- لاحول ولا قوة إلا بالله.. يفاتحة عيب كده احنا مش صغيرين على العمايل دى.. روحي

طيب سلمي على ختيب بنتك ووالدته

تاببت نعاه رغما عنه وقالت:

- اه وماله يالا نروح سوا

شعر حسين ببعض الهدوء عندما وجد ملامح السعادة عادت مرة أخرى إلى وجه عفاف، بعد أن كانت يغلب عليها الحزن مما سمعت من أحلام وفاطمة، وهي تجلس بجوار يوسف بسرور وتبتسم على يده وتبتسم له بحب هو ومريم، أما أحلام فكانت تجلس بين مريم وإيمان... حتى جاء عبد الرحمن وسط كفه أمامها قائلًا:

- تعالى يا إيمان لحظة لو سمحتى

وضعته يدها في يده فتناولها وسار بها خطوات ووقف أمامها قائلًا بحب:

- أيه رأيك في شهر عسل جديد بدل اللي راح مننا

نظرت له بدهشة يغلفها الخجل وقالت:

- ازاي يعني
أشار لإيbab الذي كان يقف بعيدا عنهما بخطوات يتكلم مع فرحة وهي تبدو في كامل سعادتها، أقبل إيbab وفرحة التي تعلقت بذراع عبد الرحمن بابتسامة واسعة وهي تقول:

- متشكرة يا عبد الرحمن حقيقى مفاجأة تجنب نظر لها إيbab باستنكار:

- ياسلام.. على أساس ان أنا ماليش دور في المفاجأة يعنيقالت إيمان بابتسامة حانرة :

- مفاجأة اي؟

لاف إيbab ذراعه حول كتفها وقال بمرح:

- هنروح مع يوسف ومريم نقطى شهر العسل معاهم دفع عبد الرحمن ذراع إيbab ولف ذراعه هو على كتفها قائللا:

  - لو سمحت متحطش أيدك على مراتي تاني والتفت إليها قائللا :

  - ها أيه رأيك في المفاجأة دى أرتكبت إيمان واقتربت فرحة منها قائلة :

  - هي دى عاوزه رأى طباعة موافقة قالت إيمان بتردد :

  - ليس احنا مجهزناش هدومنا ومش معقول نطلع نجهزها دلوقتي قالت فرحة بحماس :

  - لا يا ستي مش هنوضب حاجة .. دول كانوا متفقين مع ماما على كل حاجة وهي قامت بالواجب وزيادة

أكد عبد الرحمن على كلام فرحة وقال:

- الحقيقة دى كانت فكرة بابا .. هو اللي اقترح وخطط واحنا نفنذنا
داعبته إيمان وقالت وهي تضع يدها على خصرها:
- ده انتوا عصابة بقى
أومأت فرحة وقالت:
- بالظلم كده .. عصابة بودى ووبه
 أقلبته هند منهم وهي تتهادى بدل ووقفت أمام عبد الرحمن وهي تنظر إليه بشوق وتمد
 يدها لتصافحة وتقول:
- أزيك يا عبد الرحمن ليك وحشه والله
ارتبع عبد الرحمن بسبب نظارات إيمان الحارقة لهما وقال:
- الحمد لله تمام
قالت وهي مازالت باسطة كفها ليصاحفها:
- مش هتسلم عليها ولا ايه ...
شعرت إيمان أن عبد الرحمن سينصافها لشعوره بالحرج من يدها الممدودة فأسرعت
واخذت يدها وصاحفتها هي وقالت بابتسامة باردة:
- معلش بقى .. أصله مش بيسلم على ستات
ابتسمت لها هند ابتسامة صفراء وهي تقول:
- ليه ده حتى عبد الرحمن منتقف ومتعلم
بدلتها إيمان نفس الابتسامة وقالت:
- شرع ربنا مالوش علاقة بالثقافة أو الجهل
وتابعت:
- المثقف الحقيقي هو اللي يبقى عارف امور دينه وببقوم فيها أما الجاهل هو اللي مهما
تعلم وخم شهدات يفضل برضة مش عارف دينه بيأمره بأنه وبينها عن أيه
أختفت الابتسامة وقالت في حنق:
- فرصة سعيدة يا مدام

وغادرت في سرعة بخطوات حانقة، فقالت فرحة موجهة حديثها لإيمان:

- البته ياعيني غرت في شير مي قرام عليتك يا إيمان

نظرت إيمان إلى عبد الرحمن الذي كان ينظر إلى الأسفل وكان يتأمل حشائش الأرض التي
يقف عليها وقالت له:

- بتبص على الأرض كده ليه

قال وكأنه يفكر بعمق:

- لا أبدا يفتكر إنا صلين العشاء ولا لاء...

نظر إيماب إلهي بهدف ثم انفجر إف في الضحك، لم تستطيع فرحة كتم ضحكاتها وهي تحتضن
إيمان وتقول:

- أخوا شجاع أوى قدامك على فكرة

لم تمتلك إيمان نفسها وضحكت رغمًا عنها.

***

مالة أحلام على أذن مريم قائلة:

- مالة يا مريم مكررة كده ليه؟

انتبهت مريم لحديث والدتها وقالت بخفوت:

- أبدا ياماما.. تلاقينى سرتى ولا حاجة

قالت أحلم بتنبيه:

- لا أبتمس الناس بتبص عليتك وبعدين جوزك ببيص عليتك هو كمان

ألفنت مريم بحركة تلقائية ليوسف الذي يجلس بجوارها فأشają بوجهها عنها والتفت إلى
والدته التي تجلس بجواره فقالت له:
- ايه يا حبيبي عاوز حاجة؟

يوسف:

- مش كفاية كده مش نمشي بقى لسه وراني سفر.

أومات براها وهي تبسم له موافقة وقالت:

- طيب استننى اروح اقول لأبوك

ذهبت عفاف إلى زوجها وأبلغته بالأمر فذهب إلى عبد الرحمن وإيهاب وقال:

- يالا بقى عشان تلحقوا وقتقوا لسه الطريق طويل

تحرك الجميع وسط تبريات الأهل والمدعوين وتقديم التهاني وعائقتهم أحلام عناق طويل ووعدتهم فهي أيضا ستسافر وتعود من حيث جاءت.

بعد ساعات مرحة دخل أخيراً كل زوجين إلى جناحهما الخاص ، أسرعت إيمان إلى شرفة جناحها الكبيرة لتنظر إلى المنظر البديع ، فلحقها عبد الرحمن ولفذ راعه حوله قائلاً:

- هنا بقى تقدر تستمرع بجد .. البلد هنا مش حمة خالص والشواطئ تقريبا فاضية

تنهدت في أراقة قانية:

- طبعا دى بعيدة جدا لازم تبقى رايقة

قال بابتسامة عذبة:

- أنا جبتلك هنا مخصص عشان تعرفى تستمتعي براحتك .. عشان المرة اللي فاتت مكنتيش عاوزه حتى تنزل اتى رجلك في المية ونكت خايفة الهدوم تنزلق عليكي .. هنا الحياة بسيفة أوى وعلى طبيعتها والشط بين الجبال ووراه نخيل كثير

نظرت إليه وقالت في اهتمام:

- مصر فيها أماكن حوله جدا المصريين نفسهم عمرهم ما شافوها طب احنا ليه دايمة مراكز على السياح اللي جايين من بره ومهملين في السياحة الداخلية جدا .. تقريبا معظم المصريين ميعرفوش ان بلدهم في اماكن ساحرة كده

قال بتركيز:
فكرة برضا.. سبيبينى افكر في الحكاية دى بس لما نشوف الأول السياحة الزوجية

لم تفهم معنى كلماته فقالت بتسائل:

- يعني أيه السياحة الزوجية

تصنع عبد الرحمان أنه يهم بشرح معنى كلماته وقال بجدية:

- تعالى وانا اشرحل بالتفصيل

ثم توقف فجأة قائلًا:

ولا اقولك غير هدومك وانا هدخل اخد دش .. ولما اطلع اشرحل كل حاجة بالتفصيل المعمل

***

كانت مريم جالسة على طرف فراشها تنظير حولن وتدور عينيها في الجناح الخاص بهما حتى دخل يوسف وأغلق بابه ووقف ينظر إليها ويتأملها حتى شعرت بالإضراب أكثر، وراودها شعرها بالخوف تجاهه مرة أخرى فأغلقت عينيها وهي تحاول أن تهدئ من روعها فقال:

- اشتر إلى الحمام الملحق بالغرفة الداخلية قائلًا:

- ادخل إن غيرى لو تحبى وانا هدخل البلكونة لحد ما تخلصى علشان نصلى ركعتين مع بعض

نهضت في سرعة واقفة مكانها وقالت بسخرية:

- نصلى ركعتين ليه.. ده لما يبقى جواز حقيقى مش زينا كده

شعر بالتوتر وصمت قليلا ثم قال:

- خلاص زي ماتتحبى تركها وخرج إلى الشرفة يستنشق الهواء العليل وحاول أن يركز تفكيره في طريقة التعامل التي ستكون بينهما في الأيام القادمة ، اخذت مريم ملابسها ودخلت الحمام ، أغسلت في سرعة وبدلت ملابسها وخرجت من الحمام إلى الفراش مباشرة وتدثرت جيدا ، عندما شعر
بها قد انتهت دخل هو الآخر وأخذ ملاسنه من حقيبته الشخصية ودخل إلى الحمام أقسطل وخرج سريعاً، مر أمام فراشها وجد بها متدترة جيداً وتلف الغطاء حولها بعناية وتنظر إليه وتتابع تحركاته بقلق وخوفٍ، لأنه كثيراً ذلك الشعور وتلك النظرة الخائفة من عينيها فوقف أمام باب الغرفة الداخلية قالاً:

الأوضه دى ليها مفتاح لو حابة تقفلي على نفسك وانا هنام على الكنبة بره قدم التلفزيون لو احتاجتي حاجة نادي عليا.

لم يتلقى منها آي أجابه فخرج واغلق الباب خلفه وبعد ثوان شعر بها توصد الباب بالمفتاح جيداً من الداخل، لم تتمكن نفسها كثيراً فلقد كان الأرهاق أكبر من آي مقاومة فاستسلم للنوم سريعاً، وكذلك هو استسلم للنوم على الأريكة في الخارج

***

خرج عبد الرحمن من الحمام وهو يدندن بسعادة رغم الأرهاق الواضح على عينيه ولكن سعادته لم تكتمل، فلقد وقع بصره على إيمان التي استسلمت للنوم سريعاً هي الأخرى، حاول إيقاظها ولكنها لم تستجيب، حاول مجدداً وهو يكاد أن يبكى:

- إيمان أصحت بقى عاوز أشرحل السياحة الزوجية

تممت وهي تغطت في النوم:

- بعدن ابقى اشرحل السياحة النيلية

أعتدل وهو يمسح رأسه بحنق وهو يردد:

- نيلية ... النيلية دى على دماغى انا دلوقتي ياختى

وأخذ الوسادة وقذفها بها وهو يقول:

- نامي ياختى نامي ..

تحسس الفراش بجوارها حتى وصلت لتلك الوسادة، أخذتها ووضعتها على رأسها ثم فتحت عينيها ببطء واختفت ثم عادت للنوم مرة أخرى

***
استيقظت فرحة في الصباح ونظرت إلى ملابسها قائلة:

- ياه ده انا نمت بهدوءى من كتر التعب

نظرت بجوارها فوجدت حال إيهاب ليس أفضل من حالها، هو أيضا نام بملابسه

حاولت ان توقفت مرارا حتى استيقظ وقال وهو مازال مغمض العينين:

- ده مش سفر دى علقة سخنة .. اخوكي ده مجنون ملقاش غير آخر بلاد المسلمين

أبتسمت فرحة بارهاق قائلة:

بس المكان هنا هادى أوى ومش زحمة زي باقي المصايف .. وبعدين أول مرة آجى نبيع

.. المنظر تحفة

قام بصعوبة قائلًا:

- طب انا هدخل اخد دش و اخرج اطلب الفطر ..

ثم نظر إليها وهي مازالت بفستان العقد فقال ضاحكا:

- فى عروسة تنام بفستان الفرح .. لو حد شافك دلوقتي يقول عليا ايه .. فسخة!

ضحكت فرحة وهو يأخذ ملابسه ويتجه للحمام ثم تناولت الهاتف وأجرت اتصال بإيام التي

أجابتها بعد مدة قصيرة وقالت بصوت ناعم:

- السلام عليكم

- وعلىكم السلام .. انتى لسنايحة

- اه يا إبراهيم المشوار كان صعب أوى حتى اخوكي لسه نايم فوجئت به يأخذ الهاتف من يدها

وأستند برأسه على ذراعها وهو يتحدث إلى فرحه:

- عاوزه ايه يا رخامة بتصل ليه على الصبح كده

- ايه ده مالك طلعت فيه كده ليه .. طب الحق عليا انى بطمن عليكوا

حاولت إيام أن تسحب يدها من تحت رأسه وهو يتحدث ولكنه لم يسمح لها بذلك وهو

يقول لفرحة:
لا متشكرين متطمينين تأتي ومش عاوز اسمع صوتك انت ولوا جوزك النهاردة يلا سلام
أنهى الاتصال ثم أغلق الهاتف تماما وهي مازالت تحاول عبثا أن تنهض من جواره ولكنه لف دراعيه حولها وقال بابتسامة مشرقة:
- متحاوليش دخول الحمام مش ذى خروجه.. أنت وقعتي يا قطة
حاول أن يقبلها ولكنها وضعت يدها على شفاه وقالت بسرعة:
- أنا جعالة وعاوزه اقل حلال.. وكمان عاوزه ادخل الحمام
جلس بجوارها قائلا بضجر:
- اه هنبدأ بقى في شغل العيال.. عاوزه ادخل الحمام عاوزه اكل عاوزه نام.. ناقص تقوليلي
عاوزه اروح لماما
نهضت مسرعة واتجهت إلى الحمام بخطوات واسعة وهي تقول:
- طب والله جعالة أوى لو سمحت اطلب الفطور على ما اطلع
تناول الهاتف وطلب الرقم الداخلى للفندق وهو يقول:
- لما نشوف هتتحجى بأهية تاني
جلست إيمن وعبد الرحمن يتناولان طعام الأفطار في الشرفة، تناولت إيمن أول رشة من كوب الشاي وهو تقول باستمتاع:
- الله كان نفسي فيها أوى الكوبايه دى من امبارح
 أمسك كفها وخلك أصابعها بين أصابعه وقبض عليها برقة ونظر إليها بحب قائله:
- طب وبالنسبة للي قاعد جمبو ده .. طب يارب ابقى كوبايا شاى عشان تجيبني أوى كده
ضحكن إيمن على طريقته وقالت برقة:
- ربنا يخاليك ليا
ألقى نظرة على كوب الشاي في يدها قائله:
- هى الكوبايه دى مبتخلصش ولا أيه
أخذت عدة رشقات وقالت متسائلة:
- بتسأل ليه؟
أخذها منها ووضعها على الطاولة الصغيرة أمامهما وهو ينهض قائلا:
- أنا يقول كفاية كده الشاي مضر بالصحة
نهضت معترضا وقالت:
- لا لسه مخلاص
جذبها للداخل وهو يقول:
- ده أنا اللي خلصت خلاص ارحمينى شوية

***
فتحت مريم باب غرفتها ببطء بعد أن ارتدت ملابسها ونظرت إلى الأريكة تبحث عن يوسف ولكنها لم تجدته، تقدمت خطوتين ونظرت داخل الشرفة فوجدته متكاً إلى السور وغادر بعمق في تأمل المنظر البعيد على مد بصره، أتجهت نحو باب الغرفة الخارجي وفتحته وهمت بالخروج ولكنها سمعت صوته آتى من خلفها قائلًا:
- رايحة فين
استدارت ببطء وهي تتجنب النظر إليه وقالت:
- خارجة امشئي على البحر شوية
تحرك من مكانه واتجه إليها ووقف بمسافة ليست بعيدة منها وقال بهدوء:
- مينفعش تخرجى دلوقتي
قالت بحنق:
- ليه ان شاء الله
حافظ على هدوء قائلًا:
- أولاً الفطار جائ حالاً .. ثانياً المفروض أننا عرسان جداد .. على الأقل قدم اخواتك واحاتك وميتشع حد فيهم يشوفك طالفة دلوقتي وكمان لوحدك أبتعدت عن الباب بضيق ولدت إلى الأريكة بعصبية قائلة:

- يعني هتحبس معنا هنا ولا أية

طرق الباب ، كانت خدمة الغرف ، أخذ يوسف طعام الأفطار ووضعه أمامها على الطاولة وقال:

- طب افترى الأول وبعدين نتكلم قالت بضجر:

- مش عاوزه أكل معاك أوماً برآسه وقال:

- زى ما تحبي

ثم أخذ أحد الأطباق الفارغة ووضع لنفسه بعض الطعام فيه ودخل الشرفة ، جلس فيها وتتناول طعامه ، أنتهت مريم من طعامها ودخلت غرفتها وأوصدت الباب مرة أخرى بدت ملابسها وجلست على فراشها تفكر:

- كيف من الممكن أن يجتمع المجرم والضحية في مكان واحد ، كيف يمكن أن تتواشى المغتصبة مع من اغتصبتها تحت سقف واحد!

وفي أمواج الأفكار التي تعصف بعقلها سمعت طرقات خفيفة على الباب فقالت بضيق:

- افندم

- من فضلك عاوز اتكلم معاكي شوية

مش عاوزه اتكلم معك سبيني في حالي

أتها صوته باصرار أكبر وهو يقول:

- من فضلك افتح الباب لازم نتكلم

نهضت على ماض تتفنست بعمق وفتحت الباب وقالت بتأسف:
- اздمع..خير
قال بهدوء:
- تحب نقد فين.. هنا ولا بره؟
نظرت خلفها ثم عادت برأسها إليه وقالت:
- هنقد فين هنا.. بره طبعا
تنحى عن طريقها وتابعها بعينيه حتى جلست على الأريكة فجذب أحد المقاعد ووضعه
مامها وبطريقة تلقائية مال للأمام فابتعت حتى الصقت ظهرها بمسند الأريكة في قلق وهي
تقول:

- لو سمحت ابتد عازو إيه بالظبط
وأتشرت محذرة:

- أنا بحذرك لو قريب مني
قاطعها:

- مكمليش أنا الليش هقرب من غير ما انت تقول ح
عقدت ذراعيها أمام صدرها وحاولت أن تتظاهر بالشجاعة وقالت:

- عازو تقول أيه خلصنى
تكلم بهدوء وهو ينظر إليها بعمق:

- معشش أنا مش قصدت إضياك.. لكن في حاجة مهمة عازو تعفني.. صحيح هي مش
هتغير من وضعنا شيء لكن برضة لازم تعفنيها
أشاحت بوجهها في صمت ولم ترد فتتابع حديثها:

- لما كنت في شفت فقد وسألتك على الشقة اللي طلعتيها مع سلمي قولتي انها شقتهم
بيتهم يعني.. أنا رواحت تاني واتاكنت أن دى مش شقة عادية دى شقة مفروشة وكمان
سمعتها مش ولابد.. والباب أكذي كده زى ما اكذي يوم...
صمت لعله يجد تعبير مناسب فقال:
- يوم الفرح

زفرت بقوة وقالت:

- تاني ..عاوز نشوه سمعتي تاني ..أنت أيه يا أخرى انت ...

 قاطعها بحجم قائل:

- أنا مش عاوز غير أنك تسمعني للآخر ..أشو سمعتك ازاي وانت بقيني مراتي

- اومال بتقول كده ليه

قال وهو ينظر إليها بالعلم:

- لو سمعتيني للآخر هتفهمي ..لكن انت مش عاوزه تسمعي مني حاجة

صمتت مرة أخرى ثم قالت:

- افضل قول اللي عندك

أردف قائل:

- أنا راقيت البيت اللي اسمها سلمي دى وعرفت عنوانها ..والبيت اللي عايشة فيه مع امها

مش هو اللي خدتني فيه يوم الفرح

نظرت له بحدة وقالت:

- وأيه المطلوب مني

قالت بتاين:

- تحكيلى اللي حصل بالظلم من ساعة ما ركبتي معاها لحد ما وصلتك البيت

نهضت من أمامه وحاولت أن تتخطاه وهي تقول بغضب:

- انت عاوز تدور على أى مبرر للي عملته

قال ببعض الإفعال:
كان يستمع بإنصات شديد ويتفحصها وهي تقض عليه ما حدث وعندهما انتهت قال:

- ومشوفتيش مامتها طبعا
حركت رأسها نفيا وقالت:
- لا مدخلتي عندها
أوما برأسه وقال:
- أنتي عمرك ما روثية بيته قبلي كده؟
أجابته قائلة بنفاذ صبر:
- لا روحت طبعاً وقعت مع مامتها.. بس هما كانوا ساكنين في مكان تاني.. بس هما عزلوا

قبل فرح إيمان بأسبوع تقريباً

قطب جبينه وقال بتركيز:

- أسبوع..

ثم نظر إليها وقال:

- لا يا مريم سلمي معزلتش ولا حاجة ولو حابه تتأكد روحيلها لما نرجع هتلاقيها معزلتش

... وتابع في تفكير:

طالما قالتلك قبلها بأسبوع انها عزلت يبقى الحكاية مترتبة .. بس ليه .. وأيه المقصود

قالت بعصبية:

- شفته بقى أنت بتدور على مبرر ازاي .. مرة تقولي كنت واحده مخدرات ومرة تقولي سلمي ودتك شقة مفرشة .. أنت عاوز توصل لأيه .. ومخدرات أيه اللي بتقول عليها وجبتها منين وانت عمرك ما شربت سجائر أصلاً

ألنتفت إليها وسكت ترابط الأفكار في ذهنه وقال في شرود :

- أنت كده جاوبتي على سؤالي

****

الفصل التاسع والعشرون

- هتعمل ايه يا مجنون ..!

أخذعبد الرحمن عصى ملقة عند الشاطيء قائله:
- أستنئ وانت تعرفى

وبدا في حفر صورة لقلب كبير على الشت وكتب بداخله "بحبك يا إيمان"

أبسمت إيمان وهي تنظر إلى ما يفعل وترققت عينها بالدموع، وعندما انتهى ألفى
العاصالة جانبا والتقت إليها وهو يقول بسعادة:

- أيه رأيك في خطي

نظر إلى عينيها فوجد أثار الدموع تلمع بها وهي تبسم في شجن وتنظر إليه بحب، أخذ كفها
في كفه وضع عليه قبلة طويلة ثم لفها بذراعها وضمها إليه في حنان وقال معتذرًا:
- أنا آسف.. أنا مكانتش مقدر النعمة اللي ربنا أنعم عليها بيها بس الحمد لله انى وقت لنفسى
قبل ما تضيعى منى يا حبيبتي

فاضت اللأليء من عينيها وهى تتأمل عينيه بحب فمسح دموعها بأنامله وهو يقول:

يا للأليء عينيها حديثها أني عشقتها .. وأجمعى عمرى ودمى واصنعى عقدا لها

أبسمت وقالت بخفوت:

- أيه ده وكمان بقية شاعر

همس لها:

- عمرى ما عرفت اقول شعر .. أنا لقيته طالع كده من قلبى معرفش ازاي
تشابكت أصابعهما في بطى وعينيهما متعلقة ببعضها البعض ، وفجأة وضعت يد بقوة على
كتف عبد الرحمن من الخلف وسمع صوت أحسن يقول بعنف:

- بطاقتلك يا روميو

أستدار عبد الرحمن وهو يستعد للعرك ولكن ضحكات إيمان جعلته ينقط العصا من على
الأرض قبل أن يكمل استدارته ويسرع خلف إيهاب الذي هرول ضاحكًا وهو يقول بترجي:

- خلاصة باباشا مكانتش اعرف انا مباحث

دفعه عبد الرحمن إلى المياه وهو يقول:

- والله ما أنا سايبك
وقفتا إيمان وفرحة تضحكان على مزاحهما وتراشقهما بمياه البحر حتى جلس عبد الرحمن
على الشاطيء بجوار إيهاب وهو يتنفس بصعوبة قائلًا:

- هاخد نفسى واقوم اقتنعك

أقبلت فرحة وإيمان عليهما فقال إيهاب لإيمان بأسف متلاحقة:

- ضربته لحد ما مت من الضرب

أومأت برأسها قائلة:

- اه طبعا ماهو واضح

بينما هتفت فرحة:

- أنا هموت من الجوع لسه متقدش لحد دلوتى

نهض عبد الرحمن وأخذ يدي إيمان في يده قائلًا:

- لا اتغدوا انتو احنا هنروح الفندق نتغدى هناك

هتفت فرحة مرة أخرى:

- ليه ما نتغدى مع بعض

حرك رأسه نفيا وقال بجدية:

- لا مش هينفع أصل كنت بشرح لإيمان موضوع كده عن السياحة ولازم اكمله

نظرت له إيمان بعثب وحاولت أن تخفي تلون وجهها خجلاً من إيهاب الذي لم ينتبه لها

و قال:

- سياحة أيه؟

تابع عبد الرحمن بنفس الجدية وهو يشرح بكلتا يديه لإيهاب وفرحة اللذان يتابعان شرح
عبد الرحمن باهتمام وهو يقول:

- في سياحة داخلية .. وفي سياحة خارجية في النص بقى في سياحة زوجية

قالت فرحة وهي تحاول فهم ما يقول:
- يعني أيه سياحة زوجية

أردف عبد الرحمن بتركيز:

- أفهمي .. ده مشروع جديد

والتقت إلى إيمان التي تقف خلفه وغمز لها قائلًا:

- مبقالوش يومين

ثم استدار إلزهما مرة أخرى وهو يتابع:

- يعني يدوب قصينا الشريط

كانت فرحة تحاول استيعاب ما يقول حين قال إيهاب:

- هو انتوا هندلوا نشاط السياحة في الشركة بتاعتوكا

استدارت إيمان تجاه البحر وهي تحاول كتمن ضحكاتها واستمر عبد الرحمن في الشرح:

- هو الموضوع كبير لما رجع مصر هبقي اشرحلك

أشار لهما وهو يضع يده على كتف إيمان:

- يالا بقى كفاية عليكم كده سلام

بمجرد أن ابتعدوا قليلا ضربته على كتفه وهي تقول :

- ماشي يا عبد الرحمن

قال وكأنه لم يفهم :

- ليه هو أنا عملت حاجة .. ده أنا كنت بشرح لهم بس

ثم ضمها إليه أكثر وهو يقول:

- بس إيه رأيك مش انا بشرح كويز

أتسعت عينما وهي تنظر له وقد تلونت وجنتها احمرارا فقال بسرعة:

- للا متفهمنيش صحي .. أنا قصدنا اني كنت بشرعهم كويز يعني
حوالي خطوات واسعة فلفلتها وأمسك يدها ، أفلتت يدها منه وأسرعت تجرى فأسرع خلفها يناديها:

- أستنبي بس. يا إيمان.. أستنبي.. ده أنا يدوب شرحت المميزات.. لسه هناخد الأهداف...
  هدف.. هدف

***

كانت مريم تقف في الشرفة تتبع أصوات البحر المختلطة بحفيض النخيل وقد جلس يوسف يشاهد التلفاز ويلقي عليها نظرة من حين لآخر حتى سمع طرقات خفيفة على الباب، أستدارات مريم في مكانها واتجهت للداخل في سعاده وهي تسمع صوت إيهاب وفرحه التي أقبلت وعانتها وقبلتها على وجنتها وهي تقول:

- وحشتيني أوى يا مريم بقالى يومين مشوفتكيش.
  ثم همست لها:

- ها أخبار الجواز ايه
  أرتبت مريم ثم قالت:

- تعالي لما اشوف إيهاب لحسن واحتشنإ اوى خرجت إلي اخيها وعانته واستكانت بعين ذراعيه ، فلقد شعرت بالأمان بمجرد أن استمتعت لصوته، رفع رأسها وقبلها على جبينها وقال:

- ألف ميروك يا حبيبتي.. بصى جبتلك ايه

نظرت مريم إلى العقد المجمع من القواقع البحرية مختلفة الألوان وقالت بانبهار:

- ده جميل أوى جبته منين ده
  قالت فرحه:

- نزلنا نتسوق شوية وجينا الحاجات دى من هناك.. إيهاب اول ما شاف العقد قال هيعجب
  مريم أوى

اخذت تتأمله بين يديها بإعجاب وقول:
- ده حلو اوى أوى.. متشكره اوى يا إيهاب
  
- تدخل يوسف قابلا وهو يمسك بإلكترون:

  - ها بسرعة تشربوا ايه

- تقدم إيهاب نحوه وهو يقول:

  - للا مفيش داعي احنا مشايشين على طول

طلب يوسف بعض العصائر وأغلق الهاتف وقال لإيهاب:

- اقعدوا معانا شوية

مالت فرحة على ذن مريم قائلة بخففوت:

- أيه ده يا بنتي في عروسة تلبس عباية بعد يومين من فرحها
  
توترت مريم ورسمت ابتسامة على شفتيها قائلة:

- أصلى كنت واقفة في البلكون زى ما شوتفتيني كده ويوسف بيزعل لما بقف فيها بهدوم
  
خفيفة

أومأت برأسها متفهمة بينما أشار لهم يوسف أن يجلسوا ، جلس إيهاب وفرحه على الأريكة الكبيرة ، بينما جلست مريم بجوار مساند الأريكة الصغيرة وكانت تتوقع أن يجلس يوسف بعيدا عنها نسيبًا ولكن جلس بجوارها ملتصقًا بها، ولف ذراعه حول كتفها وضمها إليه

بخفة حتى شعرت أنها التمتعت بصدره وهو يقول مداعبًا موجها حديثه لفرحه:

- وانت بقي يا معزة أخشاك أيه

عقدت فرحه يدها أمام صدرها بغضب طفولى وهي تهتف:

- مش هتبطل تقوليا يا معزة ماشي يا يوسف

انتصر لها إيهاب قائلا:

- متزعيش يا حبيبتي هو يقصد المعزة اللي قعدة جنبه

صاح به يوسف وهو يضمها أكثر:
نعم يا خويا .. آنا مراتى دى قمر منور الدنيا كلها.. آنا أصلا مش عارف انت اخوها ازاي

تدخلت فرحة:

- بقى كده .. عموما إيهاب أحلى من مريم بكتير

ونظرت إلى إيهاب قائلة:

- مش كده يا هوبة؟

أوما برأسه ممازحاً:

طبعا يا حياتي

نسيت مريم أمر ضمة يوسف وهي تقاطع فرحة وهي تقول بمشاغبة:

- ياسلام بقى إيهاب أحلى مني.. تصدقى فعلا انت معة

ضحك يوسف وطبع قبالة على رأس مريم وهو يقول:

- أيوا كده يا حبيبتي قطعيعها

 طريق الباب ونهض يوسف متجها إليه ، لا تعلم مريم لماذا شعرت بالفراغ بعد أن أرسلها يوسف من ضمته، ولا تعلم لماذا تولد هذا الشعور لديها بمجرد أن فارقها وأنها كانت تود لو أنّه بقى، أنزعجت كثيرًا من هذا الشعور ونفسته سريعًا من عقلها ولكن بعد أن عاد بأكواب العصير كانت تتبعه بنظراها وتتوقع أن يعود إلى جلسته الأولى وخفقات قلبها تسباق خطواته، ولكنّه لم يفعل ، جلس بعيدًا عنها ولكن على نفس الأريكة ، كادت أن تشعر بخبيرة أمل ولكن قطبت جبينها وهي تتح فنفسها على ترك تلك الأفكار الغريبة، تتناول إيهاب العصير في سرعة ونهض واقفا وهو يجذب فرحة قائلًا:

- بالا بقى كفایة كده .. اخوكي خلاص قرب يطردنا

هتف يوسف مداعباً:

بصراحة اه .. ولاقولك أعتبرني طردتك خلاص
بعد أن خرجا وأغلق الباب خلفهما واستدار إليها وجدوها مازالت جائزة في مكانها وشاردة في أفكارها المتضاربة وفجأة هبت العاصفة، وقفت مريم في اضطراب وانفعال وقالت: بارتكبكم:
- أنت آزاي تحضني كده .. هه ازاى .. أنت بتسنجل انهم قاعدين ينوي وعرف اني مش هقدر اتكلم
حاول أن يتحدث قائلآ:
- أنا مكنش قصدى حاجة ..
قاطعته وهي تصرح به:
- لا أنت كان قصدك .. لازم تعرف اني مش طياقك
وتلعمت أكثر و هي تهتف:
- مش طياقك انت فاهم ولا لاء
حاول يوسف أن يكتب الشعور الذي راوده من نظائرها الزائغة وارتباكها، ولكن انفعالها وتلعمها جعله يقترب منها ببطء وهي تصرح بكلماتها الغير مترابطة وهي تتحاشى النظر إليه ، وهو يتفحصها بنظائره بعمق ، أنتبهت إلى قربه منها فأسرعت إلى غرفتها الداخلية وأوصدت الباب بسرعة ، لم يكن هناك شيء مجهد في الأمر ولكن أنفسها كانت تتلاحظ وصدرها يعلو ويهدت في قمة الانفعال ، وقف خلف الباب يستمع إلى صوت أنفسها المتقطعة وكأنها تبذل جهدًا لتنفس ، وجد نفسه يطرق الباب قائلًا:
- مريم .. افتحي
صاحبت من الداخل :
- مش هفتح ابعد عنى
قال مهندم للموقف:
طب خلاص أهدي شوية بس وحاولى تنامي
صاحبت مرة أخرى :
صحت مريم:
ملكش دعوة بياا.. مفيش كلام بينا أصلا
طب انا آسف طيب لو كنت ضايفتك
لم ترد عليه ودخلت فراشها وضمت ساقيها بديها وأرخت رأسها عليها وهي تقول بهمس:

فوقاً يا مريم فوقى متنسيش هو عمل فيكى أيه
ما هذا الشعور الغريب الذي يدور بين الكره والحنين!

****

جلست علا أمام وليد في مكتبه وهي تقول:

يا حبيبي ما انا أثبتلك اني بتق فيك عاوز ايه تانى

قال باستنكار:

بأمارة أيه.. بأمارة ما جبتي معاكى أختك وامك
مفت شفتيها وهي تقول:

طب وانا اعمل ايه.. هند هي اللي شبطت فينا وبعدين راحت قالت لماما

قال بلامبالة:

خلاص تعالى معاي النهاردة
قالت على الفور:

ليه مش أنا شفتها خلاص .. وبعدين يا حبيبي ذوقك عاجبنى.. أعمل فيها اللي انت عاوزه
وانا موافقة

ألفتت إليها بحقن قانلاً:

شفتى بقى .. شفتي خايفة مني ازائ

نهضت علا باضطراب وقد شعرت بأنه وضعها بين المطرقة والسندان وقالت:

انت عاوز ايه منى بالظبط .. قلتلي تعالى شوفى الشقة علشان تقولى رأيك وافقت وشفتها
خلاص وأي تعديل هتعمله انا موافقة عليه .. عاوز ايه تانى
شعر وليد بالضيق فهو أصلا لا يحبها وإنما خطبها لهدف معين في رأسه وهي لا تعطيه فرصة لتحقيق هذا الهدف فنظر لها وقال بجود:
- خلاص براحتك وكويس انى عرفت انا مش متفقين من دلوتى بدل ما كنا تتجوز وبعدين نطلق
- أستدانت له بجسدها كله وحاولت تدارك الموقف قائلة:
  - وليد انت عرف معنى كلمك ده ايه
نظر لها وهو محتفظ بنظرته الباردة وقال:
- أسمى وليد بيه.. واعتبرى الخطوبة اتفسخت تجمدت مكاناتها فهي لم تهزم طيلة حياتها، فلقد كانت الأذى دائما، الشعور بالهزيمة مولم فلم تجد مفر من أن تقول:
  - يعني انت مبتحبنيش يا وليد
شعر باللين في صوتها بعض الشيء فقال:
- طبعا بحبك أومال خطبتاك ليه.. لكن انت مش فاهمانى واحنا مش متفقين في حاجات كتير يبقى الأحسن ننفصل من دلوتى صمتت لبرهة ثم قالت ببطء:
  - خلاص يا حبيبي انا موافقة
ألتفت إليها يتفحصها قائلها:
  - موافقة على ايه؟
نظرت له بحب وابتسمت قائلة:
  - موافقة آجى معاك.. علشان تعرف بس انى واثقة فيك واننا مش مختلفين ولا حاجة أرستمت ابتسامة نصر على شفتيه وأخذ مفاتيح سيارته وأمسك يدها قائللا:
  - طب يالا
أخذت حقيقتها وسارت معه، استقلت سيارته وظلت طوال الطريق صامتة تحاول أن تجمع
شتات نفسها لتجد مخرجًا مناسباً للموقف، فهي لا تريد فسخ الخطة وتريد أن تتم هذه
الزيجة بأمن تمن ولكنها تعلم أنه سيتركها في كل الأحوال لذلك لابد من أن تبحث عن مخرج
مرحب حتى لا تخترق منزهمة وخاسرة من جميع النواحي، وضع سيارته بهدوء في الجرار
وأخذها وсход بها شقتها بحذر فهو يعلم أن البيت لا يتواجد فيه في هذا الوقت سوى أمه
وزوجة عمه فقط.

فتح الباب بهدوء وبدون أن يصدر جلبة ولكنها أسقطت حقيقتها المفتوحة فوقت على
الأرض وأصدرت المفاتيح والحلف صوتا مرتفعاً على أثر ارتطامهما بالأرض، جذبها إلى
الداخل وهي تقول بصوت مرتفع:

- في أيه بتشدني كده ليه...

نجحت في أن تستئت انتبهه فلا يرفعت إلى حقيقتها التي مازالت على الأرض في الخارج،
كانت أمه قد سمحت صوت الأرطام فشعرت بالقلق فهذا ليس وقت عودة أي منهم من
العمل، ففتحت الباب بحذر فوقت عينها على حقيقة علا المبتعثة أمام شقة صمدة ليب، وقفت
تنظر إليها بتعجب.

وفي هذه الأثناء كانت علا تحاول أن تتكلم بصوت مرتفع وهي تقول:

- في أيه مالك بنعمل كده ليه كاتنا بنسرق
حاول كتم فمها وقال بخوف:

- وطى صوتها أمي بسمع دبة النملة
dفعته بعيدًا وهي تقول :

- المفروض اني خطيبيتك واني جاية اشوف شقتكنا .. فيها أيه دى بتو طبيعي صوتي ليه
كتم فمها مرة أخرى وجذبها لحجرة بعيدة عن الباب وحاول أن ينهي ما أراده سريعًا وقال:

- أنت عارفة الناس الكبيرة دقة قديمة ومبيفهموش في الحاجات دى.

ثم اقترب منها بابتسامة قالا:

- بس انت فعلا أثبتلي اناك بتحبينى زي ما بحبك
حاولت أن تتحدث وهي تبتدأ ولكنه جذبها إليه مرة أخرى وضعها وهو يحاول تقبلها وخرجت وفاء من غرفتها لجد باب شقتهم مفتوحاً وأمها تقف في الخارج وتقلب محتويات الحقيبة بين يديها فقالت:
- أيه الحاجات دى يا ماما
نظرت لها فاطمة بدهشة قائلة:
- مش عارفة يا وفاء.. سمعت صوت حاجة بتخبط على السيراميك خرجت لقيت الشنطة دي واقعة ومفتوحة كده
 أمسكت وفاء محتويات الحقيبة وفتحت الحافظة الشخصية وبسهولة علمت لمن تنتمي هذه الحقيبة ولكنها تعجبت من وجودها هنا في هذا الوقت فقالت:
- دى شنطة علا خطيبة وليد
- عرفتى منين
- بطاقتها اهي

فمجرد اللحظة التي خططت علا من أجلها وغامرت بهذه الخطوة، سمحت لوليد أن يبعث بملابسها ولقد كانت تقاومه بضعف وساعده في قطع أزار سترتها لتنظر بشكل المعتد عليها، وعندما وصلت لهذه النقطة قاومت بشراسة ودفعته عنها بعنف وخرجت من الغرفة مسرعة إلى الباب الخارجي وهي تصرخ صرخات متنازلة شديدة. فرعت لها فاطمة وفاء وهما بالخارج، فأخذت وفاء تدق الباب بقوة بينما فتحت علا الباب وخرجت مهرولة لتجد فاطمة وفاء أمامها فاصدمت بهما وحائى وقت الأداء التمثيلي المقنع، أرتمت في أحضان فاطمة وهي تبكي في انهيار وتقول لها:
- شايفة يا طنط ابنك بهداني ازاي.. شايفة اخوكى يا وفاء
حاولت وفاء أن تهدئها وأخذتها للداخل في غرفتها وأعتذتها سترة أخرى عوضاً عن الذي تمزقت ولقد كانت علا مفتحة جداً في آداء دورها ببراعة وهي تتلائم أنفاسها في حضن وفاء وتقص عليهم ما حدث وهنا قال وليد بعصبية:
- انتِ هتستعبطى يابنت .. انتِ جاية معايا بمزاجك وعارفة أنا عاوز منك ايه
أخذته أمه للخارج ودفعته قائلة:
- كده يا وليد عاوز تشمط فيا الأعادي .. لو كانت مرات عمك شافتك كان زمنها فضحتنا
قال مدافعا:
- ياماما انتِ بيخيل عليكم الأفلام دي .. دى حاجة معايا بمزاجها
دفعته أمه مرة أخرى وهي تقول:
- كتلك القرف .. أهى دى آخرة المستوى الزفت اللي رايح تخطب منه
قال بضجر:
- خلاص بقى مالوش لازمة أنا خلاص فسخت الخطوبة
عندما استمعت علا لهذه العبارة نهضت وخرجت لهم في انفعال ولحقت بها وفاء التي
سمعتها تصرخ فيه:
- يعني أيه تفسخ الخطوبة
ثم نظارت إلى فاطمة وقالت:
- يرضيكي يا طنط ابنك يبهذلني كده وفي الآخر يسبيني
قالت وفاء على الفور:
- لاء طبعا نظرت لها أمها شذرا وقالت بصرامة:
- بس يااابت انتِ متدخليش
ثم آشارت لعلا وقالت:
- أنتِ اللي جبت معاه برجليكي يبقى انتِ اللي غلطانة يا روحى .. أنا ابنى راجل
أنهارت مخططات علا بالكامل وهوت إلى أقرب مقعد وتقول بذهل:
- ده انتِ عندك بنات اراى تقولي كده
فاطمة :
- أنا بنتي محترمة مبتدوء شقيق .. يا يا حبيبيّ بطلّي تمثيل وكدى بعضك عن قصرها
وركوح بيتوكا
صاحٌت وفاء بغضب:
- بس ده ميريمي رينا انت كده بتساعديه على الغلط
صفعتها أمها وصاحبت بها:
- أمشي ادخلي اوضتك
والتفتت إلى علا وقالت ببرود:
- انت طالعتنا بهدومك يا حبيبيّ يعني الود مملكيّ حاجة وزى ما دخلنا بالمعروف نخرج
بالمعروف .. ونسبيلك الشبكة صدقة
وفتحت الباب وأشارت وهي تقول:
- أطلعى بره وما اشوفش وشك هنا تاني
سارت علا في الطرقات متحبطة أنهارت أحلامها وآمالها ، أنهار ما خططت له وحاولت أن
تستفيد من وراءه، كانت دائما تبحث عن المصلحة فقط
كانت تتوقع أن تنتصر لها فاطمة وتجبره على الزواج بها ولكنها وجدتها امرأة بلا لقب
وجدت نفسها تعود أدرارها إلى الشركة وهي تريد الانتقام من وليد وأمه ، ولأول مرة
تتصرف وبدون تفكير عكس عادتها دائما.
دخلت مكتب الحاج حسين بدون استذان كأنها مغيبة وبدأت في سرد كل ما رآته وسمعته
يوم زفاف مريم ويوسف وكل ما دار بين سلمى ووليد في الجريء.

***

مسحت هند على ظهر علا وهي تقول :
- عيطي يا علا متكتميش في نفسك كده انا خايفة عليك
نظرت لها علا بحدة قائلة:
أول مرة أخرى من معركة خسرانة يا هند
قالت هند بذبول:
الأموال انت كنت فكرة أيه.. أم وليد ميفرقش معاه حاجة.. وحتى لو كان ابنها عمل فيك
حاجة مكننك تضغط عليه علشان تجوزك
أكملت علا بشرود وكنها لا تسمعها:
- مكننك قدمي حل تاني ومكننك بنفع ارميله الدبلا واقوله لاء.. ومكننك ينفع اضيع نفسك
معاه.. كل حاجة كانت ماسية صح لو كانت امه زي منا كنت فكرة.. لكن دى طلعت ست
واطية أوى
ابتست هند بسخرية قائلة:
الأموال يعني كنت فكرة وليد جاويه من بره
ثم تابعت:
- بس كويس ان الحاج حسين سمك وصدقك وكمان مهنك عليه انك ينقطع عيشك وشغلك
معايا
قالت علا بنظرة تحدى:
- متقلقيش عليا.. بكره هتلاقيني رجعت اقوى من الأول.
***
- أنا معرفتش اربي الواد ده يا حسين هاين عليا أروح أموته واخلص منه
- أنا مش بحليك علشان تعمل في نفسك كده يا إبراهيم
وضع إبراهيم رأسه بين يديه واستند إليهما وهو يقول بحزن:
- دى غلطتي من الأول .. أنا مخترتش أم تعرف تربي ولادي
ثم نظر إلى حسين متابعا:
- لا وأيه فاطمة واقفة تبيج في وشى وتقولي محصلش .. البيت دى كدابة .. لولا وفاء
حکتالي على كل حاجة
ربت حسين على كتفه وهو يقف بجواره قائلًا:

- خلاص يا إبراهيم استشهد بالله.. المهم دلوقتي تسحب منه مفاتيحه حتى مفتاح شفتيكوا ميقاتش معاه.. وتخليه تحت عينك لحد ما يعرف غلطه ويتربى بما أن الكلام والتصايع مش نافعة معاه.

هتف إبراهيم في دهشة:

- آنا الللى هيجننى ليه يبيشوه سمعت بنت عمها.. وليه كان عاوز يوسف يقتنع أنها بنت مش كويسة وليه أدى ليوسف مخدرات وازى يوسف ياخدها منه شرد حسين في وجوه وقال:

- متنساسى ان امه مقهمه انهم مش ولاد لله يرحمه.. وانهم ولاد حرام عنشان كده مش حاسس انهم ولاد عمه اللي المفروض يخف عليهم.

نهض إبراهيم وقال بغضب:

- الست دى مش هتقد فى البيت ده تاني.. أنا هطلقها يا حسين وارجعها بيت أهلهها

قال حسين فى أسى:

- استشهد بالله بس.. ومتنساسى وفاء.. هي ذنبها أيه تشوف اما مطلقة في السن ده.. كفاية الى الي البنت فيه من ساعتها..

وتابع وقلبه يعصر من الألم:

- وبعدن يعنى ماهو يوسف مصدقش حاجة من اللي اتقالت ولاهو أتجوز مريم برضة وبيبحها.. متحملش همهم فكر بس ازى تحاول ترجع مراتك وابنك لصوابهم بهدوء كده ومن غير انفعال.

****

شعر يوسف بالقلق عندما أعلن هاتفه عن اتصالاً من أبيه، أخذ الهاتف في سرعة وأجاب والده:

- السلام عليكم
- وعليكم السلام..مراتك فين
عقد يوسف حاجبه قلقاً وهو يقول:

- نايمة

طب اسمعنى كوي.. في حاجة حصلت وعاوز احكيهاك بس متقاطعنيش
زاد قلقه وهو يقول:

- أتفضل يا بابا خير ايه اللي حصل
قص عليه والده ما حدث بالتفاصيل ، فاتسعت عيناه في دهشة وذهول وهو يرد:

- أنا مش قادر استوعب
ولا أنا .. في بعض التفاصيل مش قادر الم بيها برضة.. وعلشان كده كمتك .. أكيد انت
عندي حاجة اللي اسمها علا دى متعرفهاش
قال يوسف بشرود:

- أيوا يا بابا حكاية ان سلمي خدتها معاها بعد الفرح دي مريم حكتلي تفاصيلها وانا
استنتجت منها أن الحكاية كانت مترتبة علشان اظن في مريم انها بتروح شقق مفروشة
اردف والده بجدية:

طب وحكاية انه طلع عند مريم وكان عارف انك مشى وراه
قال يوسف وكأنه يتذكر:

- اليوم ده الصبح وقف وليد بكلمها في الجنينة وبعدن عمل حركة كده وهو مشى كأنه
بيقولوها مستنث تليفونك واحنا في المكتب جالى وبعدن جاله اتصال وحسيت من طريقة
كلامه أن مريم هى اللي كانت بتكلمه .. خرجت بعدهي بنص ساعة ورجعت البيت وشفته نازل
من عندها يبيصر وخد عربته ورجع الشركة ثاني
قال والده بحدة:

- وعرفت منين انه نازل من عندها
أجاب يوسف بتردد:
شفت الأساتذة نازل من الدور باتعاها

هتف والده بحدة وانفعال:

- علشنان انت غبي.. وهو أى حد يعمل الحركة دى خلاص نقول نازل من عندها... عمرى ماعدت عليك كلام ربي "لي أيهما الذين أمِّنوا إلى جاكم فاسي بنيا قلبي ون تضيفاً قوما بجهالية فتطلبوا على ما فصلهم نادمين".. أهو كان مرتب كل حاجة وكان عارف اتك غبي

وهتدقى وهرتود وراث والوين المسكنية اتظلمت

صمت يوسف وهو يعلم أن والده حدق بكل كلمة قالها، وشعر بحرارة الضغب تعلو وتترفع

بداخله، ضغط أسانسه وهو يقول:

- أحما هنا رجع بكرا ان شاء الله وساعتها مش هرجمه.. لا هو ولابو الحقيرة اللي اشتركت معاه

في كده

قال والده بسخرية لاذعة:

- ده على أساس اتك معذور يعني وانك انت كمان مشتركت معاهم.. مع أن أنت يا أخى كنت اللي هما اعتمدوا عليه علشن ينفذ حكم الأعدام فيها

أغمض يوسف عينيه في ألم وحزان فاستدرك والده قابلأ:

- بس فأيدك تصلح علاقتك بمراتك وتخليها تسامحك.. خصوصا لما تعرف اللي حصل

قال يوسف بأسى:

- مفترش يا بابا انا ممكن تسامحني ومعنا حق .. دى لسه بتخاف موني لحد دلوتى

ونايمة في الأوضاع اللي جوى وقافلة على نفسها بالمفتاح.. أنا والله مش زعلان منها.. أنا بس مش معاوزها تبقى خايفة منى كده

قال حسين بهدوء ووقار:

- طب أنا هكملها دلوتى واحكيلها اللي حصل بالكلام اللي انت قلته دلوتى

كاد والده ان ينهى الاتصال لولا انه سمع يوسف يقول:

- بابا... قولوا انا بعد ما ننزل مصر هاخدلها حقها من كل اللي ظلمها .. كل واحد فينا لازم

يأخذ جزاءه بما فيهم أنا
وضعت مريم هاتفتها جانباً وهي غير مصدقة لما سمعت من عمها، تمتمت في خفوت:

- ليه يا سلمي.. أنا أتذكر فأي عشان شاهدُنا صورتي وتتفقُّ مع وليد عليا.. ده انت كنت صاحبتى الوحيدة وكرت بثق فيكى وماشية وراكى وانا مغمضة.. ليه تعملُ فيا كده

فتحت الباب وخرجت في الدفاع، كان يوسف يجلس على الأريكة الخارجية، وقفت أمامه في ذهول وصرخت به:

- ليه عملتُ فيا كده.. أنا عملت فيكوا ايه.. صاحبتى وابن عمى يشوهوا سمعتى وانت تصدقهم ويخطبوا عشان بخلوك تستفرد بيا وانت متخدر.. وتعلمه اللى هما عاوزيشه وتدبخت.. ليه عملتُ فيا كده ليه

قال بصوت بعيد كأنه يخرج من أعماقه وهو ينهض في مواجهتها:

- أنا هاعدلك حقك منا كلنا.. أعودك

صرخت به ببكاء وهستيرية:

- عشان كده كنت بتقولي انت مستهليش الحب اللي حبتهوك يا حقيقه.. كنت شايفنى حقيقه يا يوسف.. كنت شايفنى ازا قول.. مدفعتى على ليه يا يوسف.. مخدتنيش ليه من اللي كنت فيه وضريتني قلمن وقتنى من اللي يعمله بسذاجة وانا ماشية وراها وفاكرا صاحبتى... مفهتمتنيش ليه حقيقه وليد.. بلاش كل ده.. مجتش ليه تسالني هو كان عندي ولا لاء.. لو كنت طلعتى كنت لفيتني نايم وماش درايانا باللى بيحصل.. لو كنت مسكت تليفونى مكنش حقيقه ولا مكالمة واحدة لوليد.. لو كنت طلعت ورايا كنت هتلاقينى قاعدة بر مع سلمي لوحدنا وها جوى.. مواجهتيش ليه باللى بتسمعه عنى.. وحتى لو كنت اتآكدت اني مش محترمة.. أي اللي يديك الحق انك تعمل فيا كده.. انت أيه الفرق بينك وبين وليد وسلمى.. انتوا الثلاثة أحرق من بعض

ظلمت تتكلم وكأنها تهذي ودموعها تنهمر على وجنتيها وتطلق لنفسها العنان في رحلة بلا عودة:

- ده أنا لما دخلت البيت ولقيت الدنيا ضلَّمة كنت مرعوبة.. وكرت عمائه افكر أرجع استنامه في الشارع لحد ما سمعت صوتك حسيت بالأمن.. من كتر الأمان اللي حسنت بييه مقدرتش احس بالتغيير اللي كان فنية صوتك.. حسيت أن صوتك مش طبيعي كأنك نايم لكن كان يكفينى انه صوتك عشان احس اني كويسة واني في حمايتى..
أنتفقت إليه من بين دموعها وهي تهتف بغضب:
- حتى لما شدتني ليك. أنت عارف إذا فكرت أنك عاوز تنخاقك معايا علشان كنت بهزر مع

ولاد خانتها في الفرح وان مشت معها. أنتورت اني نجحت اخاليك تزهر علايا. 

كنت فاكراك هتشدنى وتتمنى بالقلم وتزعقل وفى الآخر تعترفلى ببدك. وفعل اعترفت

بحبك ولكن وانت بتبدنحنا يا يوسف. مصبتش عليك طيب بعد ما أغمي عليا وبقيت من غير

اراده مصبتش عليك...

وفجأة بدأت في ضرب صدره ضربات متتالية بقبضتها الصغيرة وهي تصرخ:

- مصبتش عليك يا يوسف. مصبتش عليك

تركها تضربه وأمضع عينيه وصدره يعلو ويهبظ بأنفس متلاحمه والنار تتأجج وهربت
دموعه من سجنها وتحررت من مقلعتها. أنهارت مريم تمامًا ولم تنحول قدمها أكثر من هذا
تخلصت فورا من هذا الحمل الثقيل وخلت عنها. كانت بين الحلم والواقع. لا تعرف هل
تحلم أم لا. خارت قواها بشكل كامل وهي تسقط بين يديه. حملها بين ذراعيه وأدخلها
غرفتها وسدها على فراشها.

ظل ينظر إليها ويتفحصها. لم يكن يعلم هى فاقدة الوعي أم أن طاقتها نفذت ولا تقدر
على الحراك. سقطت دمعة من عينيه على وجنتها فمسحها ببطء ومسح على شعرها وجلس
بجوارها لا يدرى ماذا يفعل. شعر أن أنفسها انتظمت وأخذت تنفس في هدوء فعلم بأنها
سقطت في نوم عميق.

ظل جالسا بجوارها حتى سمع صوت آذان الفجر. قام وتوضأ ووقف يصلح. هربت الآيات
من صدره إلا ثلاث آيات من سورة الفرقان ظلل يردها مرارًا وهو يبكي بشدة

"ويوم يُبعض الظلم على يَدِيَّه يَفعلًا يَلَّا لَيْتَ شَكَّتْ بِهَا مَحْرَمًا سَيِّئًا (٢٧)

يا ويَلَّا لَيْتَيْ لَمْ أَتَحَدَّ فِنَا خَلِيلًا (٨٨)لَقَدْ أَضَلَّلَنَّنِّي عَنَّلَائِثْ عَنَّلِثْ إِذْ جَاعِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ

لِلِّإِنسَانِ خَذْوًا (٢٩)"

استيقظت مريم على صوت بكاءه وشهقاته المتلاحمه. أعلنت على فراشها ومضت ساقها
إليها وهي تنظر له وتسمعه يرقل نفس الآيات ويبكي. لمست الآيات قلبها وشعرت وكأنها
أنزلت من أجلها. وجدت الدموع طريقها إلى عينيهما مجددا وسقطت على وجنتيها في صمت
حتى انتهى يوسف من صلاته.
انتهى إليها فوجدا، قد استيقظت، وجلس مصوبة نظرها إليه، ودموعها تنهمير في صوتها.

أقرب منهم وحاول أن يجفف دمعها، ولكنها دفعته بعيدًا. جلس بجوارها على الفراش قابلاً.

- انت معاك حق في كل كلمة قانتيها. وماليش أي عذر ولا عندي عذر هيبيقى أقبى من ذنبى. ورساها الغيرة كانت هجتهنلى يا مريم. يا مريم انتى كنت أول حب في حياتي، وانا ماليش شفية غير في شغلني وس. ولا يعرف حادة عن الحريم ولا كنت احب اتعامل معاهم غير من بعيد لعيد. فقية لقيت نفسى بحبك وفى نفس الوقت مش راضى عن تصرفاتك ولا عن لبسك. مكنتشيش بتحسي بي وانا بتحانق معاك على لبسك وصرفاتك؟ كنت حاسية انه غياث ومرضك كنت بتمادى كانت مش هامك النار اللي جوايا. كنت حاسى اتك ملكي ومهنعك أي حد تاني يشوفك ولا يملسك بس مكنتش قادر اكتلم. وليد نفسه حس باللي جوايا وعلشان كده استغلها لصالحه عشان يشكونك فيكي أكثر وانك. يوم ما كان وافق يهزر معاك في الجينة وتضربك كفك بكفه، وهدومك لازقة عليكم من اليوم كنت حاسس اتي ممكن اقتلك واقتلته اعقى طار مكنتش عارف افك. كل اللي مسير عليا الغيرة.

أحساسي اتك بتخونينى فضل يكم جوايا ودى أقدر لحد يوم الحادة. كنت واقفة في الفرح مع الشباب بطريقة خلتني كنت هروش اشدوك من ايدك قداً كل الناس واضربك انت وهمى. فضلت ماسك نفسى ومل ما تجى عينك في عيني ت Бесيدباستفز تجنيسلى اكتر. مكنتش قادر افك في حاجة خالص لدرجة اتي اخدت منه الحروب دى والسجائر وانى عمريك ما شربتها من غير وعي. ولا فكرت اني بدير نفسى ولا ان ممكن دى يحصل. كل اللي كنت عاوزه اني اطيح النار اللي جوايا بأي حاجة تغيضني عن الوعى. طلعت وراكوا بالعرفية وانى كان كل هديتى اتي أراقبه واعرف انت رايدة فن. وما كلمت البار انجنتى أكتر لما عرفت انها شقة مفروشة. ساعتها قررت اني اطلعك من حيائي تمامًا وانساكى بس بعد ما انتقم لقلبى منك..

لكن صدقى عمرى ما فكرت اني هعمل فيكي كده. أكبر حاجة فكرت فيها اني أطفى النور واريوك وبالبتيك أوى أقولك اللي فتهلك ساعتها وخلاص. لكن معرفتش اسيط على حاجة بعد ما شديتك لحضني. فقية لقيت نفسى خارج سيطرتى وابدت دماغى تلف أكتر وافقد تركيزى واحدة واحدة. حسنت اني ميت و أصابى كلها تجمد كاتى لا شافك ولا سامتك. لكن حاسى بيكى بين ايدي وبيس ..

كانت تستمع له بدموعها المنهمرة على واجنتها وتشيش بوجهها بعيدًا عنه، وهي ضامة ساقها. كانه فصل قلبى شطرين بسكن كلماته التي كانت تشعر بصدقها، شطر يصدقه ويشعر به وشطر يكره ولا يجد له مبرراً، وكان الشاعر عبد الله القيصر يجلس بينهما قاتلاً
 فوق يتَّبَعُ فِيَكَ سَمِعٌ، وَتَتَّبَعُ فِيَكَ غَيْرُ الشَّكَّ عَيْنِي
وَمَا أَنَا بِالْمُصْدَقِ فِيَكَ قَوَلًا، وَلَكِنَّي شَقَّيتُ بِحَسَنِ ظَلِّي

الفصل الثلاثون

نهض يوسف مهزمًا أمام والده الذي وقف بصمته شديدة وهو يهتف بانفعال:
- ازاء تعمل كده.. ازاء تطلقها من غير ما تقول

تابع يوسف بحزن شديد:

- هي اللي أصرت يا بابا.. كانت حالتها صعبة ومكنتش ينفع أقولها لاء.. لو كنت قلت لاء
كانت انهارت أكثر.. لكننا اشترطت عليها ان محدش يعرف بحكاية الطلاق دى لحد ما
نرجع ونقولك الأول وهي وافقت

زهر والده وهو يستعيد جلسته الأولى خلف مكتبه وهو يقول:
- أستغفر الله العظيم يارب .. كل ما احلها تتعدد

ثم نظر إلى يوسف وتابع:

- وهنقول أيه للناس .. اخواتك واخواتها .. هنقولهم أيه بسبب الطلاق بعد كام يوم .. كده
هيفتكروا أنك لقيتها فيها حاجة

نهض يوسف وافقا وقال دون أن ينظر إليه:
صدقتني يا بابا مكنش قدامى حل تاني

أنتوا دعوى واحده الى المقعد وأغمض عينيه وهو يستغرف وفجأة فتح عينيه قائلًا:

الحمد لله بني الهيمنى الحل

ألفت له يوسف بنظره متسائلة فارد ولده:

ونتيوا هتشتختوا مع بعض زى ما انتوا كده فشتكوا عادى .. كانوا لسه متجوزين ومحدش

هيعرف حكایة الطلاق دى دلوقتي خالص

زارت حيره يوسف وهو ينظر لوالده قائلًا:

أزاي بابا نعيش مع بعض وانا مطلقها

أبتسمل ولده وهو يهنوه وامفا ويشير إلیه أن يتبعه ، خرج حسين من غرفه مكتبته وصعد

هو يوسف الى مريم.

طرق الباب فتحت : لم تكن قد أبدلت ملاسها بعد رغم الأرحاق الذي تشعر به من أثر السفر

زاغت نظراتها بينهما فقا للحسين مبتسما:

مش هنقوللينا أنفصلوا ولا إيه يا مريم

أفسحت الطريق امامهما و هي تقول بخوفت :

- انفصلوا

جلس حسين وهو يقول :

- أزاي تصمتم على الطلاق كده يامريم من غير ما ترجعلى .. في بنت تطلب الطلاق من

غير ما تاخذ رأي ابوها

صممت مريم وهي تتحاشى النظر ليوسف ثم قالت:

ساحنعي يا عمى بس انا مش هقدر استحمل أكثر من كده

نهض وافقا امامها وقال وهو ينظر لعينيها:

طب واخواتك والناس كلها هقولوا ايه دلوقتي
أشاحت بوجهها بعيداً وهي تقول بانفعال:

- اللئي عواز يقول حاجة يقولها .. أنا أصلا كده سمعتى متشوهه لوتها:
- أطرق يوسف إلى الأرض في ألم فقد فهم ما ترمى إليه فطابع حسين حديثه إليها:
- تفتكرى إيهاب هيسکت لما يعرف ان أخته اطلقت بعد دخالتها بكام يوم.. أنت ياى بنتى كده
هتقومنا حريقة في البيت
صاحب وى تستنذ إلى أقرب مقعد أمامها وى تقول:
- كفاعة ضغط عليا يا عمى .. أنا مش هقدر استحمل أكثر من كده .. مش عاووزه ابقى على
ذمتى يوم واحد بعد كده .. وعمرى ما هوافق ارجله أبدا مهما حصل
لف حسين ذراعه حول كتفها مهدنا أياها وقال بهدوء:
- ومين قال انك هترجعلا .. أنا مقلتش كده
قالت وى تلتفت إليه:
- أومال حضرتك بتقولى كده ليه
ربت على كتفها وقال بحنان:
- يقولك كده علشان تتقبلى الحل الوحيد اللي هيضيكي .. وفي نفس الوقت يمنع المشاكل
اللى ممكن تحصل لو حد عرف بالطلاق دلوقتي
- حل أىه
قال حسين بهدوء:
- شرع ربنا يابنتي ب يقول ان الست اللئي بتطلق طلاق ترجعى تفضل قاعدة فى بيت جوزها
لحد فترة العدة ما تخلص
وفق يوسف قلالة:
- يابابا طب ماهي هي .. منا هنزل أعيش معاكوا تحت وبرضة الكل هيسأل ليه
ألتفت إليه والده قلالة:
- ومن قالن، إنك لتجييش معانا تحت .. إن هتعيش في بيتنا برضة معانا .. لحد فترة العدة ما تمخلص نظرت له مريم بذهول ودهفت:
- وانت يا عمي ترضي كده لفرحة أومأ يراسه قالن:
- أيوا اراضه .. علشان ده شرع ربنا مش حاجة جايبها من عندي تدخل يوسف مستقهما:
- ازاي يابابا جلس حسين وبدا في شرح الأمر قالن:
- الآية الكرمة في سورة الطلاق بتقول (يا أيها الطبي إذا طلقتم النساء قطعوهن يعدتنهن وأحصوا التعده وأتقوا الله ربكم ل thơجرهن من بيوتهنولا يحرم إن أني أنتين بفاعحة مبينة وتلك حدود الله ومن يعتد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يجد خيرك بعد ذلك أمرًا) يعني يابنتى شرع ربنا اللينأس كثير نسيته دلوقتي بقول إن الست اللي تطلق طلاق رجعى تفضل قاعدة مع جوزها في بيتها زي ما كانت بتتعد معاه بالظبط وهمو متوجيين .. يعني تقعد بلبس البيت عادي .. وتكمله وكيله وكأنه زوجها لكن بدون جماع .. عرفت بقية فيه يقولك اه اراضه لبنتى .. لأن ده شرع ربنا وأمر من ربنا إنها متخرجش من بيتها بعد الطلاق الرجعى لاء دى كمان لو خرجت تأثم صمتا يوسف ومريم وهما يستمعان لأول مرة لهذا الحكم الشرعي الذي لم يكونا يعلمو عنه شيئًا من قبل .. أردف حسين قالن:
- علشان كده يقولك الحل ده هو أفضل حل هيمع الخلافات .. وفي نفس الوقت هيربحك لأنه هيفضل مطلقة زي ما انتي عايدة .. وله العدة تقرب تخلص نبقي نشوف ساعتها هنعمل أيه بس يكون عدة وقت .. مش الناس تعرض انكوا اطلقنا بعد دخلتكوا بكم يوم تنحنح يوسف بحرج وقال بتردد وهو يتحاشى النظر إليهما:
- بس يا بابا أنا مدخلتيبها يبقى مالهاش عدة أصلاً
- أشاحت بوجهها بعيداً بينما قال حسين بنفاذ صبر:

- في حاجة اسمها عدة احترازية ودى بنطبق على الحالات اللي زى حالتكو كدة .. لما
- بيحصل افرح ويتقلل عليهم باب واحد ونالناس كلها بتبقي عارفة أنهما دخلة .. لما بيحصل
- طلاق بعدها حتى لو مدخلتيبها بيطبق عليها العدة الاحترازية اللي بقولكم عليها دى

قالت مريم في شرود:

- بس يا عمي أنا طلبت الطلاق علشان مش عاوزه اعيش معاه في مكان واحد.. يبقى أنا كده
- عملت ايه
- أومأ برأسه متفهما وقال:

- أنا فاهلهم يا مريم.. بس ده دولوقتي حكم رينا مش حكمي أنا .. وإذا كان في أيدك تنفيذه ..
- وإذا كان في أيدك توافق عليه وتنمسي مشاكل ممكن تحلل .. يبقى لي متجيش على نفسي
- شوية ؟ وبعدين دى فترة العدة يعني بعدها هتبقى حرة خلاص .

تدخل يوسف بشكل حاسم قائلًا:

- متقلقيش يا مريم .. أنت فكل الأحوال مش هتشوفيني تاني .. أنا وعدتك انى اخدلك حقك من
- اللي ظلمك وأولهم أنا .. وأنا هوفك بوعدى ليكى والنهاردة مش بكره

تركهم يوسف وفتح الباب وخرج مسرعا .. هبط الدرج بسرعة كبيرة وهو ينوي الوفاء
- بوعده .

*****

وفي الصباح وأثناء متابعته لأعماله في انهماك شديد جاء أتصال داخلي من مديرية مكتبه
- الذي أجابها دون أن يرفع عينيه عن الأوراق التي بين يديه، فقالت :

- في واحد على التليفون عاوز حاضرتك وبيقول انه من النيابة

قطب حسين جنبته وقال بقلق:

- وصليني بيه

وبعد دقائق خرج حسين ملعوفاً من مكتبته وهو يقول للسكرتيرة:
- أجلى أي شغل دلوقتي لحد ما ارجع
  جلس أمام يوسف بلبعة شديدة وقال:
  - أيه يابني اللي خلاك تعمل كده
  تدخل وكيل النيابة في الحديث قائلًا:
  والله يا حاج حسين لولا سمعتك الطيبة وسمعت شركاتك اللي مفيش عليها غبار مكتش
  اتدخلت في الموضوع بشكل ودي .. وكنت مشيت في المحضر بشكل رسمى .. لكن أنا قلت
  أديك خبر الأول لعل وعسى
  ألتفت إليه حسين بامتنان قائلًا:
  - جميلك فوق راسي
  نهض يوسف في انفعال قائلًا:
  - وانا مش عاوز الجميل ده .. أنا عاوز المحضر يمشى بشكل رسمى وانا معترف على نفسي
  والتفت إلى وكيل النيابة قائلًا:
  - ولو سمحت يأ فندم والدى شاهد أثبات في القضية دى
  حاول والده أقصاءه عما يريد ولكنه هتفت بتصميم:
  - لو سمحت يا بابا أنا عاوز آخذ جزائي علشان بقى عبرة .. وعلشان ربي يتقبل توبتي
  أعتدل وكيل النيابة في جلسته وقال:
  - أنا قدم التصميم ده مفيش قدامي غير اني استدعى البت اللي بتقول انا اعتديت عليها
  صاح حسين بوجل :

  - دى تبقى فضيحة يا فندم .. دى بنت عمه .. وكلنا ساكنين في بيت واحد .. ازاي عسكرى
  يدخل البيت ويجيبها ويجي هنا ازاي
  طرق وكيل النيابة بأصابعه على حافة المكتب في تفكير ثم قال:
  - خلاص مفيش مشكلة .. حضرتك ممكن تروح تجيبها بشكل ودي ولما تيجي وتدي
  بشهادتها بتبقى نشوف هنعمل ايها ساعتها
هانيف حسين مريم وهو في طريقه إليها وأمرها أن تبدل ملابسها بسرعة وتهبط للأسفل وتنتظره في الجرح، حاولت أن تعرف مريم ماذا حدث، ولماذا يريدها ولكنه قال باقتصاد:

- لما اشوفك هكذا

أبدلت مريم ملابسها في عجلة وذهبت لتنظر عمها بالجرح ولم يتأخر كثيراً، استقلت سيارته وبمجرد أن اتخذت مكانها بجواره حتى قالت:

- خير يا عمى في ايه

أنطلق بسيارته وهو يقول:

- يوسف رايع النيابة قد بلغ في نفسه واعترف فيه انه اعتدى عليك

شهدت مريم وهي تضع يدها على فمها وتنظر له بذهول وقالت:

- وحسباً

هز رأسه نفياً وهو يقول:

- لا .. وكيل النيابة مرضيش يقف المحرر إلا لما اتصل بيا.. ولما روحت لقيته هناك مصمم

ان المحرر يكل بشكل رسمي .. ووكيل النيابة كتر خيره مرضيش يبعتلك عسكري ولا

أمن شرطة يستدعيك عشان تقولين أقوالك وسابنى آجي اخذك بشكل ودى

مازل الذهول يسيطر عليها وهي تنظر إلى الطريق أمامها حتى وصلوا إلى مقر النيابة وبعد السماح لهم بالدخول ، دخل حسين بصحة مريم التي كانت تخطاو ببطء وهي تنظر حولها

حتى وقفت عيناها على يوسف الذي يجلس على مقعد جانبيا واضعا رأسه بين يديه وكأنه

في عالم آخر.

وقفت مريم أمام وكيل النيابة فرفع يوسف رأسه ولم يجروء على رفع ناظره إليها وهو

يسمعها تجيب سؤال وكيل النيابة وتقول:

- أنا مريم يا قندم

مد يده إليها قائلًا:

- بطاقتك لو سمحتي يا مريم
نظر إليها ثم وضعها على المكتب أمامه وهو يشير لهما بالجلوس قائلًا:

- افتحلي يا مريم.. افتحلي يا حاج حسين

ثم أشار ليوسف أن يأتي ويقف في مواجهتها وقال:

- الأستاذ يوسف قدم بلاغ بيعترف فيه أنه قام بالأعتداء عليك.. أيه أقولك

نهضت مريم واقفة في سرعة وقالت:

- محصلش يا فندم

هتف يوسف صاحبًا:

- لاء حصل وانا معترف ومش هتنازل عن البلاغ وأقولها مالهاش أى لازمة

نظر له وكيل النيابة بحدة قائلًا:

- أنت هتعرقتي شغلى ولا أيه

ثم التفت إلى مريم قائلًا:

- يعني انت بتنفى الواقعة

أومأت برأسها بجدية وثبات وهي تقول بثقة:

- أيا وا فندم بنفيها.. الكلام ده محصلش

هتف بها يوسف:

- حرام عليك .. أنت كده بتضيعي حقك.. أنا عاوز اتبع체با واحذ جزائي حتى لو أعدام هبقى

مرتاح اني رجعتلك جزء من حقك

أشاحت بوجهها عنه ونظرت إلى وكيل النيابة قائلة:

- اقدر امشي يا فندم

شكر وكيل النيابة اصابه قائلًا:

- طبعا تقدر تمشى
ثم نظر إلى يوسف قائلاً:
- وانت كمان تقدر تتشى كده مفيش قضية من الأساس

***

وقف حسين أمام سيارته وهو يقول ليوسف بحدة:

- أركب

هز يوسف رأسه نفياً قائلاً:

- سيبني لو سمحت يا بابا

فتح حسين باب المقعد الخلفي للسيارة ودفعه داخلها بغضب شديد، أضطر يوسف أن يمتثل لأمر والده، استقل حسين سيارته وجلس خلف المقود ومريم بجواره، نظر له في المرأة التي أمامه قائلًا بغضب:

- انت هتفض متهور ومتمرعر كده لحد امتي.. رايت تبلغ في نفسك.. عارف لو القضية دى راحت المحكمة يحصل أيه.. هتبقى فضيحة للعيلة كلها ولي ميعرفش يعرف

قال يوسف بحزن:

- يا بابا انا كل اللي عاوزه اني ارجلها حقها ويس

وضعت مريم يديها على وجهها وظلمت تبكي بحزن شديد ومرارة، بينما انطلق حسين بسيارته عائداً إلى المنزل

بمجرد أن دلف الثلاثة إلى الحديقة وقع نظر يوسف على وليد الذي كان خارجاً من المنزل متجمعاً للبوابة الخارجية بحنق، وبدون وعي هرول إليه يوسف وعندفاع شديد وبكل الغضب الذي يتمثل في صدره هجم عليه ووجه له لعنة في أنفه أردت على أثرها للخلف بقوة ونزفت أنفه، تلقى يوسف ارتدادته مرة أخرى ووجه إليه لعنة ثانية وثالثة أردته أرضًا وهو يترنج حتى كبله أبيه من الخلف ولف ذراعيه حوله بقوة وهو يصبح به :

- كفاية يا يوسف.. كفاية هيموت في أيدك

حاول يوسف أن يتخلص من ذراعي أبيه ولكنه أحكم ذراعيه حوله بقوة ودفعه للمدخل الداخلي لل منزل ثم داخل المصعد الذي صعد بثلاثتهم إلى الطابق حيث شقة يوسف ومريم
حاول ولد أن ينهض ولكن لكمات يوسف القوية جعلته يفقد توازنه فترة من الزمن فلم يستطع القيام إلا بعد وقت ليس بالقصير، لجأ إلى صنبور صغير في جانب الحديقة وجعل يغسل أفقه من أثر الدماء، وما أن انتهى حتى جلس إلى الأرض ثانية. يحاول التقاط أنفاسه.

كانت مريم مشدوحة لا تصدق ما يحدث منذ أن عادوا من سفرهم، نيابة وتحقيق ثم مشاجرة انتهت بدماء ينزفها وليد من وجهه، أفخت إلى حسين الذي كان يصيح في ولده

**بغضب:**
- أنت اهناك لحصلك.. أتجننت ولا أهناك.. أياك تتحرك من هنا النهاردة.. أنت فاهم ولا لا.. وتركهم وغادر مغلقاً الباب خلفه بقوة، جلس على المقعد المجاور له ووضعت رأسها بين يديها وأغاضت عينها تحاول استيعاب ما يحدث حولها، ألقى عليها نظرة سريعة ودخل غرفة النوم، أخرج حقيقة سفر كبيرة وفتح الخزانة، أخرج ملابسه منها ووضعها في الحقيقة بغير ترتيب وخرج من الغرفة واجه إلى غرفة أخرى صغيرة، وضع ملابسه وأشيائه بها ثم ألقي بجسده على الفراش وراح في نوم عمق.

بعد دقائق ليست بالقليلة تقدمت خطوات من غرفته ونظرت نظرة جانبية من خلف الباب الذي لم يوصده فوجده غارقاً في النوم، من الواضح بأنه لم يتم منذ ليلة أمس، ظلت تنظر إليه وهي تذكر صيامها بها أمام وكيل النيابة لتقول الحقيقة وتنتهي بما فعل

كانت الفرصة سانحة لها أن تفعل لتنتقم منه، ولكنها لم تفعل، وهذا ما زاد عذابه وحزنه وحنقه على نفسه ومنها ومن والده، عادت لغرفتها وأوصدتها وجلس تفكر في الوضع الجديد التي اضطررت أن تتعاش معه، ولكن شيئاً ما في نفسها كان يشعر بالإرتياح بعد الموقف الذي اتخذه يوسف من نفسه وبعد تصميمه على إعادة حقها المсложн من نفسه أولاً.

***

استقبلت سلمى السيارة بجوار ولد وقالت في لهفة:
- مالك يا حبيبتي فاي أه.. وأيه الجرح اللي تحت عينك ده

تحسوس وليد عينيه وهو يقول بحنق:
- ده الزفة اللي اسمه يوسف.. خدنى على خوانة وهو عامل زى الطور كده

هتفت سلمى بدهشة:
- ويوسف عمل فيك كده ليه
- تحسس أنفه بألل وهو يقول:
- ما أنت نايمة على ودانك .. الحكاية اكتشفت يا سلمي .. يوسف ومريم عرفوا كل حاجة
- أتستعينها وهي تقول:
- ومريم عرفت أخرى معاك
- قال بسخرية:
- طبعا ياختى

ثم تابع وهو ينظر أمامه ببغيض:

- ومش كده ويس .. الهناردة ابوبى طردنى من البيت ومن الشركة وامى بجلالة قدرها
- مقترشتش تقف قدامه .. وفي الآخر سبتله البيت وميات

- وانت دلوهتى هتعمل ايه هتروح تقعد مع والدتك
- قال ببغيض:

- نعم ياختى أومال الشقة اللي انا مأجرهاك دى راحت فيه
- أرتبكت وهي تقول:

- موجودة طبعا .. موجودة هتروح فيه .. بس هو أنت يعني هتيجي تعيش فيها
- نظر إليها بتفحص قائلًا:

- ومالك اتخصصتى كده ليه .. مالها الشقة
- أرتبكت أكثر وأصغر وجهها عندما انطلق بالسيارة قائلًا:

- وانا أقدر أسالك ليه انا هروح اشوف بنفسى
- وفي الطريق أطلق ضحكة عالية وهو يقول لها:

- يا呀نت اللذين .. قال ونا اللي كنت فاكر انا انا السبب في انحرافك .. أتاريكي كان عندك

استعداد اصلا بس محتاجة حد يوجهك
أشاحت بوجهها وهي تقول:
- أنا مكنش قصدى على فكرة .. دى الحكاية كلها جات صدفة وعموما دي صاحبتي واللي
  بيجي معاها ده جوزها بس عرفى يعنى
نظر لها نظرة جانبيه وقال باستهزاء:
  - عرفى...
ثم أدرف بخبث:
- وبتاخدى منهم كام فى الليلة تمن بياتهم فى الشقة
قالت بسرعة:
- مبخدش حاجة .. بقولك صاحبتي والراجل يبقى جوزها
قال بمركر:
- عاوزه تفهمينى انك بتبتثيهم عندك لوجه الله
تلعثمته وهي تقول:
- هما مش بتاداتوا كل يوم .. ده هو يدوب تلات أو أربع أيام في الأسبوع
حرك رأسه وهو يقول:
- يابنت الأيه .. بتعرفى تستخدمي كل الأمكانيات اللي تحت أديك بكل الطرق
لمعت الفكره برأسه وقال:
- وماله .. فكرة برضا .. أهو الواحد يلاقي شغلانة بدل ما انا بقيت عاطل كده
قالت على الفور:
- يعني هتستسلم كده ومش هترجع البيت تاني
قال بغل:
- لا يا أموره مش انا اللي استسلم .. مسيرى هرجع واللى هلاقى قدمى هتبقي امه داعية عليه
لم يكن عبد الرحمن يصدق ما يسمع وهو ينظر إلى فرحة وإيمان ووالدته ووفاء فهتف
بدهشة قائلًا:
- معقول اللوى يسمعه ده.. ووليد يعمل كل ده ليه.. أيه اللوى بينه وبين يوسف ومريم علشان

يخطط كل التخطيط ده

قالت وفاء بانكسار:

- وليد اضياغ لما حس أن يوسف بيخبر مريم.. ومما بقى الله يسامحها كانت مكارها في

ولاد عمى من زمان ومكتش عاووز اى حاجة بينهم تتم

ألفت لها عبد الرحمن متساءلا:

- واشمعني مريم ويوسف يعنى.. طب ما أنا اتجوزت إيمان وإيهاب اتجوز فرحة

قالت:

- أنا كنت حاسة من زمان أن مريم عجباه.. لكن مكتش افتكر أبى انه هيعمل كده لما ترفضه

زاغت نظارات فرحة بينهم ثم قالت برجاء:

- أرجوكوا محدود يجيب سيرة لإيهاب عن اللوى حصل .. إيهاب متهور وممكن يعمل حاجة

فى وليد واخسره للابد .. والحمد الله هو شغله بعيد ومبيرجعش غير متأخر اوى يعنى مش

هيبس حاجة

نظرت وفاء نحو إيمان وقالت:

- أنا آسفه يا إيمان.. مش عارفة أودى وشي منكوا فين .. لكن أنا خلصت ضميرى وحكتلكوا

على اللوى عرفته

ربتت عفاف على ظهرها قائلة:

- مكتش في داعى يابنتى

قالت بحزن:
لاء في يا طنت عفاف .. لما بابا طرد وليد سمعته بيتوعد مريم ويوسف .. خفت عليهم واتنا عارفة وليد شراني .. كان لازم تعرفوا عشان تخلوا بالكم منهم وخصوصا من مريم
وضعت إيمان كفها على صدرها قائلة بآسي ممتزج بالخوف:
- هو في كده في الدنيا معقول
أطرقت وفاء رأسها وقالت بخفوت:
- أنا اتصلت على عماد وقلتله يعجل بالجواز .. أُنا المفروض مكناش هنتجوز قبل شهرين
لكن إنا خلصنا مبقتتش قادرة اقعد في البيت ده .. وهو قادر الظروف ووعدني إنه هيكمل اللي
ناقص بسرعة ونتجوز بالكثير بعد أسبوعين وقلت لبابا وهو وافق
نهض عبد الرحمن بحدة قائلًا:
- متعرضش وليد ممكن يروح فين بعد ما مشى من البيت يا وفاء
وقفت إيمان بقلق وصوبت وانتفت نحوه وقالت بلهفة:
- عبد الرحمن أرجوك .. ملكش دعوه بيه
أعاد سؤاله مرة أخرى على وفاء وكأنه لم يسمعها فلمعت عينها بالدموع قائلة:
- أرجوك يا عبد الرحمن انا ماليش غيرك...
بينما قالت وفاء:
- لا معرفش
نظرت إليه والدته قائلة:
- أسمع كلام مراتك يا عبد الرحمن .. وبعدين الحكاية خلصت وابوه طرده
قال بجدية:
- وانت فاكره إنه هيستك يا ماما
قالت:
- خلاص ناخذ بالنا وخلاص .. لكن مش نروحله احنا لحد عنده بابني
هتف قائلًا بانفعال:

- اللهى حصل ده مش حل يا ماما.. كده الموضوع هيفضل متعلق ..لآزم نحسمه علشان

نخلص .. وبعدين يعني انتوا شايفني هروح اقتله

تعلقت إيمان بذراعه قائلة:

- أرجوك اسمع كلامنا ..

نظر إلى عينيها فوجها ترجوه بشدة فربت على وجوشتها بحب قائلًا:

- متخافيش يا حبيبتي.. انت عارفة انى مش مستر.. وبعدين انا معرفش مكانه لحد دلوتى

قالت وقد أفئت دمعة من عينيها:

- طب على الأقل استني لما النفوس تهدى وبعدين ابقى دور عليه .. بلاش دلوتى علشان

خاطرى

- أفلفت ذراعه التي كانت متعلقة بها وأحاطها بها وضمها إليها وقبل رأسها قائلًا:

- حاضر يا حبيبتي .. مش عاوز اشوفك متوترة كده وفايفه

***

مر الأسبوعين وأضطرت فاطمة إلى العودة للمنزل لحضور حفل زفاف ابنتها ، في هذه الفترة كانت مريم لا ترى يوسف تقريبا ، كان يخرج باكرًا جدًا ولا يعود قبل منتصف الليل
فيدخل غرفته ولا يخرج منها إلا وقت أذان الفجر ، لم تكن تسمع صوته إلا مرة واحدة
عندما يطرق باب غرفتها قائلًا:

- الفجر يا مريم قومى صلي

ولم تكن تراه إلا حين عودته من صلاة الفجر وهو يلقي عليها السلام ذاهبا إلى غرفته مرة أخرى ، حتى أيام العطلات لم يكن ليبقى في المنزل حتى لا يضايقها بل كان يتطوع مكان عبد الرحمن ليسافر في عمليات التخليص الجمركى

***
كان حفل الزفاف في أضيق الحدود لم يحضرها سوى المقربين فقط من العائلتين واضطر حسين إلى الضغط على أولاده وأزواجهم لحضور الحفل من أجل وفاء ووالدها فقط، جلست فاطمة بالقرب من ابنتها ولم تتحرك إلا لمصافحة المدعوين ببرود.

ضغطت إيمان على بد زوجها قائلة يعتب:

- أنت مش هتبطل تبصله بقية.. الراجل مش عارف يودى وشه منك فين.. شيله من دماغك بقی

ألفت إليها وقال بجدية:

- وهو يهمك في حاجة يا هام

ابتسمت بحب قائلة:

- اه يهمني .. يهمني انك تعرف انى بحبك انت وبس

لانت ملامحه كثيرا وقال بخوف:

- من ساعة ما شفته ببيصلك أول مرة لما اخوه جه يتقدم لوفاء وان بكرهه لله في الله

ومطبيقه

قالت مداعبة:

- بس انا بقى بتبسط لما بتشوفه

ضغط على يدها بقوة وقطب جبينه قائلًا:

- نعم بتبسطي لما بتشوفيه

ابتسمت بالألم وهمست تشاغبه قائلة:

- أصله بصراحة لى عليا فضل كبير أوى.. من ساعة ما شوفته ببيصلى وانت بقيت تغير عليا وتحبني

نظر لها بتأمل وعمق يتكبر في ملامحها عن قرب وقال:

- لا انا كنت بحبك من قبلها بكتير بس انا مكنتش عارف

أسندت رأسها إلى قبضتها بردقة قائلة:
- وأيَّه بقَي الَّي خَلَق تَادَك بالك

تنهد بارتيح وقَل بثقة:

- رُبَنَا.

نظَرَت له بِعَينين حائِرتين فتَايَحُ قالا:

- رَبَنَا رَزَقْتِ حَبِكْ يَا إِيَمَان وَأَنَا مَكْنَش لَأَقِي تَفْسِير لَدْه.. لَحَد مَا قَرِبَت مَنْكِ اكْتُر واكْتُر

وَعَرَفَت انتُق قد أَيْ قَرِبَة مِن رُبَنَا وَانْك بِتَلْجَأْ لَه سَبِحَانَه وَتَعَالَى فِى كِل شَيْء كِبْرٌ أو

صِغْرٍ وَمِبْتَشْتَكْشِيَّش لَحَد غَيْرِهِ. وَسَاعِتْها عَرَفَت مَعْنَى الحَدِيث الَّي بِيَقُوْل (مِن كَانَ الآخَرَة

هُمَه جَعَل الله غَنَاه في قَلْبِه وَجَمَع لَه شِمَلَه وَأَنْتَه الْدُنْيَا وَهْي رَاغْمَة)

سَاعِتْها بَس عَرَفَت لَيِه رُبَنَا طَوُعَلَك قَلْبِي وَبَقِيَت احْس يِبْكَي فِي دَمِي وَأَن رُبَنَا حَط حَبِك فِي

قَلْبِي وَمِن غَيْر مُقَدَّمَات لَقِيْت نَفْسِي بَعِشْقٍ وَمِبْتَشْتَكْشِيَّش أَقْدُر استِغْنَى عَنْك زِى ما اكْون بِحَبِك

مِن سَنِين

كَانَت إِيَمَان تَسْتَمِع إِلَيِهِ وَعَيْنُهَا تَنْتَقِ بالحَبْ وَالْهِيَام، تَعَلَّقَ عِينِي هُمَا بِبَعْضِهِمَا البَعْض

لِفَتْرَة طَوْيَّة وَهُمَّ تَبْوَانَ بَالكَثِير، فَقْط صَمْتُهُمُ الْمُتَحَدِّث هَذَا زَفْرَتِهِ الْقُوَى وَهُوَ مَازَال

يَتَفَحَّصَهَا وَقَال بَعْذَوَبَة:

- هُو مِش اَحْنا حَضَنْنا وَوَعَلَا الْوَاجِب مَاتِيْجٍ نَمَشِي بقِى

ضَحَكَت وَقَال بَرْقَة:

- أَحْنا لْحَقْنَا!

قَال بَنَظَرَة تَعْرَفُهَا جِيْدًا:

- آَنا بِقُول نَروَح بقِى.. أَصْل اَحْنا مَخْلَصِنَاش مَوْضَع السَّياحَة بِتَاعَنا

أَبْسَمَت وَقَد احْمِرَت وَجَنْتَاهَا وَقَالَت:

- هُو الْمَوْضَع دَه مِش حِيَلْصِر وَلَا إِيَه دَى مَكْنَش كَلَّمَة دَى

مْط شَفِتيْهِ وَهُوَ يَمِسْح عَلَى وَجَنْتَهَا بِبِد وَيَضْغَط بَرْقَف عَلَى يَدَهَا الْآخَرَى وَقَال:

- لَا طِبْعَا مِبْيَلْصِش .. أَنا رَاجِل بِحَب الْأَلْقَان وَالْشَفَافِيَّة!
فجأة وبدون سابق أنذر شعرت مر Cristiano بالتنوّع الشديد وهي تجلس إلى ماندها هي ويوسف ، أمسك يوسف كتفها وقال بقلق:
- مالك يا مرير
ظهرت علامات الألم على وجهها وقالت بصوت مقطوع:
- مغص ببقطع في بطنى يا يوسف الحقنى
ساعدها على النهوض ولف خصرها بزراعه وأسندها إليه برفق وهو بحظر أحد ما يحدث ، وبمجرد أن خرجت إلى الهواء استنشقته بقوة شديدة ثم بدأت في النقيا إلى أن أفرغت ما في معدتها حتى شعرت بالإعياء الشديد وخارت قواها ، كانت مرتبطة به وهي تسير بجواره حتى وصلا إلى السيارة ثم سقطت مغشية عليها.
هتف بها يوسف بحظر أن يعدها إلى وعيها ولكنها لم تستجب له ، أزداد قلقه عليها ووقف خانزادًا هل يدخل منزادى أختها أو والده أو يذهب بها إلى أي مشفى قريب ، وأخيرًا قرر أن يأخذها إلى أقرب مشفى منهم
حملها وأدخلها برفق في المقعد الخلفي وانطلق بها وقلبه ينتفض خوفًا عليها ، ظل يبحث يعنيه وهو يقود سيارته عن مشفى يمينا ويسارًا تارة ، وينظر إليها في مرآته تارة أخرى وكلما ابتعد ولم يجد شيئا ضرب المقود بقوة ، وأخيرًا لاحظ له من بعيد لوحة مضاءة كتب عليها اسم طبـيـبـة ، لم ينظر حتى يعرف تخصصها وإنما أوقف سيارته في سرعة وخرج منها، ففتح الباب الخلفي وأخرجها بحذر حتى لا تصدم رأسها وأغلق الباب بقدمه بأهمال وصعد بها ، بمجرد أن خرج من المصعد ووقع بصر بعض النساء اللاتى كن يجلسن بجوار باب العبادة حتى أسرع إليها بتيانة وأسندوها حتى غرفة الكشف الداخلية ، ألقت الطبيبة نظرة عليها وقالت بشك:
- حصلها أيه؟
قال بقلق:
- أحنا كنا معزومين في فرح قريب من هنا وفجأة بطنها وجعتها أوى وبعدين بدأت ترجع جامد وأغمي عليها
فتحت الطبيبة جفنيها ونظرت فيهما وشرعت في فحصها ثم التفتت إلى يوسف قائلة:

- هو حضرتك تبقلها أيه

تلعثم فهل يقول زوجها أم طليقها فحكم الأمر قائلًا:

- أنا جوزها

ارتباكه لفت نظرها فنظرت له بريبة وقالت ببطء:

- طب اتفضل حضرتك استنني بره لحد ما اكتشف عليها

خرج مسرعًا وأغلق الباب خلفه، استند برأسه إلى الحائط والقلق ينعش قلبه نهشاً، أخرج هاتفه واتصل على والده وأخبره بالأمر، وبعد دقائق وجد حسين يخرج من المصعد ويقبل عليه بلهفة قائلًا:

- خير يابني

قال يوسف بلوعة:

- لسه الدكتوره بتقوىها

نظر حسين إلى اللوحة على باب القيادة وقال بدهشة:

- وجايبيها عند دكتورة نسا ليه.. مودتهاش مستشفى ليه

نظر يوسف إلى اللوحة ثم عاد بنظره إلى والده وقال بضيق:

- هو أنا لقيت حطة تانية ياببا وموتتشاش .. ده انا كل ما أسأل حد يقعد يبصلي ويبيض عليها وهي نايمة ورا وبعدين يقولى معرفش.. وبعدين أكيد يعني هتعرف مالها ماهي دكتورة برضة

وبعد دقائق أخرى خرجت مريم وهي تستند إلى يد مساعدة الطبيبة التي أوصلتها للخارج وأوقفتها بجوار يوسف، استندت مريم إلى ذراع عمها وهي تبكي بشدة وتنتفض، ضمها حسين بقلق قائلًا:

- الحمد لله يابنتى انك فوقتي

قالت مساعدة الطبية بابتسامة:
الفصل الحادي و الثلاثون

حمد الله على سلامتك يا بنتي، ده انا اتخضيت أوى لما يوسف كلمني وقالى أنك أعمى عليكى.

جففت مريم دموعها وهو مازال يضمها إلى صدره بحنان وقالت بخفوت:

- ربي أنا يخاليك ليا يا عمى متقلشق عليا.. الدكتورة قالتلي ان يمكن اكون اكشت حاجة ملوثة و الحمد الله أنى رجعتها بسرعة

مسح حسين على رأسها قائلًا:

- الحمد الله بابنتي.. يالا اركبي علشان اوديكي البيت وارفع آخذ عفاف والولد من الحر شكلك تعبانة.

تدخل يوسف قائلًا:

- أرجعلهم حضرتك يا بابا علشان محدش يقلق .. وانا هوصلها

نظر لها حسين وكان يتوقع أن ترفض ولكنها قالت:

- خلاص ياعمي يوسف هيوصلنی.
أبسم وضمها للمرة الأخيرة وهو يرتب على ظهرها قائلًا:

- طيب يابنتي الحمد لله أنى اطمنت عليكى.. يالا مع السلامة.. في رعاية الله

انتظرها يوسف حتى استقلت السيارة بجواره وانطلق بها عائدًا إلى البيت، كان يختلف النظائر إليها بين الحين والآخر، كانت تبدو مختلفة عن كل مرة رآها فيها، نعم مازالت شاردة واجمة وكأنها في دنيا أخرى ولكنها مختلفة، لمستطع أن يقاوم فضوله الذي ألح عليه بشدة ليتحدث إليها:

- مريم

التفتت إليه وكأنه قد انتشرلها من بنر عميق دفعة واحدة وقالت:

- ها.. قلت حاجة؟

قال مسرعاً قبل أن تهرب منه شجاعته:

- الدكتوره كانت قلقانة مني وطلعتني بره علشان تكشف عليكي.. مقالتكش حاجة.. بعد ما فوقتك

التفتت مرة أخرى تنظر أمامها وقالت بابضاب:

- سألنتي تقربلى أيه

قال وهو يخطف النظائر السريعة إليها:

- وقلتله أيه

نظرت أمامها ولم ترد فشطر بسحافة سوالحه، صمت مرة أخرى، طال الصمت بينهما كثيرًا، حاول الحديث مرة أخرى قائلًا:

- أقولك على حاجة حصلت امبراح ومحدش يعرفها لغاية دلوقتي

انتبهت لحديثه مرة أخرى وقالت:

- حاجة أيه؟

ظهر شبح ابتسامة على شفتيه وهو يقول:

- البيت اللي اسمها سلمي ليست قضية تسهيل دعارة
أتست عينها وشعقت وهي تضع يدها على فمها وأخذت تتمتم:
- لا حول ولا قوة إلا بالله
ثم نظرت إليه بدهة قائلة:
- وانت عرفت ازى؟
أتستت ابتسامتة وهو يقول:
- ماهو أنا اللذي عملت الواجب ده معاها
لم تكد تصدق ما تسمع وهي تنظر إليه بحيرة ، قطبت جبينها وقالت بضيق:
- وانت عرفت ازى حاجة زي كده عشان تبلغ عنها أصلا
شرد وهو يقول ببغض:
- زي ما وليد عارف مداخلا وطريقة تفكيرى وعرف ازى يقتنعى بكل اللي كان عاوزه ..
آنا كمان عارف مداخلا كويس اوى .. عشان كده عرفت اوصله بسهولة وعرف هو راح فين بعد ما اباه طره .. وساعتها كان سهل عليا اعرف اننا عايش مع سلمى في شقته مأجرا .. فضلته وراهم لقد ما عرفت انهم بيشغلو الشقة دي في أعمال منافية للأدب .. وفرصتى جات لقد عندى عشان اوبي بوعدى ليكي واخدلك حقك
كانت تنظر أمامها بذهول وهي تستمع إليه وقالت ببطء:
- يعني وليد كمان اتقبض عليه
مط شفتيه وقال بنحن:
- مع الأسف نفد منها .. الشقة طلعت متأجرة باسم سلمى وهي اللي لبست الليلة كلها
استنفت رأسها إلى زجاج النافذة وأخذت تنظر إلى الطريق من خلالها في حسرة وهي تشعر بالحزن لأجلها .. نعم هي ظلمتها وساعدت فيما حدث لها ولكن .. ليس من السهل أبدًا أن لا تشعر بالشفقة عليها .. أغمضت عينيها وهي تستغرق وتتهم بخفوت:
- للدرجة دي .. توصل بيه لكده
تمتم قانلا وكره لا يسمعها:
بس مش هيفلتك مني بوضة
قالت دون أن تفتح عينيها:
- سبيه لربنا... بيننا هو المنتقم الجبار
كاد أن يتكلم ولكن رنين الهاتف قاطعه، نظر سريعا إلى شاشة هاتفه قائلة:
- ده بابا... لو سمحتى ردي يا مريم ..
نظرت إليه فقال:
- معلش نسيت السماعة في البيت
تناولت الهاتف وأجابته:
- السلام عليكم... أيوا يا عمى ..لا أحسنا تسه في الطريق.. أنتوا لسه طالعين دلوقت؟ ..لا
أحسنا قربنا نوصل .. اه الحمد لله بخير.. ماشي يا عمى مع السلمة
وضعت الهاتف مكانة مرة أخرى فقال:
- هما طلعوا من الفندق
أومأت برأسها قائلة:
- أيوا.. عمى بيقولى راح خدهم ومشى على طول وجابين ورانا
أبتسم بحزن قائلاء:
- طبعا هو بيتصل علشن يطمتك انه جاي ورانا ومش هتروحى معايا البيت لوحدك
نظرت له ببرود ولم تجبه فتتابع حديثه بسخرية حزينة قائلة:
- أبويا خايف عليكي مني
قالت بجفأ:
- لو سمحت متكلمش في الموضوع ده تانى
صممت لثوانى ثم قالت وهي ترفع أحدى حاجبيها بتفكير:
لا.. ولا أقولك .. أتكلم

نظر إليها متعجبًا فتابعت ببرود وجرأة:

- أحكيلي عملت فيها أية بعد ما أغمى عليا يوم الحادثة

ضغط مكابح السيارة حتى كدت أن ترتطح بزجاجها الأمامي لولا حزام الأمان التي كانت تلفه حولها، بمجرد أن توقفت السيارة بعنف حتى استدار إليها في غضب:

- أنت ليه بتحاول تستفزني وتخرجني من شعورى كل شوية .. ليه كل مة احس ان ربنا قبل توبتي تفكرينى بذنبي تاني.

ثم عاد لجلستي الأولى وها أقليلاً ثم انطلق بالسيارة مرة أخرى، ظل في صمت مطبق إلى أن وصلا إلى المنزل، دخل يوسف بالسيارة في هدوء وهو ينظر يمنة ويسرة و يقول:

- هو نور الجراح مطفى ليه

شعرت مريناً خوف يدث في أوصالها ويشعر له بدنها وهي تتذكر يوم الحادثة والظلم الذي

كان يحيط بها فقالت في فزع:

- مش عارفة

شعر يوسف بها وبصوتها المرتجف خوفاً فحاول طمنتها قائلًا:

- خليكي في العربية لحد ما انزل إشوف في أية

تشبت بذراعه قائلة:

- لا متسنيش لوحدى

فى هذه اللحظة لعن يوسف الظلم لعنات طوال، فلولاه لكان ينظر الآن لعينيها ليرى هذا

الشعر الذي تمتنى أن يراه فيهما كثيرًا، شعورها بالأمان بجواره، ربت على يدها بحنان

قائلاً:

- متخافيش.

قالت على الفور:

لا ارجع بالعربية نستناهم .. زمانهم جاين
ضغط على يدها برفق وقال:

- طيب تعالى أدخل من باب الجئينة اللذي قدم وابقى أرجع أنا اشوف ايه اللي قاطع النور في الجراح واركن العربية واحصلك

تثبت به مرة أخرى وهي تقول بتوتر:

- لا .. هتسبيني لوحدى وتروح لوحدك مينفعش

خفق قلبها بشدة للمستع وولد بهدوء:

- يعني يرضيكي يرجعوا يلاقؤن واقف مستنهم عشان النور بابظ .. هيبقى شكل وحب

أضطربت كثيرا وترددت وهي تقول:

- خلاص هاجي معاك

كان يتمنى أن تطول هذه اللحظة أكثر من هذا ولكنه أحب طمنتها أكثر من حبه لبقائه معها

قال بخوف:

- طيب خلاص اطمن عموما كله طالعين بعرباتهم يعني الجراح فاضي .. هنور كشافات

العربية لحد ما اركن وبيد رو انزل اشوف سكينة الكهربا

قالت وهي تبتلع ريقها الجاف:

- طيب

زحف بالسيارة قليلا داخل الجراح إلى أن وضعها جانبا ثم ترجل من السيارة وماهي إلا ثوان

حتى سمعت مريم صيحة مكتومة لا تحمل سوى الألم:

- أرتدهت بقوة وهي تصرخ:

- يوسف

لم تلقي جوابا وهي ترى على ضوء السيارة ظل يركز خارج الجراح ويعدو نحو الباب الذي

يفصل الحديقة الداخلية عن باب المرآب ، ظلت تصرخ باسمه:
- يوسف.. يوسف ردا عليا..

لم تستطع أن تنتظر أكثر من هذا، خوفها عليه غلب فزعها من الظلم، وتم نقلها من السيارة ببطء شديد وتعلو شهقاتها من شدة البكاء خوفا وفزعا وترقبا وعندما دارت حول السيارة سمعت صوت تأوهاتها المكثمة، رأته يزحف بجوار السيارة في اتجاهها وخيل لها أن قميصه قد تلطخ بالدماء، أقتربت منه وجلس إلى الأرض بجواره وتهتف بقوة:

- يوسف.. مالك؟

تمت بانفاس مقطعة:

- أنت كويست؟

حاولت أن تساعد عليه النهوض ولكنها لم تستطع، وفجأة أقتربت أضواء كبيرة في طريقها للدخول إلى الجراح، وقفت تنتظر إلى السيارات القادمة فتبين لها أنها سيارات أخوتها وعمها، فأخرجت كل ما في صدرها من خوف وفزع كانت تكتبه في صرخاتها وهي تصبح بهم:

- الحقونا.. الحقونا

توقفت السيارات وترجل منها الجميع في فزع باتجاه الصوت، أول من وصلا إليها كان إيهاب وعبد الرحمن، صرخت عفاف وهي تسرع باتجاه يوسف المسجى على الأرض مدرج في دمها وبجواره مريم تساند رأسه على ركبتيها، صاحت بها:

- مين عمل فيه كده يا مريم...

أسرع عبد الرحمن بالاتصال بسيارات الأسعاف بين صرخات وشهقات النساء، وإيهاب يهتف به:

- مش هينفع نستنئ ليا الأسعاف تيجي تعال شيله معايا نوديه أقرب مستشفى وماهي إلا أثوان وسمع الجميع صوت ارتعام شديد اهتزت له الأرض التي يقفون عليها وكان المنزل انهار بأكمله أو ضربه زلزال شديد، وبعد ساعة كانت سيارات النجدة والأسعاف تحيط بمنزل آل جاسر

***
وقف الجميع في الممر المؤدي إلى غرفة العمليات التي يردق يوسف داخلها، أخطأت مشاعرهم بين الحيرة والتسلسل والفزائع والخوف والأذى والحزن، حركت إيمان باتجاه عفاف التي كانت تبكي بين ذراعي زوجها وتتسمل بالدعاء وقالت هي تربط على ظهرها:
- أنت مكانك مث ها دلوقتي يا طنط.. تعالى نروح نصلو وندعيله لحد ما الدكتور يخرج

يطملا

نظر حسين إلى إيمان ثم نظر إلى عفاف وقال وهو يجفف دموعه:
- أسمعي كلامها يا عفاف .. روحى صلى وادعيله احسن من وقتك هنا مية مرة ولما الدكتور يخرج هاجى اندنكو على طول أومات برأسها وقالت وهي تبتعد عنه وهي تبكي:
  - أول ما يخرج تعالى على طول
  - حاضر

ذهب عبد الرحمن إلى والده قائلا:
- بابا تعالى اقعد شوية انت واقف على رجلك من بدرى

استنذ حسين إلى ذراعه قائلا:
- أرتحاً ازاي بس مش لما نطم المن اخوك

قبض عبد الرحمن قبضته في غضب وعينيه تحدق بالفراغ قائلا:
- أنا غلطان اللي سمعت كلام ماما وإيمان وسيبته.. كان المفروض اعلمه الأدب .. وادي النتيجة.. يضرب اخويا بسكيينة في الضلامة .. الجبان

شد حسين على ذراعه وقال:
- أمسك نفسك يا عبد الرحمن .. أهو رينا اداله جزاءه .. في ساعتها

ثم انتبه متسائلا:
- عمك لسه ما اتصلش؟

حرك عبد الرحمن نفياً قائلا:
- آخر مره كلمني كان من ساعة وله وافقين قام العمليات .. رينا ياخذه و ngừa من شره

قال حسين على الفور بضعف:

- متدعي عليه يا عبد الرحمن .. ده عمك ممكن يروح فيها .. روح يا اللاء شوف اختك ..

جوزها مش عارف يسكتها ..

وقبل أن يذهب عبد الرحمن أتفت إليه قاتلنا بانتباه:

- فين مريم؟

َتلت حسين حوله وقال:

- كانت هنا من شويا .. روح انت حاول تهدى اختك وانا هادور عليها

كانت تجلس على الأرض بجوار غرفة العمليات وهي ضامة ساقيها إلى صدرها وتستند رأسها إلى الحائط للخلف وقلبها يتمزق للوعة عليه ، تسكب دمعها وهي تتمم بتصرع إلى الله سبحانه وتعالى في خفوت:

- يارب نجيه .. يارب انا مسمحا على أي حاجة يارب نجيه يارب .. يارب علشان خاطري

أقترب حسين منها ووضع يده على كتفها قاتلنا:

- قومي يا مريم قومي يابنتي ..

رفع رأسها إليه وهي تقول ببكاء متقطع:

- يوسف يا عمي .. يوسف ربي يعيس

أنهمرت دمعة كانت حبيسة عينيه وأطلقتها كلمات مريم ، أمسك كتفيها وساعدها على النهوض واقفة ، ضمها إليه وهو يمسح على رأسها بوهن:

- أديعيله يابنتي .. أديعيله رينا ينجيه

قالت وهي تسكب العبارات في صدرها:

- والله العظيم بدعيله من كل قلبي

رفع رأسها إليه ونظر إليها بضعف ووجهاء قاتلنا:
الفصل الأخير

النفخفخ جميع حول فراش يوسف في غرفته داخل المشفى وهم يستمعون إلى الطبيب الذي يتكلم بابتسامة مطمئنة:

- الحمد لله .. الجرح مكشّد عميق بدرجة خطيرة .. مش محتاجين العناية المركزية

ساميحه يا مريم ساميحه علشان ربنا يسامحك
قالت فی خفوت:

- أسامحه على أيه يا عمي .. يوسف معمليش حاجة
قال فی أسی:

- أنا قصدی على الحادثة يابنتي...

ثم تركها واستند إلى الجدار بكفه وأطرق برأسه بحزن قائلًا:

- أنا عارف ان اللی عمله صعب تسامحیه عليه .. وعارف انك عمرك ما هتنسى أبدا .. لكن ده ولوتی بين إلين ربنا ومحدش عارف هايطلع منها ولا لاء تقدمت منه ووضعت كفاها على كتفه قائلة:

- أرفع راسك يا عمي متمعليش كده في نفسك .. مفيش حادثة من الأساس يا عمي .. يوسف ملمسيشير

****
فتح يوسف عينيه بضعف، كانت الصورة مشوقة أمامه غير واضحة المعالم بعد وبعد
دقائق استطاع الكلام بلهن فقال: وكأنه يهزى:
- مريم.. أنت هنا؟
اقتربت منه وربت على كفه بهدوء قائلة بخفوت:
- حمد الله على السلامة
حاول أن يستوضح ملامحها بصعوبة وأعاد سؤاله مرة أخرى:
- حصلك حاجة؟
قالت بصوت مباحح:
- الحمد لله أتانا كويسة.. المهم أنت
أبسم بضعف وهو يغمض عينيه بألل فقبلت والده في لهفة وهي تقبل رأسه وتقول:
- ألف حمد الله على سلامتك يابني.. أنا مش عارفة ده كان مستخدنا فين
بدأت الصورة تتضح أمام عينيه وهو ينظر لوالده وقل بضعف يحاول أن يداعبها:
- كان مستخدنا في الجراح
قالت فرحة التي تجلس عند قدمه على طرف الفراش:
- انت فيك حيل تهزك يا أخى موتنا من الخوف عليك
تابع عبد الرحمن قائلا:
- ياستى سبيبه يهزه الحمد الله أنى كويس
بحث يوسف عن وجه أبيه بين الوجه الدامع:
- فوجد مصوباً بصره إليه لبهفة وابتسامة حزينة، تعلقت أنظارهما ببعضهما البعض، شعر
يوسف أنه أحدهم الذي استنفر نظرة حنان في عيني أبيه، كان ينظر إلى عينيه ينتظر كلماته
الحنونة، لم يدخل عليه والده ولم يجعله ينتظر قليلا فقال:
حمد الله على سلامتك يا بابي

تنهد يوسف بارتيار وقال وهو ينظر إليه بحب:

- الله يسلمك يا بابا

قابل على كف مريم بوهن وهو يوجه حديثه لعبد الرحمن:

- ولد هو اللي عمل كده صحي؟

قالت فرحة على الفور:

- والحمد لله رنا انتقمل منه في ساعتها واساساً وقع بيه

أتسعت عيناه بذول وقل بدهشة كبيرة:

- أيه ... أساسير أيه.. وحلصي أيه؟!

أجابه عبد الرحمن بهدوء:

- أساسير البيت عندما يا يوسف

تدخل إيهاب قائله:

- نفسي أعرف كان طالع البيت يعمل أيه.. اللي يعمل عملته دي كان المفروض يهرب طالما

محدش شافه.. أيه اللي خلاه يطلع البيت مش عارف

قالت ايمان بنقة:

- أكيد رنا ليه حكمة فكده

تنهدت عفاف وهي تقول:

- ونعم بالله يابنتي

اكتسي وجه يوسف حزناً وهو يتسائل:

- وحلصي أيه لما أساسير وقع بيه

قال عبد الرحمن:
- الأسعاف نقلت المستشفى بعد ما عرفوا يفتحوا باب الأساتذة بصعوبة. لكننا مش عارف ده حصل أزاي. أهنا لسه كنا عاملين صيانة وكانت حالة الأساتذة ممتازة. أزاي يقع فجأة كده.

وجه له والده الحديث قائلًا:

- أتصلت بالشركة بتاعة المصاعد؟

أومأ عبد الرحمن برأسه قائلًا:

- أتصلت بعد ما يوسف خرج على طول. وأصلا كده المفروض النيابة هتبدأ تحقيق في الموضوع. وكانوا مستنين يوسف لما يوفق عشان يأخذوا أقواله.

وبعد ساعتين وهم جلوس حول يوسف، طرق إبراهيم الباب ودخل وهو يتوجه إلى يوسف مباشرة:

حمد الله على سلامتك يا يوسف بابي!

نظر إليه الجميع، كان كله يحمل جبال فوق كتفه وهم الدنيا فوق صدره وكان المشيب قد زحف إليه بعنف على حين غرة، جلس على طرف الفراش بجوار يوسف قائلًا بأسى:

- ربيا خليك حقك بابي?

ونظر إلى مريم وقال:

- وانت كمان بابنتى.. ربيا خليكوا حقكوا انتوا الاثنين?

طأطأ رأسه وقال بالألم:

- الخبطة كانت شديدة أوى.. جاله شلل نصفى

tsmr الجمع وكان عقارب الساعة قد توقفت فجأة، أتسعت عيونهم في ذهول وعدم تصديق وهو يتابع بحزن:

- من ساعة ما فاق وعرف اللي جرائه وهو بيصرخ من الحسرة والندم.. ده غير الألم اللي حاسس بيه

ثم التفت إليهم مقرأ بذنوب ولده قائلًا:
- كان موصى امه تنقله الأخبار.. ولما قالت له ان مريم تعبت ويوسف خادها البيت لوحدهم ..

سبقتنا على هناك وعمل اللي عمله .. لا وطلع عشان يسرقني كمان

اقترب منه حسين وأمسك كفته قائلا:

- انت راجل مؤمن يا إبراهيم .. وان شاء الله ابنك يقوم منها .. أصير وأحتبس

***

في الصباح حضر وكيل النيابة ليأخذ أقواله قائلًا:

- أنت شفت اللي ضربك يا يوسف؟

نظر له يوسف بصمت ثم قال بحسن وهو يهز رأسه نفيا:

לא... الدنيا كانت ضلامة مشوفتش حد

خرج وكيل النيابة من غرفته ودخل الجميع إليه متسانلين، قال حسين:

- قلت ايه يا يوسف

أبتسم يوسف وهو يقول:

- هقول ايه يا بابا .. هو اننا شفت حد عشانق اقول عليه

أبتسم والده وهو يبرت على كفته قائلًا باعتزاز:

- راجل يابنئ ..

حاول يوسف أن يحرك ذراعه الأخرى ليمسك يد أبيه ويقبلها ولكن جرحه آلمه، قال حسين:

- وهو ينظر إليهم:

- يالا يا جماعة الحمد الله اننا اطمئنا عليه

ثم نظر إلى عبد الرحمن وأبهب قالوا:

- يالا روحوا ده محدش فيكم نام من امبارح .. أنا هقف معاه

قال عبد الرحمن على الفور:
- معلش حضرتك يا بابا.. روحهم انت وانا هستنى

تدخلت عفاف قائلة:

- محدش هيفضل مع ابنى غيرى .. روحوا انتوا

قاطعهم يوسف باشارة منه وقال مبتسما:

- ياجماعة روحوا كلكوا .. أنا لو احتاجت حاجة هبقي انهد على الممرضة

ألفتت مريم إليه لتكلم اخيرا قائلة:

وتدتى على ممرضة لىها .. أنا هفضل معاك

خفق قلبى مع ابتسامته فلم يعلم أيهما سبقت الى أخرى، كل ما كان يدركه هو الدهشة فلم يكن يتوقع أن تفصح عن رغبتهما في البقاء معه، بل لم يكن يحلم وهو يلمح الغيرة في عينيها من امرأة أخرى

قالت عفاف بارهاق:

- يابنتى روى انت .. شكلك تعبانة اوى ..

قاطعها حسين بابتسامة لامعة:

- لا يا عفاف .. مريم معاها حق .. هى اللى المفروض تقعد معاه .. بالا احنا نروح البيت نريح شوية ونشوف عن عمل ايه وتبقى ترجعونهم تاني

ودعه الجميع بعد أن اطمئنا على ما هو فقد نام طويل جدا بعد تناوله الدواء وعندما استيقظ وجدها تغفو على مقعدها بجوار فراشه الأبيض ، ألفتت إليها وناداه بلهفة وعندما استيقظت قال بهدوء:

- قربى الكرسي بتناك من السرير

نهضت واقفة وتمتت بتكاسل ثم وضعت مقعدها بجواره وجلست فقال وهو ينظر لعينيها بعمق:

- مروحتيش ليه

تجنبت النظر إليه وهي تقول:
المفروض اني اكون معاك
قال على الفور:
- الكلام ده لو لسه مراتي.. لكن انت اللي صممتى على الطلاق
نظرت له بتحدى قاينة:
- وانت مصدقت وطلقتني
ابتسم من طريقتها الطفولية في الحديث نظرلها قاينة:
- أنا كنت متمسك ببيك لآخر لحظة ومقدرش الومك.. وهو ربنا خلقك.. ونفس الظروف .. يوم فرح .. وبالليل والدنيا ضلامة
تنهد في ارتياح وقال:
- الحمد لله ان ربنا خلص مني في الدنيا .. مش ناقص غير حاجة واحدة بس...
لمس يدها وهو يقول:
- أنك تسامحينى من قلبك
رفعت رأسها إليه قائلة بتلعثم:
- أنا سامحتك من قلبي فعلا
قبض على يدها بضعف وهو يتأملها وقال ببطء:
- مريم .. لو ردتك.. هتحسي انى رجعتك غصب عنك؟
حاولت سحب يدها ولكنه تمسك بها وقال برجاء:
- أنا مش قادر اضغط .. متسحبيش ايدك .. كده هتعبينى
قالت بصوت يسمعه بالکاد:
- طيب سبب أيدى
tمسك بها أكثر قاينة بحب:
- لما تردى عليا الأول.. أنت عندك استعداد تكمل حيتك معًا وتنسي اللي فات؟

صمتت ولم تجبه .. كنت تشعر بأن قلبها سيفز من صدرها من فرط الإسفاف والإضطراب والخلج .. حاولت أن تهرب من حصار عينيه ولكنها لم تستطع .. كانت نظراته تحيط بها من كل اتجاه .. تحتويها بل وتفصلها عن حولها قاطعتهم طرقات خفيفة على الباب .. يتبعه دخول الطبيب الذي أخذ يفحص يوسف الذي لم يرفع بصره عن مريم .. وبعد أن انتهى الفحص .. وخرج الطبيب .. توجهت مريم إلى ركن من أركان الغرفة لتصلى

تعمدت أن لا تنظر إليه .. وهي تتوجه إلى الفراش المقابل له .. صعدت إليه .. وتندت بظهرها .. وهي تغمض عينيها بارهاق يبدو على ملامحها بشكل واضح فقال يوسف :

- شكلك مرهق أًوى .. نامي انتِ ارتحاً شوية

قالت وهي تسحب الغطاء وتتذجر به جيدًا :

- هنام ساعة بس .. لو احتاجت حاجة صحينة بسرعة مترددش

قال مدعا .. وهو لا ينظر إليها :

- لاا نامي انتِ ولو احتاجت حاجة هبقي اقول للمرضة

أعطلت لتجلس مرة أخرى فقال وهو يشير لها أن تعود كما كانت :

- بيزر والله .. نامي .. أنا كام محتاج ارتحا شوية

***

في اليوم التالي صباهًا كان حسين هو أول من طرق باب غرفة ولد في المشفى ودخل بعد سماع الأذن بالدخول .. لم يكن هناك أحد بالغرفة سوى ولد المسجى على الفراش ووالدته تجلس بجواره تبكيه .. فقال بخرج :

- السلام عليكم

فتح ولد عينيه على صوت عمه فلم يستطيع مواجهته .. كانت ألامه رهيبة ولكن رؤيته لعمه جعلته يشعر وكأن الهواء انقطع من الغرفة فجآة .. وأخيرا تكلم حسين قائلا بجماله:
حمد الله على السلامة
وقفت فاطمة في حرج وهي تتمم:
الله يسلحك يا حاج حسين .. أنتفض
قال بهدوء:

لا متشكل مفهش داعي .. أنا جيت بس أطمئن على وليد وأقوله ان ابن عمه قال في التحقيق أنه مشافش اللي ضربه وكان همومته .. بارت لو حد سألكوا تقولوا نفس الكلام سواء من النيابة ولا من غيرها ...
أطرقت فاطمة برأسها ولم ترد فقال حسين:

حمد الله على السلامة مرة ثانية .. سلام عليكم

خرج حسين من الغرفة وقبل أن يصل للمصعد وجد إبراهيم مقبل عليه من بعيد فوقف ينتظره ، سبقته عينيه ونظراته المتسائلة قبل أن يصل إليه بجسده ، وما إن وقف أمام أخيه قال:

- انت كنت بتزور وليد؟
أومأ حسين برأسه قائلا:

ده واجب مهما كان .. وبرضا كنت باعرفه يوسيف قال أيه في التحقيق .. علشان تحت أي ظرف يبقى عارف انه مش متوجهله أي تهمة زفر إبراهيم بارتلاح وقال بامتنان:

- أنا مش عارف اقولك أيه يا حسين .. بس انت عارف ان يوسف احسن عندي من ابني ربت حسين على يده قائلا:

المهم دلوقتي أخبر فريق العمال اللي جاين علشان الأساتير أيه .. وصلوا للسبب؟ قال إبراهيم بحيرة:

هما خلاص يبخلصوا ومعاهم كمان ناس من الحكومة بيطلعوا على التقارير النهائية
قال حسين في قلق:
- والنتيجة إيه؟
قال إبراهيم وقد خلا وجهه من كل تعبير:
- قضاء وقدر
نظر له حسين بتمعن وقال بدهشة:
- معقول ؟.. يعني مفيش سبب معين
حرك إبراهيم رأسه نفيا وقال:
- بكرة المحرك فلئت من غيري سبب واضح .. ومنقشش نتهم الشركة بأي حاجة لأن
مفيش أي عيب يخص الصيانة أو الترتكب
ثم نظر إلى أخيه نظارات مضطربة حزينة فقال حسين :
- عاوز تقول حاجة يا إبراهيم
قال على الفور بانكسار:
- سامح وليد يا حسين .. اللب وصله ده غلطتي أنا وامه مش غلطته هو لوهده .. سامحو
وخلو يوسف يسامحو .. يوسف راجل وكفاية إنه قال إنه معرفش مين اللي ضربه
وضع حسين يده على كتف أخيه قائلة:
- ربنا يسامحنا كلنا يا إبراهيم.. احنا محتاجين نسامح بعض علشن ربنا يسامحنا .. يلا
استاذن أنا بقى علشنان اروح أطل عليه .. سلام عليكم
ذهب حسين بينما دخل إبراهيم حزمة وليد فوجد الطبيب يتمم فحصه وعندما انتهى ساله في
رجاء:
- أيه الأخبار يا دكتور .. هيقدر يمشي تاني ولا لا؟
أومأ الطبيب برأسه وهو بدون ملاحظاته عن حالة وليد وقال:
- يا حاج انت بتسأل عن حاجة لسه بعيدة أوى احنا لسه يدوب في البداية .. والحالات اللي
زى دى بتاخذ وقت طويل لحد الشفا الكامل وده محتاج جهد وصبر واستعانه بالله
خفض إبراهيم رأسه وهو يقول :
- ونعم بالله يا دكتور...

ربت الطبيب على كتفه وخرج من الحجرة وتركلهم، جلس إبراهيم بجوار زوجته وهو ينظر لولده الممتد أمامه على فراش المرض، حالتته غير مستقرة، آلامه متواصلة، قلبه يعصره الألم حزنا وندم، فلم يكن له الأب الناصح المربي الحنون، وإنما اشغله وتركه هو وأخته.

وتصور أن جميع المال هو أقصى جهد يمكن بذله من أجلهم، نسي دوره الأصلي، حتى زوجته لم تعامله كما يجب ليصلح أخطائها وعيوبها، وإنما كان يتركها ويهرب منغمسا في عمله، شعر أنه المسؤول الأول والرئيسي عن ما وصلوا إليه جميعا، أخذ يستغفر ويرجع ويدعو الله أن يساعده ويقوي في طريق أصلاح ما تركه يفسد طيلة السنوات الماضية.

***

طرق حسين باب حجرة ولده في المشفى ودخل إليه مبتسما، أقترب من فراشه وقال بابتسامة حانى:

- أزيك النهاردة يا يوسف

حاول يوسف النهوض أو الأعتدال في فراشه ولكن والده ساعده في العودة كما كان في وضع الاستلقاء وهو يقول:

- خليك يابنئي متعيش نفسك

قال يوسف بسعادة لرؤية أبيه:

- الله يسلمك يا بابا ..إنا بخير طولما حضرتك راضٍ عنى

وضع المقعد بجوار فراشه وجلس عليه وهو يقول:

- ربنا يرضى عنك وعنا يابنئي...

ثم قال وهو ينظر إلى الفراش الآخر:

- مريم فيه؟

قال يوسف بابتسامة:

- في الحمام بتنوضا
- وهي عامله ايه دلوقتي كان شكلها تعبان أوى امبارك
خرجت مريم من الحمام وهي تجفف يدها من أثر ماء الوضوء، أبتسمت وهي تنظر إلى عمها وذهبت إليه تصفاحه فقبل جبينها وهو يقول:
- عاملة أيه النهاردة.. شكلك احسنتى عن امبارك كثير الحمد الله
قالت بابتسامة رضا:
- الحمد لله يا عمي.. كنت مرهقة بس مش أكثر
قبلها على رأسها مجدداً وهو يهمس لها بخوفه:
- قولتي له؟
حركت رأسها نفيًا بينما قال يوسف:
- انتوا سابيني هنا وواقيين تتكلموا.. المفروض ان أنا المريض على فكرة
قال حسين وهو يتجه إلى مقعده مرة أخرى ويجلس عليه:
- مستتعجلش دلوقتي تلاقى أخواتك وامك طابين عليك
ذهبت مريم إلى ركنها الذي اتخذته مصلى في الحجرة ووقفت تصلى، فنظر يوسف لأبيه
وقال بصوت منخفض بعض الشيء:
- بابا لو سمحت أنا عاوز ارد مريم بس مش عاوز يبقى غصب عنها ومش عارف اعمل أيه
تفحصه أبيه وقال بنفس النبرة الخفيضة:
- ومسائلته ليه
مط يوسف شفتيه في تبرم قائلًا:
- سألتها مرتين عليها.. مرستش أحاول معاها كتير علشان متحشش اني بضغط عليها
بتبعى واللى حصللي ده...
وأستدرك قاله برجاء خجل:
- ممكن حضرتك تكلمها وتحاول تقنعها
حسين:

- أنا رأى أنك تستنى لما رئا يتم شفاك وتخرج من المستشفى وترجع البيت.. ساعتها تكلم معاها تاني وهيبقى ليها وقتها حرية الرفض أو الموافقة.. لكن أنا لو كلمتها هتفكر ان دى رغبتى وممكن توافق عشان متزعليش

أنتهت مريم من صلاتها وجلسن تتميز الأذكار، طارق الباب ودخلت عفاف مسرعة إلى ولدها

جلست جواره تحسسه بلهفة:

- عامل ايه يا حبيبي النهاردة.. أنا كنت هموت واجيلك من بدرى بس ابوك منعني

أخذيد أمه وقبلها قانلا:

- الحمد لله يا ماما متقلقيش أنا بقيت زى الحصان

أطل إيهبا برأسه إلى الداخل قانلا بابتسامه مرحة:

- صباح الخير يا مطعون

ضحك يوسف وهو يتحسس جرحه قانلا:

- بطل تضحكي يا جدع انت حرام عليك .. الجرح بيالمنى لما بضحك

تبعته فرحة التي لحقت بأمها بجواره تطمئن عليه وقالت:

- إيمان وعبد الرحمن برهم ومعاهم وفاء ووجوزها

نظر حسين إلى إيهبا قانلا:

- خليهم يدخلوا يابن

وقفت وفاء أمامه بعينين دامعتين وقالت بخجل:

- حمد الله صلى الله دمدا ي إيفا ينون يفون ينون بالسلامة

قال بابتسامة صافية:

- الحمد لله يا وفاء أنا كويس ..

بينما قال عمام بدهسه:
- أنا مش عارف إيه اللي حصلكوا ده .. أنت ووليد في يوم واحد حاجة غريبة فعلاً

قال عبد الرحمن مقاطعاً:

- قدر الله وماشإ فعل ربنا يقومهم بالسلامة هما الاثنين

واستدرك قائله:

- تعال معايا نجيب للجماعة دول حاجة يشريبوها بدأ ما يدعوا علينا ولا حاجة

نهضت وفاة قائلة:

- لا مفيش داعي يا عبد الرحمن احنا ماشين على طول

قال عبد الرحمن بتصميم:

- لا مينفعش .. يا يا أستاذ عماد

خرج عماد وعبد الرحمن وأغلق الأخير الباب خلفه فقالت وفاة:

- أنا عرفت اللي عملته مع وليد في التحقيق يا يوسف .. حقيقى أنت راجل أوى .. وطول عمرك شهم .. وانا عارفة انى موقفى صعب لأنى أخته لكن انت عارفنى كويس ..

ولم تستطع أن تنتحدث أكثر وبدأت دموعها في الحديث عنها فقالت عفاف:

- متعيطيش يابنتي .. أنت طول عمرك قريبة مننا وعارفينك كويس واخوكى ربنا يسامحو ويسامحنا كلنا

قال يوسف مستكملًا لحديث والدته:

- متعيطيش يا وفاء دموعك غالية عندى .. وانت عارفة مكانتك عندى كويس مش محتاجة

نتكلمي الكلام ده ..

نظرت له مريم نظرة ذات معنى وجلست بعيداً وهي تشعر بالحنق من كلماته لها بينما قالت

إيمان:

- الحمد لله الدكتور طمنا قبل ما ندخلك وقالنا بالكبر يومين ثلاثة وتخرج بالسلامة

ذهبت وفاء وزوجها وانصرف الجميع عند انتهاء الأوقات الرسمية للزيارة وبقيت مريم مرافقة له .. جلست على الفراش الآخر بجواره وفتحت المصحف وبدأت بالقراءة في همس
جعل ينظر إليها وهي تقرأ وكلما واتت الفرصة ليفقعنها ويطلب منها العودة تخونه شجاعته ويصفت في تردد حتى انتهت ووضعت المصحف وقامت لأصلاة العشاء وبعد أن انتهت من أذكار الصلاة ونهضت متجهة إلى فراشها مرة أخرى قال سريعاً:

- مريم ..

 settت له فقال:

- ممكن تحطيلى المخدة ورا ظهرى .. عاوز اعدل علشان اصلي أنا كمان ترددت لحظات فقال:

- خلاص لو هضايقتك ..

قالت متلثمته:

- لا .. مفيش مضايقة ولا حاجة كان لابد أن تتخذ وضعاً معيناً لكي تستطيع أن تساعد على الإتكاء قليلاً لتضع الوسادة خلف ظهره فابتدأت مرة أخرى مترددة في ارتباك وخجل فقال لها:

- طيب خلاص ارفعي السرير مش لازم مخدة

وعندما انتهى من صلاته التفتت إليه وقالت:

- تحب انزلك السرير شوية

أبتسم وهو يحرك رأسه نفياً قائلًا:

- لا متشكر .. أنا اصلي مش جايلي نوم دلوقتي

تنحنحت في حرج وهي تقول بارتباك:

- طبها انت مش زعلان من وفاء .. صح

نظر إليها قائلًا:

- وهزعل منها ليه وهي ذنبها أيه .. وفاء طول عمرها بنت كويسة أوى شعرت بالحنق مرة أخرى وظهر ذلك على نبرة صوتها وهي تقول:
- أه ما انت قلنتها كده

ونظرت له نظرة جانبية وهي تستدرك قائلة:

- وأكثر من كده كمان

راوده أحساس بالسعادة عندما لمح الفيرة في صوتها ونظر إليها بعمق يتأملها ويتفسح معالم وجهها المضطرب وقال بخفوت:

- قلتها أيه مش فاكر

قالت باندفاع وهي تلوح بضجر:

- قلتها دموعك غالية عليا أوى وانت عارفة مكانتك عندى كوبس

منع الأبتسامة التي كانت تريد الفزر على شفتيه حتى لا يقطع عليها استرسالها الحانق على كلماته لوفاء وقال بهدوء:

- ماهي فعلا طول عمرها ليها مكانة عندى

لم تلاحظ استدراكه لها فقالت بضيق:

- ومتجوزته ليه بقى لما بتحبها أوى كده

لم تستطع الأبتسامة الصبر أكثر من هذا ، خدعته وقفزت على شفتيه رغما عنه وهو يقول:

- أنا قلت برضة أني بحبها.. جبتي الكلام ده منين

رأت ابتسامته وشعرت بمراوغته في الحديث فأشاحت بوجهها بعيدا ولم تجبه ، فأردف قائلا:

- أنا محبتش غير واحدة بس ... وبدعى ربنا في كل وقت انها تسامحنى وترضى ترجعلى

تأتي

سحت غطاءها وهي تنظر بعيدًا عنه وقالت باقتضاب:

- تصبح على خير

قال ببراءة مصطنعة:
- يعني هتسبينى متعلق كده .. طب نزليلي السرير الأول كده ظهريه يوجنغي

نهضت مرة أخرى واتجهت إلى فراشة فقال مشاكساً:

- طب ممكن تظبطلي المدخنة دى تحت راسي.. مش مرتاح خالص

قالت وهي ترفع رأسه بيد وتحرك الوسادة باليد الأخرى :

- أنت شكلك بتندفع على فكرة

 أمسك يدها وخذبها إليه برفق فشعرت بأنفسه تلفح وجهها وهي تحاول الأعدال ولكنه لم

يسمح لها واستنقم عبيرها و قال بصوت رخيم :

- أنا رجعتك لعصمتي يا مريم

ثم فك أسر يدها فاعتذلت و قد شعرت بسخونة تسرى في إوصالها اقشعر لها بنها و كان

نبضات قلبها أخذت تبتيش شيئاً فشيئاً مما أشعرها بالدوار ، لكنها لم تغضب ولم تستنكر ما

قاله ، خطط نحو فراشها و صعدت بصعوبة وتذرت ، جملة واحدة منه جعلتها تدوب بعضها

في بعضها ونامت في ثوان معدودة كأنها غابت عن الوعي

***

في اليوم التالي فحصه الطبيب وقال بابتسامة :

- والله أنت بطل يا يوسف .. ماشاء الله عليك

قال يوسف على الفور :

- هخرج أمتي طبيب يا دكتور

أبتسمر الطبيب وقال :

- مستعجل أوى كده ليه

قال يوسف بشغف :

- الله يخاليك يا دكتور أنا أصلى بكره القاعدة الطويلة دى و عاوز اروح بيتنا بقى

دون الطبيب ملاحظاته قائلاً:
- خلاص خالك النهاردة بس وروح بكره الصبح لو عايز.. وقوم اتمشي لوالراقدة مزهقك
  او كده
  زم شفتيه تبرما ثم قال:
  
  - طب مينفعض اروح اتمشي في بيتك .. أنا والله حاسس انى بقيت كويض
  زفر الطبيب بنفاذ صبر ثم ابتسم له قالا:
  
  - أنت ملكش حل بجد .. لكن عموما هكتبك على خروج اخر النهار ...
  حاول يوسف الكلام ولكنه قاطعه قالا:
  
  - ومفشي خروج قبل كده .. فاهم
  ثم نظر إلى مريم وقال:
  
  - تعاليا يا مدام لو سمحتي علشان افهماك هتتعاملى مع الجرح ازاي بعد ما يخرج ورينا
  يقدرنا عليه .. بصراحة جوزك ده لا يتحمل
  أبتسم يوسف وشعر بالبهجة ، أخيرا سيعود لمنزله بصحة زوجته ليبدأ معها حياة جديدة لن
  يشوبها إلا ما حدث في الماضي ، فهل من الممكن أن يرأب هذا الصدع في يوم من الأيام ؟!
  وفي المساء كان يخطو خطواته الواهبة بعض الشيء داخل بيته وعبد الرحمن يساعدته إلى
  الصعود إلى فراشه والجميع متفت حوله في سعادة مرحبين بعودته لمنزله سليماً معاي.
  بعد أن اطمأت مريم لأستقرافقه في النوم ، فتحت خزانتها بهدوء وأخذت ملابسها وأغلقتها
  بهدوء ، دخلت الحمام واغتسلت وبدلت ملابسها وخرجت وهي تجفف شعرها بالمنشفة،
  فوجدت به يجلس على طرف الفراش ينتظرنها ، تعثرت قليلاً في خطواتها ثم استعادت
  توازنهما بسرعة واتجهت إلى المرأة لتمشيط شعرها ، فقال وهو ينظر لصورتها المنعكسة في
  المرأة:
  
  - مريم .. لو سمحتي تعالى غيرلي على الجرح
  ألفتت إليه بدهشة وقالت :
  
  - الدكتور لسه مغييرك عليه الصح
قال بعناد مشاكساً:

- لا مش مرتاح، حاسس ان في حاجة مش طبيعية .).. لو سمحتى تعالى شيليه، حاسس ان

في نملة بتقرصنى

تنهدت بتعجب قائلة:

- نملة !!.. أظهر الدكتور كان عنده حق لما قالي ربنا يصبرك عليه

وضعت المنشفة وأحضرت الأدوات الطبية، وضعتها بجوارها على طاولة صغيرة بجوار الفراش وقالت:

طيب فك زراير القميص لو سمحت

تصنع الألم وهو يقول:

- مش قادر يا مريم .. ممكن تفكيهالي انت

ونظر لها برجاء وقال:

- من فضلك

جلست أمامه وشرعت في فك الأزرار بارتباك، حاولت أن تسرع ولكن سرعتها جعلتها ترتبك أكثر وتتعثر، كان في قمة سعادته من قربها من إلى هذه الدرجة، وأخذ يتأمل شعرها

الندى الذي مازال تتعلق به قطرات الماء ود لونها تعلقت أكثر لتبقى، قال بعدث ليربهما أكثر وهو يتأملها :

- كل ده يتفكر كام زرار

قالت بارتباك وقد أحمرت وجنثها :

- أهو خلاص خلصت

أنتهت وقامت بمساعدته في خلع قميصه في حرج شديد وجلست تزيل أثار الالتصق الذي وضعه الطبيب ، حاولت أن تنتهي سريعًا كما علمها الطبيب، تهرب من نظاراته المخترقة لها وكأنه يغوص بداخلها من عمق النظارات المفتحة محتفظًا بابتسامته العذبة الحانية، مرت اللحظات القليلة عليها وكأنها ساعات طويلة وأخيرًا انتهت وهي تقول بتيثم:
- يعني لا كان في نمط ولا حاجة

تتبعها ببصره وهي تلمم أشيائها وتضعها في صيدلية صغيرة في الغرفة، أتممت تمشيط
شعرها وعقصته للخلف بطرق بنفس لون ملابسها وقالت وهي تخرج من الغرفة:

- أنا هروح انايم بقات تصبح على خير

فقال ببطء وهو ينهض متجهًا إليها بخطوات ضعيفة:

- مريم... أنت لسه بتكافى؟

أشاحت بوجهها وهي تستدير لتنصرف قائلة بخفوت:

- مش وقته الكلام ده.. أنا مرحة وعاوزه انايم

وضع يده أمامها ليمنعها من المرور وقال بحزن:

- أنت لسه مسامحتيش يا مريم.. مش كده؟

قالت دون أن تنظر إليه:

- أنا قلتلك قبل كده انى مسامحاك

قال بتلك:

- طب أنا راجعتك غصب عنك؟ يعني مكنتيش عايزه ترجعلي؟

تابعت وهي مازالت تنظر بعيداً عنه:

- ده حقق اللي ربنا اذهولوك... أنت ممكن ترجعني لعصمتكي حتى من غير ما تقولى

حرك رأسه نفديًا قائلًا:

- بس أنا مش عايزك تعمل حاجة غصب عنك... أنا راجعتك تاني عشان حسيت انك

بتحبينو وبتغري علياً.. لكن لو الأحساس ده غلط وانت مش عايزك تقيلين

لم تستطع أن تجبه، أنما اكتشفت بنظرتها لوم وعتاب طويلة ودفعت يده بلطف ومرت من أمامه
للخارج ثم إلى غرفتها الأخرى لتنام بها، جلس على طرف فراشة وهو يشعر بالحيرة، هذه
النظرة المعادية من أجل كلماتي، أم من أجل أني راجعتها رغما عنها، أم ماذا؟! ، لكن
أحساسي يقول غير ذلك، أشعر بنبض قلبي لا أخطئ هذه النظرية أبداً، أستطيع حبيبي

. . أستطيع .. فاناً وإن كنت شتاء، ففى قلبي ربيع نابض لك بالزهار.

دخلت فراشها وتدثرت جيداً وكالعادة عندما تواجهها أزمة، وضعت الوضادة فوق رأسها

وحاولت أن تنام، لكن هيهات، تشعر بالضجر الشديد:

- لماذا لا يشعر بي، لماذا يعتقد أنى عدت إليه رحى عنى، لماذا لا يتمسك بي أكثر من هذا،

لا تجعل ترددك سكينًا يمزق قلبي فيصبح حافراً لقرير حبي.

غلبهم النوم، وفي الصباح كانت والدته أول من تطرق بابهم، أبستمت لها مريم مرحبة بها

قالت عفاف:

- هو يوسف لسه نايم

- مريم :

- ثواني اشوعه لحضرتك

طرقت الباب ولم يأتها رد فعلمته أنه مازال نائمًا. ترددت في الدخول ولكن لابد وأن تدخل ،

لم يكن الباب مغلقًا بشكل كامل فدفعته بهدوء ودخلت، ذاتت إليه في فراشه لتتوقفه ، كان

ما يزال على نفس هيئةه السابقة عندما تركته بالأمس، شعرت بالخجل الشديد وهي تلمس

يده لتتوقفه ونادته بهدوء حتى استيقظ ونظر لها قائلاً بتكاسل:

- صباح الخير

قالت على الفور وكأنها تدفع تهمة وجودها في غرفته:

- صباح النور.. مامتک بره يلا قوم

وقبل أن تستدير لتغادر أمسك يدها قالتا:

- أستني طيب قومينى

نظرت له وقالت بعند:

- أنت بقيت کويس.. بلاش دلع يلا قوم بقی

تصنع يوسف الضعف وهو يقول:
بطلى ظلم بقى يا مفترية حرام عليك تعالى ساعدين

إذا سألكت مرمت بضجر:

- أساعدك أزاي يعني

قال ببراءة مصطنعة:

- أمسكي أيدي بس

أستدانت مندهشة وقالت:

- افندم

 ترك يده تسقط على الفراش بضعف قائلًا:

- حرام عليك إذا تعبان قومي نبقي ذكر ماما مضايقة بره

زمت شفتاه بحنق وقالت رافضة:

- طيب خاليك بقي وانا هروح أنده مامتك تقومك بطريقةها

وخرجت سريعا وهو يهتف متوسلاً:

- لا بلاش ماما الله يخاليك يا مريم.. معندهاش هزار فى الصحيان

وفي اليوم التالي وبعد يوم طويل دخلت مرتم الشرفة ووضعت أكواب الشاي أمام يوسف

على الطاولة الصغيرة وجلست بجواره وقد بدى الإرهاق على وجهها وبيقال:

- أنت فعلام بتدفع اوى.. مع اتك بقيت كويس يعني ماشائ الكتاب

نظر لها وداعبها قائلًا:

- هو أنا عملتلك حاجه.. ده أنا غلبان

قالت بحنق:

- ه غلبان اوى ..عاوزني أقومك واقعدك وافصلك واحترك الأكل في بؤك واغسلك ايدك وانشفها

قال بحزن مصطنع:
- زهقتني مني قومك كده .. ده انا مريض 
قالت ساخرة:

- اه مريض أوى .. شكلك كده هتخف وانا هرقد مكانك
قال بنظره حانية:

- بعد الشر عليكي يا حبيبتي .. خلاص مش هتعبك تاني .. أنا فعلا بدلع بس ببقى ممسوط 
وانت مهتمه بيا كده .. وبعدين الأكل ليه طعم تاني من أيدك

بدأت مريم بارتشاف ببعض من الشعوى وهي تنظير إليه نظرة جانبية وقد بدا أنه سيهم بقول شيء ما ولكنها يقاوم التردد بصعوبة ، لحظات صامتة منه ومتترقبة منها حتى قال ببطء:

- مريم انا عاوز اسأللك سوال كده بس متردد
واستدرك كانا:

- وبصي لو ضايتك خلاص مش مهم
أومنت برأسها موافقة فقال:

- هو احنا لما كنا في الجراح .. والدنيا ضلعة .. مكتيش خايفة مني؟

حركت كفيفها للأعلى وقالت بلامبالاة:

- واخاف منك ليه
أردف قاللا وهو يبتلع ريقه بذراع:

- يعني بقيتي تحسي بالأمان معايا؟
نظرت له بجانب عينيها وقالت:

- انت ليه مهتم أوى بالسؤال ده .. سألتهولي أكثر من مرة
زفر بحزن قالنا:

- لما كنا مسافرين قولنا ليك وانت بتغيطي انت لما سمعتى صوتي في الضلعة حسيتي
بالأمن...
ثم النفت إليها متابعًا:

- نفسى ترجعى تحسي بالأمان معايا تانى

أجابته بخفوقت وهي تضع عينيها في الكوب الذي بين يديها:

- لو مكنشت حسيت معاك بالأمان مكنشت فضلت ماسكة فيك واحنا في الجراح والدنيا ضلمة

ومفسح حد غيرنا زى ما كنا فاكرین

تنهد بارتياح وهو ينظر إلى الحديقة قانلا:

- الحمد لله ... دى أقصى حاجة كنت بتمتعها

سمعت صوت رنين هاتفها فقالت:

- هروح اشوف مين

أخذت الهاتف وابعت عنة لتحدث إلى عمها دون أن يسمعها، فتحت الاتصال واستمعت

إليه ثم أجابته قانلة:

- النهاردة أحسن كتير الحمد لله

قال باهمام:

- هو جانبك دلوقتي

- لا في البلكونة

- قولتيه ولا لسه؟

أبتسمت ابتسامة خفيفة وقالت:

- لاء لسه .. بصراحة يا عمي عاوزه اربيه شوية

ضحك بسعادة قانلا:

- يبقى ردى لتصمته تاني مش كده؟

قالت مريم بحرج:

- أيوه ردنى قبل ما يخرج من المستشفى
ضحك مرة أخرى وقال:

- خلأس ربيه براحتك انا موافق

دخل يوسف من الشرفة إلى الغرفة التي تتحدث بها فوجدها تغلق الهاتف وتضعه مكانه فقال

وابتسامة مشاكسة مازالت عالقة بشفتيها:

- كنت بتكلمي مين؟

قالت بعدم اهتمام:

- ده عمى حسين .. كان بيظمن عليك

كادت أن تتركه وتخرج من الغرفة لولا أن وقف أمامها يسد عليها الطريق ، تلاقت عينيها

فقال بهمس:

- حبيك

كان يتوقع أن تشيح وجهها وتتركه وتذهب كالعادة كلما قالها ، ولكن هذه المرة وقفت تنظير

إليه ثم قالت بنظرة لم يفهم معناها:

- من أمتي؟

تفاجأ بالسؤال فقال:

- يعني أيه؟

تابعه:

- يعني بحبي من أمتي .. أحسنا من ساعة ما اتقابلنا واحنا ينتخانق زى القط والفأر

قال يوسف بخفوت:

- والله ما انا عرف من أمتي .. أنا فجأة كده ليقنتي بيغير علكى من كل حاجة وكان نفسي

أوى تسمعي كلمتي وتغيرى تصرفاتك

بدت على وجهها ملامح ساخرة وهي تقول:

- ليه مكلمتنيش بود وقولتلي اناك مش راضى عن تصرفاتي بلدا ما كنت بنتخانق وتزعق

وتتريض أحيانا
أرسل تهنيئة حارة وقال بوجوم:
- زى ما قلتلك واحنا في نويبع .. أنا عمرى ما حييت قبلك .. ومكنتش عارف أعمل ايه .. كل الله كنت بحس بيه انك لازم تسمعي كلامي ومحاش على بالى ساعتها طريقه نصحى ليكي خالص .. كل الله كنت بفكر فيه انك مبتسعيك الكلام وبتعاندك وخلاص

استعاد نظرة العذبة وهو يتبع:

- وبعدين يا مريم اننا كنت حاسس انك حاسة بيا .. ونلت متوقع انك لما تحسي بمشاعري وتفاقيني بغير هتهترمي ده وتعتسي كلامي من أول مرة .. لكن اننا لقيتك بتعاندك أكثر من الأول مش عارف ليه

نظرت له نظرة طويلة وقالت بهدوء:

- مكنتش متاكدة .. وصرفاتك العصبية كانت مشككاني .. لو كنت ا عاملت بطريقة مختلفة ونصحتني بهدوء ومححتني انك غيران من كلامي مع وليد مكنتش عمرك هتشواني بكلمه .. لو كنت في الفرح جيت قلتلي مين اللي واقفة معاه دول ومتقيش معاه كنت هسمع كلامك .. لو كنت لما مشيت وراعيا بالعربية نزلت وشدقتي قدم الناس غصب على عشان مطلع مع سلمي كنت هسم كلامي .. صدقني كنت هسمع كلامك .. وكنت هتاك من اللي كنت بعمل كل ده عشان أتاك منه .. أنك بتغير

لكن انت كنت دايم تكتم في نفسك .. وتفحك بالصرفات العصبية .. وحتى لما كنت بتكلمني كنت بتحسيني انت بتأمرين لبجد أنى بنت املك وبس

لمعت دمعة في عينيها فمسحها بأثامله وقال بحب:

- كنت غلطان سامحينى .. أنا كنت سيء الظن لأبد الحدود معاكرى .. لكنعاوزك تعرفى انتي مكنتش مبسوط يعني وانا بكتم في نفسى كده .. أنا كنت بتتعبذ يا مريم .. وعذابي وصل للمنتهى ولا يعد حد في يوم الحادثة .. لدرجة اني أخذت الحبوب والسجاير من غير تفكر وكاتب منون وفاقد للسيطرة على نفسى .. لفي عقلى .. سامحينى يا حبيتي

نظرت له مرة أخرى بنفس النظرة المبهمة قائلة:

- فاكر لما سألتك فى العربية واحدنا راجعين من فرح وفاء وانت اضناقت من سؤالى وقتلني اني باستفزك .. أناعاوزه اسألك نفس السؤال ثاني ولو سمحت جاويحى
أشاه بوجهه بعيدًا وأغمض عينيه وهو لا يريد التذكر وقال ببطء وقد شعر بغمصة في حلقه:
- صدقينى لو قلتلك انى مش فاكر حاجة خالص.. كل اللي فاكره آنى حضنتك وقلتلك الكلام
اللى قلتته وانت بنقاومينى.. وفجأة لقيتك ابتخبطى في الحيطة ووقعتى على الأرض
صمت وهو يضغط عينيه بقوة كرا لما تذكره في هذه اللحظة فقّل:
- وبعدين أيه اللي حصل؟
مسح وجهه بديه وقال لها:
- أنا مش عازوك تفتكى التفاصيل دي.. أنا ماصدقت انك بقيتى كويسه معايا
فتابعت وكأنها لم تسمعه:
- وبعدين يا يوسف حصل أيه
رضخ لرغبتها وقال بشرود:
- صدقينى مش فاكر.. كل اللي فاكره ساعتها لما وقعتى على الأرض وانا قربت منك..
بدأ جبينه يتعرق وهو يستحضر تلك اللحظات بصعوبة شديدة وهو يقول:
- كنت بحاول اشيلى عنك الهدوم وانا دماغي يتلف.. وبعدين بدأت اشيلى هدوئي وفجأة
 حسينى أنى صنم .. عقلى أتعبى وقلبى ابتدى ينبض ببطء شديد .. حاولت بدها افتكر أي
تفاصيل مافتكربت شاة ابذا.. مش فاكر غير أبويها وهو بيشدنسى يقومنى من جنبك وأديه
بتنزل على وشى وشفتك في حضنها ورجليك كلها دم فتوقتنا انها عملت أيه .. صدقينى ده كل
اللى فاكره
تركها وخرج من الغرفة إلى حجرة المعيشة، هوى الى الأريكة وبدأت دموعها تنهم بسمت
وهو يتصور كل مشهد مر أمام عينيه وهو يعصى الله فيها ، وهو يتذكر كلماتها وهي تصرخ
فيه "فوق يا يوسف اننا مريم"
خرجت إليه وورأته يدفع رأسه بين كفه ويبكي وشهقته تعلو وهو يستغفر الله، أطرقت
برأسها ولم تعد تتحمل كتمان الأمر أكثر من هذا فهو يتعصب بما لم يفعله يومًا بعد يوم واكله
الندم ويلوه بين فكيه بكل قوة ، شعر أن عقلها ينبع في قلبها ويوحىها على أخباره بما
حدث فهو قد ترتب بما فيه الكفاية ، لم تتردد أكثر من هذا وقالت وهي تجلس بجواره:
- مصدقآك يا يوسف .. عارف ليه .. لأنك ملمسنتش .. معملتليش حاجة أبدا بعد كده 

توقفت الدموع فجأة وكأن الدنيا قد توقفت فجأة عن الدوران وسكت الكون .. ألتفت إليها 
بذهول وقطب جبينه قائلًا:

- يعني أيه ؟

أفلت دمتعتين من عينيها وقالت:

- فاكر لما ودنتي لدكتورة النسما لما أغمي عليا والدكتورة طلعتك بره
أومأ برأسه وهو ينظر إليها بسمت مخلوطة بذهول فقالت:

- الدكتورة فوقيتنا وسألتني عليك وقالتها أنك جوزي .. قالتلي طب احتمال يكون الفيء 
والدوخة بسبب الحمل نتأكد .. طبعا أنا كنت همومت .. وافقت على طول وبعد الفحص بتصلي 
باستغراب وقالتلي أوما بتقولي عليه جوزك آزاي ووافقتى أعمال فحوصاتي ليه لما انت 
لسه بنت بنوت ! ..

ساعتها روثت في دنيا ثانية .. مبقيش عارفة أضحك ولا ايعي .. أصرخ ولا اعمل أيه مش 
عازفة .. لقتي دموعي نازلة تى المطر .. ولما خرجت من عندها والبنت الممرضة شافنتي 
بعيط سالتني مالك لقيت نفسي بقولها الدكتورة كانت فاكراي حامل .. طبها هي افكرت 
ساعتها ان بعيط علسان مطلعتش حامل وفضلت تواسيني.

توقفت الساعات والعقارب حتى أنه شعر بأن الهواء أيضا يوقف، فلا يستطيع التنفس ولا 
الحركة، وكان قلبه رفض نبضه وكان عقته تمرد عليه ورفض التصديق، لا يستطيع شيئًا 
 سوى الذهول .. الذهول وفقط .. فقال في هذين :

- يعني أيه .. والدم .. أومال ده حصل ازاي .. ازاي ..؟!

قالت من بين دموعها:

- أكيد أغمي عليك .. وإلا مكاشش عمي لما دخل بعد الفجر لقاك جمبي .. وطبعا كانت رجلي 
غرقانة م علشان لما وقعت على الأزاز اتجرخت جامد والموقف مكنش يحتمل تفسير تاني 
فجز المشهد في عقله مرة أخرى بقوة ، لقد تذكر فجأة لحظة سقوطه وكأنها حلم بعيد من 
مشهد قيم ، نعم لقد سقط وهو ينزع ملبسه .. عدها كان يترنح بقوة ، لابد وأنه قد سقط 
غانبا عن الوعى بعدها
أُستدار إليها بجسده كلها دفعة واحدة، وكان روحه التي غادرت سقطت فجأة بداخل جسده
من جديد وحتف بها:

- ومقولتليش ليه من ساعتها .. ليه يا مريم

ثم وقف ناهضًا وقال بعينين زاغتين مشدوهتين:

- يعني أيه؟ يعني انا مش زاني؟... يعني .. يعني .. يعني انا لسه يوسف .. آنا مضغتش من نفسى

.آنا رينا حصني وحمانى من الجريمة

نهضت لتقف أمامه وقالت ودمعها تنهار كالشلال وتمد أناملها تسح البهجة عن وجهه

وتقول:

- وآنا لسه مريم .. آنا كمان لسه مريم يا يوسف .. لسه بعفتى وظهاتى وربنا حمانى

وحسنى رغم كل الاقتراحات التي اخال عليها

نسي ألمه وجرحه الذي لم يندمل بعد وحملها بين ذراعيه وطاف بها وهو يهتف تارة

ويصرخ تارة أخرى ويبكي بضحكات ويضحك بدموع واختلطت دموعه بدمعها وهو مازال

يهتف:

- مش مصدق .. مش مصدق يا مريم .. مش مصدق

أنزلها إلى الأرض فجأة هاتفاً بسعادة:

- بابا .. بابا لازم يعرف

عقدت ذراعيها أمام صدرها وقالت بمحكم:

- وانت فاكر انه لسه مايعرفش .. آنا قلتله وانت في العمليات .. وهو كمان مكنش مصدق

زيك كده

احتضن وجهها بكفية بقوة قائلًا:

- ومقولتليش ليه من ساعتها

قالت وهي تنظر لعينيه وتمسك بقبضتى:

- كنت عاوزه اربيك شوية
تأمل وجهها لفترة طويلة وقد عادت روحه تلملم في عينيه مجدداً واحتضنها بين يديه.

للحظات ثم أبعد وجهها مرة أخرى ونظر إليها يتفحص عينيها ثم قال بضعف وتغدى:

- تصدق بقى ده أنا اللي هربكي.

قرأتها في عينيه فابعتدت وهرولة سريعاً إلى غرفتها وأغلقتها من الداخل، لحق بها وطرق الباب بقوة هاتفة:

- أفتحي يا مريم احسنلك.

وقفت خلف الباب وقلبها يخفق بشدة هاتفة:

- مش هفتح.

طريقة مرة أخرى صائحاً:

- بقولك افتحي بدل ما اكسر الباب.

بادلته الصباح من خلف الباب وهي تضع يدها على صدرها اضطراباً وسعادة:

- بقولك مش هفتح مهما عملت.. مش هفتح يعني مش هفتح.

وبعد مرور شهرين وفي يوم الجمعة تحديداً كان موعد اللقاء الأسرى المعتاد حول مائدة الطعام الكبيرة، جلس حسين على رأس المائدة كالعادة وهو يقول:

- أومال يوسف ومريم منزلوش ليه لحد دلوقتي.

قالت عفاف بنämp صبر:

- والله زهقت يا حاج.. بقالى ساعة كل شوية اتصل ويقولوا نازلين ومفتش فايدة.

ضحك حسين ضحكات جعلت الجميع يبتسم ثم قال:

- وباقي البنات فين .. إيمان وفرحة ووفاء مش كانوا هنا من شوية.

تدخل عبد الرحمن قائلاً:

- أصل يا بابا إيمان عملت حركة تمرد عليك وقالت الستات لوحدها والرجالة لوحدها .. طبعاً حضرتك عاشر إذا جاى اهدى النفوس مش أكثر.
ضحك والده مرة أخرى وقال:

- خلاص طالما هي حاجة كده والبنات موافقين خليهم على راحتهم

طرق يوسف ومريم الباب ففتح إيهاب باب المنزل وهو يمسك معدته قابل

- حرام عليكوا موتنا من الجوع

دخل يوسف وهو يلف كتف مريم بذراعه ويقول:

- معفش يابني انا عارف ان اختي مجوعاك .. قدرك ونصيبك بقى

خرجت فرحة قائلة بشغف:

- أنا سامعة حد بجيب سيرتى

تلقاها يوسف بذراعين مفتوحتين قابلبا بمرح:

- أهلا يا ام العيال وحشانا يا غالية

ضربت يده وهي تقول هاتفيا باعتراف:

- أم العيال في عينك .. ده انا لسه يدوب في الشهور الأولى .. سابقة إيمان بشهر واحد ..

نهض عبد الرحمن واقفا وهو يقول باعتراف:

- لا بقولك أيه .. ولا سابقا ولا حاجة .. دى الحكاية كلها فرق التوقيت مش أكثر

علت الضحكات بينهم مجددا وقالت مريم :

- طب ادخل انا بقى للبنات قبل ما حد فيكوا يصطادن

رمت يوسف على كتفها وقال مشجعا:

- أدخل يا حبيبتي بس على مهلك ..

ثم نادها برجاء :

- الله يخشكي يا مريم كفاية ترجع بقى .. كده على ما تيجي تولد مش هنلاقى حاجة جوه

أصلا
وأثناء الغذاء ألقفت عبد الرحمن إلى والده قال:

- عمى مجاز النهاردة ليه يا بابا
- بيحضروا نفسهم عشان هيسافروا يعرضوا وليد على دكتور بره مصر

ألقت إلي يوسف قائله:

- هوأبندى يتحرك ولا لسه
تدخى إيهاب قائله:

- على كرسى متتحرك كده جوى البيت
تمت يوسف قائله بعدم اهتمام:

- رينا يشفيه
ربت والده على يده قائله:

- لا يابنى أدعيله من قلبه إن رينا يشفيه. وليد عرف غلطته وندم على اللي عمله وعرف
ان اللي هو فيه ده عقبان من رينا
تدخت عفاف قائلة:

- ومش هو وبس والله يا حاج .. دى فاطمة كمان كأنها ابتدلت لواحدة تانية خالص .. الحزن
على ابنها كسرها أوى وخلاها في دنيا تانية .. رينا يرفع عنهم ويسامحهم

***

- يوسف
- نعم يا حبيبيتي
- ناولنى البسكوت المملح اللي جانبيك ده
- مريم .. مكنش حمل ده .. كل شوية بسكوت .. أنت حامل في عيل فى الحضانة ولا
- أيه
- كده يا يوسف .. مش كفاية امبارح زعلنتى ومرضنت تشيلنى
أولى أنت بالسلامة يا حبيبي وانا اشيلك زي ما انت عايزة.. أصل بصراحة معديش غير عمود فقرى واحد

- قصدك أيه.. أنا تخنست يعني
- لا يا حبيبتى هو انا أجريت أقول كده
- طب هات البسكوت بقى
- يقولك أيه يا مريم
- نعم يا حبيبي

عبد الرحمن كان ببحكيلى على سياحة جديدة كده.. أسمها السياحة الزوجية

- يعني أيه.. الناس بتسافر مجوز؟
- مجوز!

- مجوز أيه بس هو انا بكلمك على جوز حمام
- طب فهمنى انت
- طب تعالى جوه.. الدنيا برد هنا
- طب شيلنى
- لسه؟!

- علشان تحكيلى جوه على السياحة!
- سياحة أيه؟
- السياحة الزوجية اللي عبد الرحمن قالك عليها!
- عبد الرحمن مين؟
- أخوك!!
- أخويا مين انا ماليش أخوات... قال شيلنى قالال!
تمت بحمد الله

إلى اللقاء مع رواية "مع وقف التنفيذ "

***